

التصوف

لمذهب أهل التصوف

تأليف
أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي
المتوفى سنة ٣٨٠هـ

ضبطه وعلق عليه وشرح آياته وأماديه
أحمد شمس الدين

دارالكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلخس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٢٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فأكس: ٤٧٨١٣٧٣ / ١٢١٢ / ٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يعتبر كتاب «التعرّف لمذهب أهل التصوّف» من أقدم وأدق الكتب التي تناولت هذا العلم بمصطلحاته ورجاله، فقد وضعه العلامة تاج الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ في أوائل القرن الرابع للهجرة، وهو القرن الذي بلغ فيه التصوف ذروته وكماله العلمي والفني، سواء من حيث المنهج أو من حيث الرجال والأعلام، فجاء هذا الكتاب صورة صادقة وبراءة واضحة تعكس ما وصل إليه القوم في مواجيدهم ومجاهداتهم.

والمصنف بعد هذا لم يختفِ بذكر الأسماء وسرد الأقوال وحكايات الأحوال، بل أتبع في كتابه أسلوباً بارعاً يتسم بالسرد والعرض ثم يدلي برأيه وحجته وهو العالم العارف الذائق، كما اتبع منهجاً علمياً دقيقاً قلّ أن التزمه مصنف قديماً أو حديثاً. يحدثنا الكلاباذي عن منهجه في هذا الكتاب، فيقول: «... فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وَصَفَ طَرِيقَتَهُمْ وبيّان نَحْلَتَهُمْ وسيرتَهُمْ من القول في التوحيد والصفات وسائر ما يتصل به مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم، وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه؛ ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ويدركه من لم يدرك عباراتهم وينتفي عنهم حرص المتحرصين وسوء تأويل الجاهلين، ويكون بياناً لمن أراد سلوك طريقه مفتقراً إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه، بعد أن تصفحت كتب الحدائق فيه وتبعت

حكايات المتحققين له بعد العشرة لهم والسؤال عنهم؛ وسميته بكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، إخباراً عن الغرض بما فيه»^(١).

ثم يقول في موضع آخر^(٢): «هذا ما تحققناه وصح عندنا من مذاهب القوم من أقاويلهم في كتبهم ممن ذكرنا أساميهم ابتداءً، وما سمعناه من الثقات ممن عرف أصولهم وتحقق مذاهبهم، والذي فهمناه من رموزهم وإشاراتهم في ضمن كلامهم. وليس كل ذلك مسطوراً لهم على حسب ما حكيناه، وأكثر ما ذكرنا من العلل والاحتجاج فمن كلامنا عبارة عما حصلناه من كتبهم ورسائلهم. ومن تدبر كلامهم وفحص كتبهم علم صحة ما حكيناه. ولولا أنا كرهنا الإطالة والإكثار لكنا نذكر مكان ما حكيناه من كلامهم من كتبهم نصاً ودلالة، إذ ليس كل ذلك مرسوماً في الكتب على التصريح».

وهكذا يتصب أمامنا عالم في التصوف يتميز بصفتين قلما تجتمعان في مصنف واحد، الصفة الأولى النظرية وهي صفة النقد من خارج، والصفة الثانية هي صفة الصوفي الذي دخل في القوم وعرف مواجيدهم وذاق أحوالهم ومقاماتهم. فكان هذا الكتاب الذي يعتبر فريداً في بابهِ.

وقد صدر هذا الكتاب في عدة طبعات، أولها وأنفها - وهي الطبعة التي حققت عن المخطوطة الأصلية - طبعة المرحوم الدكتور عبد الحلیم محمود والمرحوم طه عبد الباقي سرور، ثم تالت بعد ذلك عدة طبعات لم تزد شيئاً يذكر على الطبعة الأولى. ونظراً إلى أن تلك الطبعات السابقة لم تحو من التعليقات ما يشفي غليل المبتدئين، ارتأينا أن نصدر هذا الكتاب في طبعة جديدة حافلة بالتعليقات والتعريفات التي قد يحتاج إليها القارئ العادي سواء من حيث اللغة أو التعريف بالأعلام أو تفسير بعض الأقوال الغامضة التي قد يغيب معناها عن القارئ الغير المتمرس.

نسأل الله تعالى التوفيق، والحمد له أولاً وآخراً.

أحمد شمس الدين

بيروت - في ٨ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ

الموافق ٥ تشرين الأول ١٩٩٢ م

(١) انظر ص ٧ من هذا الكتاب.

(٢) ص ٩٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمد لله المحتجب بكبريائه عن دَرْكِ العيون، المتمرّز بجلاله وجبروته عن لواحظ الظنون، المتفرد بذاته عن شبه ذوات المخلوقين، المتمرّز بصفاته عن صفات المُحدّثين، القديم الذي لم يزلّ والباقي الذي لا يزال، المتعالي عن الأشباه والأضداد والأشكال، الدالّ لخلقهِ على وحدانيته بأعلامه وآياته، المتعرف إلى أوليائه بأسمائه ونوعته وصفاته، المقرب أسرارهم^(١) منه والعاطف بقلوبهم عليه، المقبل عليهم بلطفه، الجاذب لهم إليه بعطفه. طهر عن أدناس النفوس أسرارهم، وأجلّ عن موافقة الرُشوم أقدارهم؛ أضطفى من شاء منهم لرسالته، وأنتخب من أراد لوجهه وسفارته؛ أنزل عليهم كتباً أمر فيها ونهى، ووعد من أطاع وأوعد من عصى؛ أبان فضلهم على جميع البشر، ورفع درجاتهم أن يبلغها قدر ذي خطر؛ ختمهم بمحمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وأمر بالإيمان به والإسلام؛ فدينه خير الأديان، وأتمه خير الأمم، لا نسخ لشريعته ولا أمة بعد أمته؛ جعل فيهم صفوة وأخياراً، ونجباء^(٢)

(١) الأسرار جمع سرّ؛ قال الشريف الجرجاني: السر لطفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة (انظر التعريفات للجرجاني ص ١١٨ - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣ سنة ١٩٨٨)

(٢) النجيب لغة: هو من الرجال الكريم الحبيب، والجمع أنجاب ونجباء ونجيب (انظر لسان العرب: مادة نجيب). والنجباء في اصطلاح الصوفية هم الأبرار وهم المشغولون بحمل أُنقال الخلق، وهي من حيث الجملة كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله، وذلك لاحتصاصهم بوفور الشفقة والرحمة =

وأبراراً؛ سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا؛ صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة، وخلصت عليها معاملاتهم فمبحوا علوم الورثة، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة^(١)؛ ثبتت أقدامهم، وزكّت أفهامهم، وأنارت أعلامهم؛ فهموا عن الله، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله؛ خسرقت الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أبصارهم؛ فهم أجسام روحانيون، وفي الأرض سماويون، ومع الخلق ربانيون، سكوت نظار، غيب حضار، ملوك تحت أطعار؛ أنزاع قبائل^(٢)، وأصحاب فضائل، وأنوار دلائل؛ آذانهم واعية، وأسراهم صافية، ونعوتهم خافية؛ صفوية صوفية، نورية صافية؛ ودائع الله بين خليقته، وصفوته^(٣) بين برئته^(٤)؛ ووصاياه لبيه، وخباياه عند ضفيه؛ هم في حياته أهل ضفيه^(٥)، وبعد وفاته خيار أمته؛ لم يزل يدعو الأول الثاني، والسابق التالي بلسان فعله، أغناه ذلك عن قوله.

حَتَّى قَلَّ الرَّغْبُ^(٦) وَقَفَرَ الطَّلَبُ؛ فصار الحال أجوبة ومسائل، وكتباً ورسائل؛ فالمعاني لأربابها قريبة، والصدور لفهمها رحيبة^(٧).

الفطرية، فلا يتصرفون إلا في حق الغير إذ لا مزية لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب (انظر التعريفات للجرجاني: ص ٢٣٩)

(١) الفراسة في اللغة: الثبوت والظن وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي مكاشفة اليقين ومعانيه الغيب (انظر المرجع السابق: ص ١٦٦) وانظر أيضاً ص ١٦٩ من هذا الكتاب باب نيهه إياهم بالفراسات.

(٢) في اللسان (مادة نزع): نَزَّاع القبائل: غرباؤهم الذين يحاورون قبائل ليسوا منهم، الواحد نَزَّاعٌ ونَزَّاعٌ والنزاع والنزاع: العرباء. وفي الحديث «طوبى للغرباء» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «النزاع من القبائل».

(٣) الصفوة في اصطلاح أهل الحقيقة هم المتصومون بالصفاء عن كدر العيرية (انظر كتاب التعريفات: ص ١٣٤).

(٤) البرية: الخلق.

(٥) أهل الصفة: هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن لهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مطلق في سجد المدينة يسكنونه.

(٦) الرَّغْبُ والرَّغْبُ والرُّغْبُ: الضراعة والسألة وهي التنزيل العرير يؤيدعوها رعا ورها؛ سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

(٧) رحيبة: واسعة.

إلى أن ذهب المعنى وبقي الاسم، وغابَت الحقيقة وحصل الرسم؛ فصارت التحقيق جليةً، والتصديق زينةً، وأدعاهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، وتَحَلَّى بِهِ مَنْ لَمْ يَصِفْهُ، وأتَكَرَّهُ بِفَعْلِهِ مَنْ أَقْرَبَهُ بِلِسَانِهِ، وَكَتَمَهُ بِصِدْقِهِ مَنْ أَظْهَرَهُ بِبَيَانِهِ، وَأَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، فَجَعَلَ حَقَّهُ بَاطِلًا، وَسَمَّى عَالِمَهُ جَاهِلًا، وَأَتَقَرَّدَ الْمُتَحَقِّقُ فِيهِ ضَنًّا بِهِ، وَسَكَتَ الْوَاصِفُ لَهُ غَيْرَةً عَلَيْهِ، فَتَفَرَّتِ الْقُلُوبُ مِنْهُ، وَأَنْصَرَفَتِ النَّفْسُ عَنْهُ، فَذَهَبَ الْعِلْمُ وَأَهْلُهُ، وَالْبَيَانُ وَفَعْلُهُ، فَصَارَ الْجُهَالُ عِلْمًا، وَالْعِلْمَاءُ أَذِلَّةً.

فدعاني ذلك إلى أن رَسَمْتُ فِي كِتَابِي هَذَا وَصَفَ طَرِيقَتِهِمْ، وَبَيَّانَ نِحْلَتِهِمْ^(١) وَسَبِيْرَتِهِمْ، مِنْ الْقَوْلِ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ، وَسَائِرِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الشُّبُهَةُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَدَاهِبَهُمْ، وَلَمْ يَخْدَمْ مَشَايِخَهُمْ. وَكَشَفْتُ بِلِسَانِ الْعِلْمِ مَا أَمَكَّنَ كَشْفَهُ. وَوَصَفْتُ بِظَاهِرِ الْبَيَانِ مَا صَلَحَ وَصْفُهُ، لِيَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَقْضِهِمْ إِشَارَاتِهِمْ، وَيُذَكِّرَهُ مَنْ لَمْ يُذَكِّرْهُ عِبَارَاتِهِمْ، وَيَنْتَهِي عَنْهُمْ خَرَصُ^(٢) الْمُتَخَرِّصِينَ، وَسَوْءُ تَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ، وَيَكُونُ بَيَانًا لِمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ طَرِيقِهِ، مُفْتَقِرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي بُلُوغِ تَحْقِيقِهِ، بَعْدَ أَنْ تَصَفَّحْتُ كُتُبَ الْحُدَاقِي فِيهِ، وَتَتَبَعْتُ حِكَايَاتِ الْمُتَحَقِّقِينَ لَهُ، بَعْدَ الْعِشْرَةِ لَهُمْ، وَالسُّؤَالَ عَنْهُمْ.

وَسَمَّيْتُهُ بِكِتَابِ «التَّعْرِفِ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ» إِخْبَارًا عَنِ الْغَرَضِ بِمَا فِيهِ.
وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ، وَعَلَى نَبِيِّهِ أَصَلِّي، وَبِهِ أَتَوَسَّلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: النَّحْلَةُ: الدَّبِيْرُ وَالنَّيْلَانِ، وَالنَّحْلَةُ: الْعِطَاءُ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ، وَالنَّحْلَةُ: الْمَرِيضَةُ، وَالنَّحْلَةُ: الدَّعْوَى. وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا.
(٢) الْحَرَصُ: الْمَكْدِبُ، وَالْحَرَاصُ: الْمَكْدَابُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَرَبِيِّ: «يُقْتَلُ الْحَرَاصُونَ» مَرَّةً الذَّارِيَاتِ، الْآيَةُ: ١٠.

الباب الأول

قَوْلُهُمْ فِي الصُّوفِيَّةِ وَلِمَ سُمِّيَتْ الصُّوفِيَّةُ صُوفِيَّةً (١)

قالت طائفة: «إِنَّمَا سُمِّيَتْ الصُّوفِيَّةُ صُوفِيَّةً لِصَفَاءِ أَسْرَارِهَا، وَنَقَاءِ آثَارِهَا».

(١) قال الإمام السهروردي: روي عن صفيان أنه قال: «لولا أبرهائم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء» وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديماً. وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية، لأن في زمن رسول الله ﷺ كان أصحاب الرسول ﷺ يسمون الرجل صحابياً لشرف صحبته رسول الله، وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة؛ وبعد انقراض عهد رسول الله ﷺ من أخذ منهم العلم سمي تابعياً، ثم لما تقدم زمان الرسالة وتعدّد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرّد كل ذي رأي برأيه وكثّر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حججها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثرت خطاياها وتفرّد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنيّة وصلق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبئين إلى ربّ الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سنيّ الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة: «أصبحت مؤمناً حقاً» حيث كوشف برّقة في الإيمان غير ما يتعاهدها، فصار لهم مقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدها، فحسروا لنفسهم اصطلاحات تشير إلى معاني يعرفونها وتعرّب عن أحوال يجدونها، فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسماً مستمراً وخيراً مستقراً في كل عصر وزمان، فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وتسموا به. (انظر عوارف المعارف للسهروردي - ص ٨٥ - طبعة ملحقة بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي - المجلد الخامس - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦)

وقال بشر بن الحارث^(١): «الصُّوفِيُّ مَنْ صَفَا قَلْبَهُ لِلَّهِ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الصُّوفِيُّ مَنْ صَفَتْ لَهُ مُعَامَلَتُهُ، فَصَفَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَرَامَتَهُ».

وَقَالَ قَوْمٌ: «إِنَّمَا سُمُّوا صُوفِيَّةً لِأَنَّهُمْ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ بَارْتِفَاعِ هِمَمِهِمْ إِلَيْهِ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهِ، وَوُقُوفِهِمْ بِسَرَائِرِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ».

وَقَالَ قَوْمٌ: «إِنَّمَا سُمُّوا صُوفِيَّةً لِقُرْبِ أَوْصَافِهِمْ مِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ الصَّفَّةِ^(٢) الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَقَالَ قَوْمٌ: «إِنَّمَا سُمُّوا صُوفِيَّةً لِإِسْبِهِمُ الصُّوفِ»^(٣).

(١) بشر بن الحارث الحافي: يكنى أبا نصر. ولد في بغداد سنة خمسين ومائة (١٥٠ هـ) رحل بشر رضي الله عنه في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة، وسمع من خلق كثير، غير أنه لم يتصدَّ للرواية فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير، وتوفي عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول، وقيل لعشر خلون من المحرم، سنة سبع وعشرين ومائتين (٢٢٧ هـ) وقد بلغ من العمر حمساً وسبعين سنة، وقيل سبعاً وسبعين (انظر صفة الصفة لأبي الفرج ابن الجوزي، ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، والطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٧ ص ٢٤٦؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠. والطبقات الكبرى للشمس القمي، ج ١ ص ٧٢، طبعة المكتبة النعية. وحلية الأولياء: ج ٨ ص ٣٣٦ - ٣٦٠، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨).

(٢) قال السهروردي في عوارف المعارف (ص ٨٤): هذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة، وكانوا نحواً من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشار، جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط، وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة، كانوا يحتضنون ويرضخون النوى بالنهار، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته، وكان رسول الله ﷺ يواسيهم ويحث الناس على مؤاساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم.

(٣) هذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الانتساق، لأنه يقال «تصوف» إذا لس الصوف، كما يقال «تقمص» إذا لس القميص. أشار إلى ذلك الإمام السهروردي في عوارف المعارف (ص ٨٣) وأصاف. ولما كان حالهم بين سير وطير لتقليبهم في الأحوال وارتقائهم من حال إلى أعلى منه، لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت، وأبواب المزيد علمياً وحالاً عليهم مفتوحة، وبواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم، فلما تعدد تقليدُهم بحال تقليدُهم لتنوع وحدانيهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبنة، وكان =

وَأَمَّا مَنْ نَسَبَهُمْ إِلَى الصُّفَّةِ وَالصُّوفِ فَإِنَّهُ عَبَّرَ عَنْ ظَاهِرِ أَحْوَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ قَدْ تَرَكَوا الدُّنْيَا، فَخَرَجُوا عَنِ الأَوْطَانِ، وَهَجَرُوا الأَخْدَانَ^(١)، وَسَاحُوا فِي البِلَادِ، وَأَجَاعُوا الأَكْبَادَ، وَأَعْرَوْا الأَجْسَادَ، لَمْ يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ، مِنْ سِتْرِ عَوْرَةٍ وَسَدِّ جَوْعَةٍ.

فَلِخُرُوجِهِمْ عَنِ الأَوْطَانِ سُمُّوا غُرَبَاءَ، وَلِكثْرَةِ أَسْفَارِهِمْ سُمُّوا سَيَّاحِينَ.
وَمَنْ سَيَّاحَيْتَهُمْ فِي البَرَّارِيِّ وَإِبْوَاتِهِمْ إِلَى الكُهُوفِ عِنْدَ الضَّرُورَاتِ سَمَّاهُمْ بَعْضُ أَهْلِ الدِّيَارِ^(٢) «شَكْفِيَّةً» وَالشَّكْفُ بِلُغَتِهِمْ: الغَارُ وَالكَهْفُ.
وَأَهْلُ الشَّامِ سَمَّوهُمْ «جُوعِيَّةً» لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَأَلَوْنَ مِنَ الطَّعَامِ قَدْرَ مَا يُقِيمُ الصُّلْبَ

= ذلك أن في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم؛ لأن ليس الصوف كان عالماً على المتقدمين من ملتهم، وأيضاً لأن حافهم حال المفربين كما سبق ذكره. ولما كان الاعتناء إلى القرب - وعطى الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والإشارة إليه - وقعت الإشارة إلى زبهم سراً لحالهم وعيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الإشارة إليه وتتداوله الألسنة، فكان هذا أقرب إلى الأدب، والأدب في الظاهر والباطن والقول والمعمل عماد أهل الصوفية؛ وفيه معنى آخر: وهو أن نستهم إلى النسبة تسيء عن تقلدهم من السديس ورهدهم فيما ندعو النفس إليه سالهري من الملبوس العام، حتى إن المبتدىء المرید الذي يؤثر طريقهم ويحب الدحول في أمرهم يوطن نفسه على التفتت والتقليل، ويعلم أن المأكول أيضاً من حسن الملبوس، فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدىء. والإشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بهذا أنفع وأولى؛ وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال إنهم سمو صوفية لذلك يتضمن دعوى إذا قيل سمو صوفية للبهم الصوف كان أبعد من الدعوى، وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم. وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم، ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن، والحكم بالظاهر أوفق وأولى. فالقول بأنهم سمو صوفية للبهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع. ويقرب أن يقال: لما أثروا الديبول والمخمور والتواضع والانكسار والتخفي والتواضع، كانوا كالخرقة الملقاة والصدفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها، فيقال «صوفي» نسبة إلى الصوفة، كما يقال «كوفي» نسبة إلى الكوفة؛ وهذا ما ذكره بعض أهل العلم، والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق. ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقنين والعباد.

(١) الأخدان والخدناء جمع خدن وخدين، وهو الصديق والصاحب المحدث الذي يخادتك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن (لسان العرب: مادة خدن).

(٢) يريد أهل حراسان، فقد قال السهروردي في عوارف المعارف (ص ٨٥). كان منهم طائفة بحراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن، ويسمونهم في حراسان شكفية

للمضرورة، كما قال النبي ﷺ: «يَحْسِبُ ابْنُ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقِمِّنُ صَلْبَهُ»^(١).
 وقال السري السقطي^(٢) ووصفهم فقال: «أَكَلْتَهُمْ أَكَلُ الْمَرَضِيِّ، وَنَوْمُهُمْ نَوْمُ
 الْغَرَقِيِّ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْخَرَقِيِّ»^(٣).
 وَمِنْ تَخْلِيهِمْ عَنِ الْأَمْلَاقِ سُمُّوا فَقَرَاءً.

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مِنَ الصُّوفِيِّ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَمْلِكُ وَلَا يُمْلِكُ»؛ يَعْنِي: لَا
 يَسْتَرْقُهُ الطَّمَعُ.

وَقَالَ آخَرُ: «هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَإِنْ مَلَكَهُ بَدَلَهُ».

وَمِنْ لِيَجِبَهُمْ وَزِيْبَهُمْ سُمُّوا صُوفِيَّةً، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَسُوا لِحْطُوطِ النَّفْسِ مَا لِأَنَّ مَشَهُ
 وَحَسَنَ مَنظَرَهُ، وَإِنَّمَا لَبَسُوا لِيَسْتَرِ الْعَوْرَةَ، فَتَجَزَّأُوا^(٤) بِالْحَشِينِ مِنَ الشَّعْرِ، وَالغَلِيظِ مِنَ
 الصُّوفِ.

ثم هذه كلها أحوال أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، فإنهم
 كانوا غرياء فقراء مهاجرين، أخرجوا من ديارهم وأموالهم. ووصفهم أبو هريرة^(٥)

(١) من حديث المقدم بن معديكرب الكندي، وتامه: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم
 أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثقت ل طعامه وثقت ل شرابه وثقت ل نفسه». أخرجه الترمذي في
 صحيحه (كتاب الزهد، باب ٤٧) واللفظ له، والإمام أحمد في مسنده: ج ٤ ص ١٣٢.
 (٢) هو أبو الحسن السري بن المنس السقطي، خال أبي القاسم الجني وأستاذه. توفي يوم الثلاثاء لست
 خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وقيل: سنة إحدى وخمسين ومائتين (صفة الصفوة:
 ج ٢ ص ٢٤٢-٥١٢، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٧٤، وحلية الأولياء: ج ١ ص ١١٦-١٢٧).
 (٣) الخرقى جمع أخرق، وهو الجاهل الأحمق. وقد وصف كلامهم بأنهم ككلام الخرقى لأنه يعنى على
 مستحميه فلا يفهمونه فيظنونه بلا معنى أو مغزى ككلام الحمقى.
 (٤) كذا بالأصل، ولعل الصواب «فتجزأوا» ففي لسان العرب (مادة جزأ): «جزأ بالشيء» وتجزأ: قنع واكتفى
 به.

(٥) صحابي جليل، كان اسمه عبد شمس فسمي في الإسلام عبد الله، وقيل: اسمه عبد نهم، وقيل: عبد
 غنم، وقيل: سكين، وقال الكلبي: اسمه عمير بن عامر الدوسي. قدم أبو هريرة سنة سبع والنبي ﷺ
 بخيبر، فسار إلى خيبر حتى قدم مع النبي ﷺ إلى المدينة، وصحبه أربع سنين. وتوفي سنة تسع
 وخمسين في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وكان له يوم توفي ثمان وسبعون سنة. (انظر الطبقات
 الكبرى لابن سعد: ج ٤ ص ٢٤٢-٢٥٤).

وَفَضَالَةَ بِنِ عُبَيْدٍ^(١) فَقَالَا: «يَخْرُونَ مِنَ الْجُوعِ حَتَّى تَحْتَسِبَهُمُ الْأَعْرَابُ مَجَانِينَ. وَكَانَ لِيَأْسُهُمُ الصُّرْفُ، حَتَّى إِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَغْرَقُ فِيهِ فَيُوجَدُ مِنْهُ رَائِحَةُ الضَّانِ إِذَا أَصَابَهُ الْمَطَرُ».

هَذَا وَصَفَ بَعْضَهُمْ لَهُمْ، حَتَّى قَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ^(٢) لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ لِيُؤْذِينِي رِيحُ هَؤُلَاءِ أَمَا يُؤْذِيكَ رِيحُهُمْ؟».

ثُمَّ الصُّرْفُ لِبَاسُ الْأَنْبِيَاءِ، وَزِيُّ الْأَوْلِيَاءِ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ^(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ مَرَّ بِالصَّخْرَةِ مِنَ الرُّوحَاءِ^(٤) سَبْعُونَ نَبِيًّا حُفَاءً عَلَيْهِمُ الْعَبَاءُ يُؤْمُونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ^(٥)».

(١) فضالة بن عبيد بن نافع بن قيس الأنصاري. شهد أهداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ؛ ثم خرج إلى الشام فنزل دمشق وبنى بها داراً، وكان قاضياً بها في زمن معاوية بن أبي سفيان. مات بدمشق في خلافة معاوية بن أبي سفيان (المرجع السابق: ج ٧ ص ٢٨١، وحلية الأولياء: ج ٢ ص ١٧).

(٢) عيينة بن حصن، أو ابن حُصَيْن كما ذكره في تهذيب الأسماء واللغات، ويقال أيضاً عيينة بن بدر نُسب إلى جدِّ جده. أسلم بعد الفتح، وقيل قبله، وشهد حيناً والطلائف، وكان من المؤلفين والأعراب الجفأة. ارتدَّ وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأسرته الصحابة وحملوه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأسلم فأطلقه. (انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج ٢ ص ٤٨ - نسخة مصورة في دار الكتب العلمية، بيروت)

(٣) اسمه عبد الله بن قيس قال ابن سعد: أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، وأول مشاهدته خير. ولأه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها فنزل الكوفة وابتنى بها داراً وله بها عقب. واستعمله عثمان بن عفان على الكوفة فقتل عثمان وأبو موسى عليها، ثم قدم على الكوفة فلم يزل أبو موسى معه؛ وهو أحد الحكمين. ومات بالكوفة سنة اثنتين وأربعين. وقال أبو بكر بن عبد الله بن أبي جهم: ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، ومات سنة اثنتين وخمسين (انظر الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٩٤ و ٩٥).

(٤) في معجم البلدان: هي من عمل الفرع على نحو من أربعين يوماً، وفي كتاب مسلم بن الحجاج: على ستة وثلاثين يوماً، وفي كتاب ابن أبي شيبة: على ثلاثين يوماً (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي: ج ٣ ص ٨٧ - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠). وفي صحيح مسلم (كتاب الصلاة، حديث ١٥) عن جابر قال: سمعت النبي يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء» قال سليمان فسألته عن الروحاء فقال: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلاً.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٣ ص ٢٢٠) من حديث أبي موسى الأشعري ومن حديث أنس بن مالك. وفي الحديثين زيادة «منهم نبي الله موسى».

وقال الحسنُ البصريُّ^(١) : «كان عيسى عليه السلام يلبسُ الشعرَ، ويأكلُ مِن الشجرةِ، وَيَبِيْتُ حَيْثُ أُمِّي» .

وقال أبو موسى : «كان النبي ﷺ يلبسُ الصُوفَ، وَيَرْكَبُ الحِمَارَ، وَيَأْتِي مَدْعَاةَ^(٢) الضَّعِيفِ»^(٣) .

وقال الحسنُ البصريُّ : «لَقَدْ أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا مَا بَيْنَ لِبَاسِهِمْ إِلَّا الصُّوفُ» .
فلما كانت هذه الطائفةُ بِصِفَةِ أَهْلِ الصُّفَّةِ فيما ذكّرنا، ولبسهم وزِيهم زي أهلها، سُمُوا صُفِّيَّةً وصوفيةً .

ومن نسبهم إلى الصُّفَّةِ والصُّفِّ الأوَّلِ فإنه عَبَّرَ عن أسرارهم وبواطنهم، وذلك أن من ترك الدنيا وزَهْدَها وأَعْرَضَ عنها، صَفَّى اللهُ سِرَّهُ، ونوَّرَ قَلْبَهُ .

قال النبي ﷺ : «إِذَا دَخَلَ التُّورُ فِي القَلْبِ انشَرَحَ وانْفَسَحَ» ، قيل : وما علامةُ ذلك يا رسول الله؟ قال : «التَّجَافِي عَنِ دَارِ الثُّرُورِ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ، وَالإِسْتِعْذَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»^(٤) .

فاخبر النبي ﷺ أن من تجافى عن الدنيا نوَّرَ اللهُ قلبه .

وقال حارثة حين سأله النبي ﷺ : «مَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» قال : عَزَفْتُ بِنَفْسِي عَنِ

(١) الحسن بن أبي الحسن البصري، يكنى أبا سعيد. واسم أبي الحسن يار، يقال إنه من سبي ميسان وقع إلى المدينة فاشترته الربيع بنت النضر عمه أنس بن مالك فأعتقه. ولد الحسن في خلافة عمر وحكاه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ فربما غابت فتعطيها أم سلمة ثديها تعلقه به إلى أن نجى أمه فبدر عليه ثديها فشربه، فكانوا يقولون: فصاحت من بركة ذلك. توفي الحسن في سنة عشر ومائة (انظر طبقات ابن سعد: ج ٧ ص ١١٤ - ١٢٢، وطبقات الشعرائي: ج ١ ص ٢٩، وصفة الصفة: ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٧، وحلية الأولياء: ج ٢ ص ١٣١ - ١٦١).

(٢) المدعاة والجدعاة: ما دعوت إليه من طعام وشراب (لسان العرب: مادة دعا).

(٣) وردت عدة أحاديث في لبس النبي ﷺ الصوف وركوبه الحمار وإجابته الدعوة.

(٤) أخرجه الغزالي في إحياء علوم الدين، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: إن صدر هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرک. وأخرج الحديث الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، والسيوطي في الدر المنثور، وابن كثير في تفسيره، والقرطبي في تفسيره.

الدنيا، فاظلماتُ نهاري، وأشهرتُ ليلي، وكانني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكانني أنظر إلى أهل الجنة يتراورون، وإلى أهل النار يتعادون.

فأخبر أنه لما عَزَفَ عن الدنيا نَوَّرَ اللهُ قلبه، فكان ما غاب عنه بمنزلة ما يشاهده. وقال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَبْدٍ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَارِثَةَ»^(١) فأخبر أنه منور القلب.

وسُميت هذه الطائفة نُورِيَّةً لهذه الأوصاف.

وهذا أيضاً من أوصاف أهل الصِّفَّة، قال الله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والتطهّر بالظواهر عن الأنجاس، وبالباطن عن الأهجاس^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]. ثم لصفاء أسرارهم تُصَدِّقُ فراسِطَهُمْ^(٣).

قال أبو أمامة الباهلي^(٤) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِتُورِ اللَّهِ»^(٥).

(١) الحديث أخرجه الغزالي في الإحياء، ولفظه: لما قال حارثة لرسول الله ﷺ أنا مؤمن حقاً، قال: «وما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها، وكانني بالجنة والنار وكانني يعرش ربي بارزاً، فقال: ﷺ «عرفت فالزم! عبد نور الله قلبه بالإيمان». (انظر إحياء علوم الدين للغزالي: ج ٤ ص ٢٣٤، باب بيان فضيلة الزهد - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦) وقال الحافظ العراقي في تخرج أحاديث الإحياء: الحديث أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف.

(٢) الهَجَسُ: ما وقع في خَلْدِكَ، والهَاجَسُ: الخاطر.

(٣) الفِرَاسَةُ في اللغة: الثبَت والنظَر. وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب (انظر التعريفات للمرجاني: ص ١٦٦).

(٤) أبو أمامة الباهلي واسمه الصُّدَيْي بن عجلان. من كبار الصحابة. توفي بالشام سنة ست وثمانين من خلافة عبد الملك بن مروان وهو ابن إحدى وستين سنة (طبقات ابن سعد: ج ٧ ص ٢٨٨، ٢٨٩. وصفة الصفوة: ج ١ ص ٣٧٢ و٣٧٣).

(٥) هذا الحديث رواه الترمذي في السنن، وأبو حنيفة في مسنده، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والطبراني في

وقال أبو بكر الصديق^(١) رضي الله عنه: «ألقى في روعي^(٢) أن ذا بطن بنت خارجة»، فكان كما قال.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْحَقَّ لَيَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ^(٣)».

وقال أوس القرني^(٤) لهزم بن حيان^(٥) حين سلم عليه: «وعليك السلام يا هَرَمَ»

= المعجم الكبير، وابن كثير في تفسيره، والزبيدي في إتعايف السادة المتقين، وابن حجر في فتح الباري، والمتقي الهندي في كنز العمال، وابن حجر في لسان الميزان، والشوكاني في الفوائد المجموعة، وابن عراق في تنزيه الشريعة، والبخاري في التاريخ، والعجلوني في كشف الخفاء، والسيرطي في تفسير الدر المنثور، والعقيلي في الضعفاء.

(١) اسمه عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان، توفي أبو بكر رضي الله عنه مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

(٢) الروع (بضم الراء): القلب والعقل، ووقع ذلك في روعي: أي نفسي وخَلْدِي وبالي (انظر اللسان: مادة روع).

(٣) لم أجد هذا اللفظ، وفي سنن الترمذي (كتاب المناقب، باب ١٨) من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبَهُ» قال الترمذي: وفي الباب عن الفضل بن العباس وأبي ذر وأبي هريرة. وأخرجه بلفظ الترمذي ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج ٣ ص ٢٠٥) من حديث أيوب بن موسى. وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ «إِنَّ الْحَقَّ يَنْزِلُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ».

(٤) اختلف في اسمه فقيل: أوس بن عامر بن جزء بن مالك، كما ذكره ابن سعد في الطبقات. وفي صفة الصفوة: أوس بن عامر بن جرير، وقال علقمة بن مرثد: أوس بن أنيس، وقيل: أوس بن الحليس. وهو من الطبقة الأولى من التابعين ومن كبار زهادهم؛ ويروى أن النبي ﷺ ذكره لأصحابه وأوصى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد اختلف في وقت موته، فروى ابن الجوزي في صفة الصفوة عن عبد الله بن سالم قال: غزونا أذربيجان في زمن عمر بن الخطاب ومعنا أوس القرني، فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يشمك فمات. وروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى منا يوم صلين: أفي القوم أوس القرني؟ فوجد في ثلثي علي عليه السلام. قال ابن الجوزي: هذا هو الصحيح. (انظر صفة الصفوة لابن الجوزي: ج ٣ ص ٣٥، وطبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٢٠٤ - ٢٠٧، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٢٧، وحلية الأولياء: ج ٢ ص ٧٩ - ٨٧).

(٥) هرم بن حيان العبدي من الطبقة الأولى من التابعين، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. روى عنه الحسن البصري؛ وقال: مات هرم بن حيان لي يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت صحابة تسم حتى قامت على قبره فلم تكن أطول منه ولا أقصر، فرشته حتى روته ثم انصرفت. (انظر صفة الصفوة: ج ٣ ص ١٤١ و ١٤٢، وطبقات ابن سعد: ج ٧ ص ٩٤ - ٩٦، وطبقات الشعراني: =

أَبْنِ حَيَّانَ» ولم يكن رآه قبل ذلك؛ ثم قال له: «عَرَفَ رُوحِي رُوحَكَ».

وقال أبو عبد الله الأنطاكي^(١): «إِذَا جَالَسْتُمْ أَهْلَ الصِّدْقِ فَجَالِسُوهُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُمْ جَوَاسِسُ الْقُلُوبِ يَدْخُلُونَ فِي أَسْرَارِكُمْ وَيَخْرُجُونَ مِنْ هِمَمِكُمْ».

ثم من كان بهذه الصفة من صفوة سره وطهارة قلبه ونور صدره فهو في الصف الأول، لأن هذه أوصاف السابقين.

قال النبي ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثم وصفهم وقال: «الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ^(٢)، وَلَا يَكُونُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ^(٣)، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٤).

فلصفاء أسرارهم، وشرح صدورهم، وضياء قلوبهم: صحَّت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلى الأسباب ثقةً بالله عز وجل، وتوكلاً عليه، ورضاً بقضائه.

فقد اجتمعت هذه الأوصاف كلها ومعاني هذه الأسماء كلها في أسامي القوم وألقابهم، وصحَّت هذه العبارات وقُرئت هذه المأخذ.

وإن كانت هذه الألفاظ متغايرة^(٥) في الظاهر، فإن المعاني متفقة؛ لأنها إن أخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية.

وإن أُضيفت إلى الصفِّ أو الصفِّة كانت صفوية أو صفوية، ويجوز أن يكون تقديم

ج ١ ص ٢٩، وحلية الأولياء: ج ٢ ص ١١٩ - ١١٢).

(١) هو أحمد بن عاصم الأنطاكي، يكنى أبا عبد الله ويقال أبا علي. من متقدمي مشايخ الثغور، وكان يقال له جاسوس القلوب. توفي سنة ٣٦٧ هـ. (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ٢٣١ - ٢٣٣) وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٣ وحلية الأولياء: ج ٩ ص ٢٨٠ - ٢٩٧).

(٢) الاسترقاء: طلب الرقية.

(٣) الاكتواء: استعمال الكي في البدن، وهو إحراق الجلد بحديدة محيطة.

(٤) أخرجه من حديث عمران بن حصين: البخاري في صحيحه (كتاب الطب باب ١٧) ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان، حديث ٣٧١ و ٣٧٢) والإمام أحمد في مسنده (ج ١ ص ٤٠١)؛ ومن حديث ابن عباس: البخاري (كتاب الطب باب ٤٢، وكتاب الرقاق باب ٢١، و ٥٠) ومسلم (كتاب الإيمان، حديث ٣٧٤)؛ ومن حديث ابن مسعود: الإمام أحمد في المسند (ج ١ ص ٤٠٣ و ٤٥٤).

(٥) في الأصل «متغيرة» ولعل الصواب ما أثبتناه.

الواو على الفاء في لفظ الصوفية وزيادتها في لفظ الصّفية والصّفية إنما كانت من تداول الألسن .

وإن جعل مأخذه من الصوف، استقام اللفظ، وصحّت العبارة من حيث اللغة .
وجميع المعاني كلها من التخلّي عن الدنيا وعزوف النفس عنها، وترك الأوطان
ولزوم الأسفار، ومنع النفوس حظوظها، وصفاء المعاملات، وصفوة الأسرار،
وانسراح الصدور، وصفة السّباق^(١) .

وقال بندار بن الحسين^(٢) : «الصّوفيّ من اختارهُ الحقُّ لنفسيهِ فصافاهُ، وعنّ
نفسه برّاهُ، ولم يُرِدْهُ إلى تَعَمُّلٍ وَتَكَلُّفٍ بِدَعْوَى وَصُوفِيٍّ عَلَى زِنَةِ عُوفِيٍّ، أَي عَافَاهُ اللهُ
فَعُوفِيٌّ وَكُوفِيٌّ، أَي كَافَاهُ اللهُ فَكُوفِيٌّ؛ وَجُوزِيٌّ، أَي جَازَاهُ اللهُ، فِيعَلُ اللهُ بِهِ ظَاهِرٌ
فِي اسْمِهِ وَاللهُ الْمُتَفَرِّدُ بِهِ»^(٣) .

وقال أبو علي الروذباري^(٤) وسئل عن الصوفي فقال: «مَنْ لَبَسَ الصُّوفَ عَلَى
الصُّفَاءِ، وَأَطْعَمَ الْهَوَى ذَوْقَ الْجَفَاءِ، وَكَانَتْ الدُّنْيَا مِنْهُ عَلَى الْقَفَاءِ، وَسَلَّكَ مِنْهَا جَاحَ

(١) قوله: «وجميع المعاني...» إلى قوله: «...» وصفة السباق؛ هو تعليق على الأقوال السابقة والأقوال اللاحقة، فكان من الأنسب لو جعلها بعد سرده لمختلف الأقوال في اشتقاق الصوفي .

(٢) كذا أيضاً في طبقات الشعراني، وفي حلية الأولياء: أبو الحسين بندار بن الحسن . قال أبو نعيم: كان يعلم الأصول مهذباً، وفي الحقائق مقرباً . كان له القلب العقول واللسان السؤل . وكان للمخلصين عضداً ولليريدين مسدداً . توفي سنة ٣٥٣ هـ، وهو شيرازي المولد سكن أرجان (انظر حلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٨٤، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ١٢١) .

(٣) هذا الكلام قاله بندار عندما سئل عن الفرق بين المتصوفة والمتفرقة، وأضاف في وصف المتفرق: «قال: «وأما المتفرق فهو المتكلف بنفسه والمظهر لزهده مع كمنون رغبته وترثية بشريته، واسمه مضمير في فعله لرؤيته نفسه ودعواه». وسئل أيضاً عن الفرق بين التفرقي والتصوف، فقال: «القاري هو الحافظ لربه من صفات أوامره والصوفي الناظر إلى الحقّ فيما حفظ عليه من حاله» (انظر المرجع السابق: ج ١٠ ص ٣٨٥) .

(٤) قال أبو نعيم: اسمه أحمد بن محمد بن محمد بن مقسم . وفي صفة الصفوة: اسمه أحمد بن القاسم، هكذا ذكره السلمي وصححه، وقال أبو بكر الخطيب: اسمه محمد بن أحمد، وصحح ذلك . بغدادي انتقل إلى مصر وتوفي بها سنة ٣٢٢ وقيل سنة ٣٢٣ صحب الجيد والنوري وابن الجلاء والمسوحى وغيرهم، وأسند الحديث (انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٥٦، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٩٣، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ١٠٦) .

المُصْطَفَى .

وسئل سهل بن عبد الله التُّستري^(١) : من الصوفي ؟ فقال : «مَنْ صَفَا مِنَ الْكَدْرِ، وَامْتَلَأَ مِنَ الْفِكْرِ، وَأَنْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْبَشْرِ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْمَدْرُ^(٢)»^(٣) .
وسئل أبو الحسن النوري^(٤) : ما التصوف ؟ فقال : «تَرَكَ كُلَّ حَظٍّ لِلنَّفْسِ» .

وسئل الجُنَيْدُ^(٥) عن التصوف، فقال : «تَصْفِيَةُ الْقَلْبِ عَنْ مُوَافَقَةِ الْبَرِيَّةِ، وَمُفَارَقَةِ الْأَخْلَاقِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَإِخْمَادُ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَمُجَانِبَةُ الدَّوَاعِي النَّفْسَانِيَّةِ، وَمُنَازَلَةُ الصِّفَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَالتَّعَلُّقُ بِالْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَاسْتِعْمَالُ مَا هُوَ أَوْلَى عَلَى الْأَبَدِيَّةِ،

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع التستري أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعبود الأنفال . تخرَّج عن خاله محمد بن سوار ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم . توفي سنة ٢٨٣ ، وقبل سنة ٢٧٣ (انظر حلية الأولياء : ج ١٠ ص ١٨٩ - ٢١٢ ، وصفة الصفوة : ج ٤ ص ٥٨ ، ٥٩ ، وطبقات الشعراي : ج ١ ص ٧٧ . وانظر أيضاً ما قاله السلمي في الطبقات - عن حاشية صفة الصفوة) .

(٢) المدر : قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العلك الذي لا رمل فيه (انظر لسان العرب مادة مدر) .

(٣) ينسب مثل هذا الكلام إلى أبي بكر الشلي ، سئل : من الصوفي ؟ قال : «من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلا من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر» (انظر حلية الأولياء : ج ١ ص ٢٣) .

(٤) كذا ورد هنا ، وصوابه «أبو الحسين النوري» وقد ذكره في الباب الثالث على الصواب «أبو الحسين» . واسمه أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ولذلك كان يعرف بابن البغوي . لقي أحمد بن أبي الحواري وصاحب سرياً السقطي ، وتوفي سنة ٢٩٥ . (حلية الأولياء : ج ١٠ ص ٢٤٩ ، وصفة الصفوة : ج ٢ ص ٢٨٣) وطبقات الشعراي ج ١ ص ٨٧) .

(٥) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز القواريري كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازاً ، وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد . لقي خلقاً من العلماء ، وكان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل أبي عبيد وأبي ثور ، فأحكم الأصول . وصحب خاله السري السقطي والحارث بن أسد المحاسي ، فلما سلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله . توفي الجنيد يوم السبت في شوال سنة ٢٩٨ ، وقيل سنة ٢٩٧ ، وغسله أبو محمد الحريري وصلى عليه ولده ، وحزروا الجمع الذي صلى عليه فكانوا نحو مئتين ألفاً . (حلية الأولياء : ج ١٠ ص ٢٥٥ ، وصفة الصفوة : ج ٢ ص ٢٧٠ ، وطبقات الشعراي : ج ١ ص ٨٤) .

والتَّصَحُّحُ لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، وأتباع الرسول ﷺ في الشريعة»^(١).

وقال يوسف بن الحسين^(٢): «لكل أمة صفة، وهم وديعة الله الذين أخفاهم عن خلقه، فإن يكن منهم في هذه الأمة، فهم الصوفية».

قال رجل لسهل بن عبد الله التستري: من أصحَب من طوائف الناس؟

فقال: «عليك بالصوفية، فإنهم لا يستكبرون، ولا يستكبرون شيئاً، ولكل فعل عندهم تأويل»^(٣)، فهم يعذرونك على كل حال».

وقال يوسف بن الحسين: سألت ذا النون من أصحَب؟ فقال: «من لا يملك ولا ينيكرك عليك حالاً من أحوالك، ولا يتغير بتغيرك وإن كان عظيماً، فإنك أحوج ما تكون إليه أشد ما كنت تغيراً»^(٤).

وقال ذو النون^(٥): رأيت امرأة ببعض سواجل الشام، فقلت لها: من أين

(١) هذه الصفات التي ذكرها الجنيدي من صميم الدين. ونشير هنا إلى أن الجنيدي لم يشطح كما شطح غيره من المتصوفة، فبقي في حدود القرآن والسنة ولم يدع الكرامات والرؤية واللقاء وغيرها من الأمور التي ادعها البعض. ويؤكد ما قلنا أقوال الجنيدي، فمنها قوله: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتضى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه». وقيل له: هل عاينت أو شاهدت؟ فقال: «لو عاينت تزددت ولو شاهدت تحيرت، ولكن حيرة في تبه وتبه في حيرة». وذكر رجل المعرفة فقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله، فقال الجنيدي: «إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يزني ويسرق أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، وإنه لاؤكد في معرفتي وأقوى في حالي». (انظر حلية الأولياء: ج ١٠ ص ٢٥٧ و ٢٧٤ و ٢٧٨).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي. صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشي وأبا سعيد الخزاز، وسمع من أحمد بن حنبل. وتوفي سنة ٣٠٤ (حلية الأولياء: ج ١٠ ص ٢٣٨، وصفة الصفة: ج ٤ ص ٩٤، وطبقات الشعراء: ج ١ ص ٩٠).

(٣) قوله «ولكل فعل عندهم تأويل» بيان لقوله «لا يستكبرون شيئاً».

(٤) وسئل ذو النون عن الصوفي فقال: «من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق» (حلية الأولياء: ج ١ ص ٢٢).

(٥) هو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري. أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال:

أَقْبَلْتُ رَحِمَكَ اللهُ؟ قالت: مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا^(١)، قلت: وَأَيُّنَ تُرِيدِينَ؟ قالت: إِلَى رِجَالٍ لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٢). قلت: صِفِيهِمْ لِي! فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّوِ قَدْ عَلِقَتْ
فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ
مَا إِنْ تَنَازَعُهُمْ دُنْيًا وَلَا شَرَفٌ
وَلَا لِبَسِ بُيَابِ فَائِقِي أَيْقِي
إِلَّا مُكَارَعَةٌ فِي إِثْرٍ مَنْزِلَةٍ
فَهُمْ زَهَائِنُ غُدْرَانٍ وَأُودِيَةٍ
فَمَا لَهُمْ هَمٌّ هَمٌّ تَسْمُو إِلَى أَحَدٍ
يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمُ لِلْوَالِدِ الصَّمَدِ
مِنَ الْمَطَاعِمِ وَاللَّدَائِبِ وَالْوَالِدِ
وَلَا لِرُوحِ سُرُورٍ حَلٌّ فِي بَلَدٍ
قَدْ قَارَبَ الْخَطُوبَ فِيهَا بِأَعْدُ الْأَبَدِ
وَفِي الشَّوَامِخِ تَلْقَاهُمْ مَعَ الْعَدْدِ

الباب الثاني

في رجال الصوفية

ممن نطقَ بعلومهم وعبرَ عن مواجيدهم ونشرَ مقاماتهم ووصفَ

أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم

علي بن الحسين زيد العابدين^(٣)، وابنه محمد بن علي الباقر^(٤)، وابنه جعفر

لها إخميم، نزل مصر. ويقال اسمه الفيض، ويقال ثوبان، وذو النون لقب. أسند أحاديث كثيرة عن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وابن لهيعة وغيرهم وتولي بالجيزة وحمل في مركب إلى الفسطاط خوفاً عليه من زحمة الناس على الجسر، ودفن في مقابر أهل المعافر، وذلك في يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ٢٤٦. هكذا ذكر وفاته ابن الجوزي، وذكر ابن العماد الحلبي في كتابه شذرات الذهب أنه توفي سنة ٢٤٥. (انظر ترجمة ذي النون في صفة الصفة: ج ٤ ص ٢٦١ - ٢٦٥، وفي حلية الأولياء: ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥، وج ١٠ ص ٣، ٤، وفي طبقات الشعراني: ج ١ ص ٧٠.)

(١) تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴿ الآية ١٦ من سورة السجدة.

(٢) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ﴿ الآية ٣٧ من سورة النور.

(٣) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم ولد اسمها غزالة. وهو علي الأصغر ابن الحسين،

ابن محمد الصادق^(١) رضي الله عنهم، بعد علي^(٢)، والحسن^(٣)، والحسين^(٤) رضي الله عنهم، وأويس القرني^(٥) وهرم بن حيّان^(٦)، والحسن بن أبي الحسن البصري^(٧) وأبو حازم سلمة بن دينار المدني^(٨)، ومالك بن دينار^(٩)، وعبد الواحد بن زيد^(١٠)،

وأما علي الأكبر ابن الحسين فقتل مع أبيه بكر بلاء وليس له عقب. كان إماماً عابداً زاهداً ورعاً شديد الخوف من الله تعالى، وكان لا يترك قيام الليل في سفر ولا حضر. توفي بالمدينة سنة ٩٤، وقيل سنة ٩٢، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة (انظر طبقات ابن سعد: ج ٥ ص ١٦٢ - ١٧٢، وحلية الأولياء: ج ٣ ص ١٣٣ - ١٤٥، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٦٦ - ٧٢، وطبقات الشمراني: ج ١ ص ٣١).

(٤) أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. سمي الباقر لانه بقر العلم أي شقّه فعرف حقيقته. توفي سنة ١١٧، وقيل سنة ١١٨، وقيل سنة ١١٤، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل ثمان وخمسين، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه. (انظر طبقات ابن سعد: ج ٥ ص ٢٤٦ - ٢٤٩ وحلية الأولياء: ج ٣ ص ١٨٠ - ١٩٢، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٧٧ - ٨٠ وطبقات الشمراني: ج ١ ص ٣٢).

(١) يكنى أبا عبد الله، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق؛ قال أبو نعيم الأصفهاني: الإمام الناطق ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع. وآثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع. توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ١٤٨. (انظر حلية الأولياء: ج ٣ ص ١٩٢ - ٢٠٦، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧، وطبقات الشمراني: ج ١ ص ٣٢)

(٢) قتل رضي الله عنه سنة ٤٠ للهجرة.

(٣) ولد رضي الله عنه سنة ثلاث من الهجرة، وتوفي سنة ٥٠، وقيل سنة ٤٩. ودفن بالبقيع.

(٤) ولد رضي الله عنه سنة أربع من الهجرة، وقتل يوم عاشوراء في محرم سنة ٦١.

(٥) انظر ترجمته صفحة ١٦ حاشية (٤).

(٦) انظر ترجمته صفحة ١٦ حاشية (٥).

(٧) انظر ترجمته صفحة ١٤ حاشية (١).

(٨) من كبار التابعين، كان عابداً زاهداً، وكان يقصّ بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة. أسند عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، وقيل إنه رأى أبا هريرة. توفي في خلافة أبي جعفر المنصور بعد سنة ١٤٠. انظر طبقات ابن سعد: ج ٥ ص ٤٢١، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٣، وحلية الأولياء: ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٥٩).

(٩) يكنى أبا يحيى، مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي. وكان ثقة قليل الحديث، وكان يكتب المصاحف.

أسند عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين. وتوفي قبل الطاعون يبر، وكان الطاعون سنة

١٣١. (انظر طبقات ابن سعد: ج ٧ ص ١٨٠، وطبقات الشمراني: ج ١ ص ٣٧، وصفة الصفوة: ج ٣

ص ١٨٤ - ١٩٤، وحلية الأولياء: ج ٢ ص ٣٥٧ - ٣٨٨).

وعتبة الغلام^(١)، وإبراهيم بن أدهم^(٢)، والقُضَيْلُ بن عِيَاض^(٣)، وابنه علي بن القُضَيْل^(٤)، وداوُد الطائي^(٥)، وسفيان بن سعيد^(٦)، وسفيان بن عيينة^(٧)، وأبو

(١٠) من تابعي التابعين، أسند عن الحسن البصري وأسلم الكوفي. قال محمد بن عبد الله الخزازي: صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة. (انظر صفة الصفة: ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٩، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٤٦).

(١) اسمه عتبة بن أبان بن صمعة، وإنما سمي الغلام لجده واجتهاده لصغر سنه. وقال أبو نعيم في حلية الأولياء: سأل رجل رباحاً القيسي فقال له: يا أبا المهاجر لأي شيء سمي عتبة الغلام؟ قال: كان نصفاً من الرجال، ولكننا كنا نسميه الغلام لأنه كان في العبادة غلام رهان.

كان عتبة من نساك أهل البصرة، وكان قد قوت نفسه سنين فلحقه يتعشى كل ليلة بفلقة ويتسحر بأخرى، وكان يصوم الدهر ويأتي السواحل والجبايين. استشهد في قتال الروم سنة ١٦١ هـ في قرية تسمى الحباب. (انظر صفة الصفة: ج ٣ ص ٢٥٠ - ٢٥٣، وطبقات الشعراني ج ١ ص ٤٧، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٢٢٦ - ٢٣٨).

(٢) كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم، فخرج إبراهيم يوماً في الصيد مع لمان والخدم والجناب واليزاف، فبينما هو على فرسه يركضه إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا الع...؟ «أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون؟» اتق الله وعليك بالزاد ليوم الساعة! فزل إبراهيم عن فرسه ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة.

روى إبراهيم عن جماعة من التابعين ومن تابعي التابعين. وتوفي بالجزيرة سنة ١٦٢ فحمل إلى صور فدفن هناك (انظر صفة الصخرة: ج ٤ ص ١٣٤ - ١٣٨، وحلية الأولياء: ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٩٥، وج ٨ ص ٥٨ - ٥٨، وشذرات الذهب: ج ١ ص ٢٥٥، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٦٨).

(٣) يكنى أبا علي. ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فزلاها إلى أن مات بها في أول سنة ١٨٧ في خلافة هارون الرشيد. (انظر طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٤٣، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٦٨. وله ترجمة راقية في حلية الأولياء: ج ٨ ص ٨٤ - ١٣٩، وفي صفة الصفة: ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٤).

(٤) مات في حياة أبيه، وأسند عن عبد العزيز بن أبي رواد وسفيان بن عيينة وغيرهما. عن محمد بن الحسن قال: كان علي بن الفضيل يصلي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا أبة سبني العابدون. وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه.

(٥) أبو سليمان داود بن نصير الطائي. سمع الحديث وفقه وعرف النحو وعلم أيام الناس وأمورهم ثم تعبد فلم يكن يتكلم في ذلك شيء. توفي رضي الله سنة ١٦٥ أو سنة ١٦٦ في خلافة المهدي (انظر طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٣٤٦، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٧٦، وحلية الأولياء: ج ٧ ص ٣٣٥ - ٣٦٧، وصفة الصفة: ج ٣ ص ٨٦ - ٩٦).

(٦) سفيان بن سعيد الثوري، لقبه شعبة بأمر المؤمنين في الحديث، وأخذ العلم عنه وهو ابن ثلاثين سنة. ولد سنة ٩٧ في خلافة سليمان بن عبد الملك، وتوفي بالبصرة وهو مستخفب سنة ١٦١ في خلافة =

سليمان الداراني^(١)، وابنه سليمان^(٢)، وأحمد بن الحواريّ الدمشقي^(٣)، وأبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري^(٤)، وأخوه ذو الكفل^(٥)، والسريّ بن المغلس القطي^(٦)، وبشر بن الحارث الحافي^(٧)، ومعروف الكرخي^(٨)، وأبو حنيفة

المهدي (انظر طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٣٥٠-٣٥٢، وحلية الأولياء: ج ٦ ص ٣٥٦-٣٩٣، وج ٧ ص ٣-١٤٤، وصفة الصفوة: ج ٣ ص ٩٧-١٠٠، وطبقات الشعرائي: ج ١ ص ٤٧).

(٧) كان ثقة ثباتاً كثير الحديث حجة. ولد سنة ١٠٧، وكان أصله من أهل الكوفة، وكان أبوه من عمال خالد ابن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر القضي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عبيدة بن أبي عمران بمكة فترزها.

أدرك سفيان بن عيينة ستة وثمانين نفساً من أعلام التابعين، وأسد عن جمهورهم كعمرو بن دينار والزهري وابن المنكدر وأبي حازم والأعمش وأيوب. وحدث عنه من كبار الأئمة: الثوري وشعبة والأعمش والأوزاعي. مات سفيان سنة ٩٨ ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة (انظر طبقات ابن سعد: ج ٦ ص ٤١، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ١٥٤-١٥٨، وحلية الأولياء: ج ٧ ص ٢٧٠-٣١٨، وطبقات الشعرائي: ج ١ ص ٥٦).

(١) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبيسي أو العسبي الداراني؛ وداريا قرية من قرى دمشق. قال أبو نعيم الأصبهاني: كان سير الأحوال ليحسب الأحوال فطهر من الأعلال لمدامته على الدؤوب والكلال. قال ابن الجوزي في صفة الصفوة: توفي أبو سليمان سنة ٢٠٥، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سنة ٢١٥. (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ١٨٩-١٩٧، وحلية الأولياء: ج ٩ ص ٢٥٤-٢٨٠، وطبقات الشعرائي: ج ١ ص ٧٩).

(٢) لم أجده له ترجمة.

(٣) يكنى أبا الحسن، واسم أبي الحواريّ ميمون. سكن دمشق، وكان له ابن يقال له عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له محمد يشبهه في الورع والزهد، وأبوه أبو الحواري من أهل الورع أيضاً، فيتهم بيت الورع والزهد. توفي أحمد بن أبي الحواري سنة ٢٠٣ (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ٢٠١، وطبقات الشعرائي: ج ١ ص ٨٢. وله ترجمة في حلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٣-٥).

(٤) انظر ترجمته ص ٢٠ حاشية (٥).

(٥) لم أجده له ترجمة.

(٦) انظر ترجمته ص ١٢ حاشية (٢).

(٧) انظر ترجمته ص ١٠ حاشية (١).

(٨) أبو محفوظ معروف بن الفيرزان الكرخي، ينسب إلى كرخ بغداد. كان من النصارى فأسلم؛ قال أخوه عيسى: كنت أنا وأخي معروف في الكتاب وكنا نصارى وكان المعلم يعلم الصبيان «آب وابن» فيصبح أخي معروف: أحد أحد، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً، حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً فهرب على وجهه فكانت أمي تبكي وتقول: لئن رذ الله عليّ ابي معروفاً لأتبعنه على أي دين كان. فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له: يا بني علي أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، قالت: أشهد أن =

المرعشي^(١)، ومحمد بن المبارك الصوري^(٢)، ويوسف بن أسباط^(٣) رحمهم الله .
ومن أهل خراسان^(٤)، والجبل^(٥): أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي^(٦)،
وأبو حفص الحداد النيسابوري^(٧)، وأحمد بن خضرويه البلخي^(٨)، وسهل بن عبد

- لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فأسلمت أمي وأسلمنا كلنا .
توفي معروف سنة ٢٠٠، وقبره ظاهر ببغداد ببيتك به . وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق
المجرب . (انظر صفة الصفوة: ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١٤، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٧٢؛ وله ترجمة في
حلية الأولياء: ج ٨ ص ٣٦٠ - ٣٦٨).
- (١) لم أجد هذا الاسم، ولعله حذيفة بن قتادة المرعشي . متعب زاهد، صاحب الثوري . وتوفي سنة ٢٠٧
(انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ٢٢٤ - ٢٢٦، وحلية الأولياء: ج ٨ ص ٢٦٧ - ٢٧١، وطبقات الشعراني:
ج ١ ص ٦٢).
- (٢) ترجم له في حلية الأولياء (ج ٩ ص ٢٩٨ - ٣١٧) وأورد من أقواله: أعمال الصادقين لله بالقلوب،
وأعمال المرانين بالجوارح للناس، فمن صدق فليقف موقف العمل لله لعلم الله به لا لعلم الناس لمكان
عمله .
- (٣) من قرية يقال لها شيخ . توفي سنة ١٩٩ . كان يقول: لأن تقطع يدي ورجلي أحب إلي من أن أكل من
دا المال شيئاً . (انظر حلية الأولياء: ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٥٣، وصفة الصفوة: ج ٤ ص ٢١٩ - ٢٢٢،
وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٦١).
- (٤) بلاد واسعة تشمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وأبورد وسرخس
وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون . (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي: ج ٢
ص ٤٠١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠).
- (٥) الجبل أو الجبال: اسم علم للبلاد المعروفة باصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين أصبهان إلى زنجان
وقزوین وهمدان والدينور وقرميسين والرّي وما بين ذلك من البلاد الجبلية والكور العظيمة . قال ياقوت:
وتسمية العجم له بالعراق غلط لا أعرف سببه، وهو اصطلاح محدث لا يعرف في القديم (انظر المرجع
السابق: ج ٢ ص ١١٥ و ١٢٠).
- (٦) قال في صفة الصفوة: واسمه طيفور بن عيسى بن سروشان - (وفي شذرات الذهب: سروشان) وكان
سروشان محسباً فأسلم . توفي أبو يزيد سنة ٢٦١ وله ثلاث وسبعون سنة . ومن أقواله: ليس العجب من
حيي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير . (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ٩٨ -
١٠٢، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٣ - ٤٢، والطبقات الكبرى للشعراني: ج ١ ص ٧٦).
- (٧) في صفة الصفوة: اسمه عمرو بن سلم، وقيل: عمرو بن سلمة . وفي حلية الأولياء: عمرو أو عمر بن
سلمة . وسماه الشعراني في الطبقات: عمر بن سالم من قرية يقال لها كورذباذ باب مدينة نيسابور على
طريق بخارى . توفي أبو حفص سنة ٢٧٠، ويقال سنة ٢٦٧، ويقال سنة ٢٦٤، ويقال سنة ٢٦٥ . ومن
أقواله: من لم يزن أعماله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم حواظره فلا تعدّه في ديوان

ابن التستري^(١)، ويوسف بن الحسين الرازي^(٢)، وأبو بكر بن طاهر الأبهري^(٣)، وعلي بن سهل بن الأزهر الأصفهاني^(٤)، وعلي بن محمد البارزي^(٥)، وأبو بكر الكتاني الدينوري^(٦)، وأبو محمد بن الحسن بن محمد الرحاتي^(٧)، والعباس بن الفضل بن قتيبة بن منصور الدينوري^(٨)، وكهمس بن علي الهمداني^(٩)، والحسن بن علي بن يزيد انيار^(١٠)، رضي الله عنهم أجمعين.

= الرجال (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ١٠٧ - ١٠٩، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٢٢٩ و ٢٣٠، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٢).

(٨) اسمه أحمد بن الخضراء، ويعرف بابن خضرويه البلخي، ويكنى أبا حامد. من أكابر مشايخ خراسان صاحب أبا تراب النخشي وحاملاً الأسم ورحل إلى أبي يزيد البسطامي وزار أبا حفص الحداد، وهو من المشهورين بالفترة. توفي سنة ٢٤٠. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٢، وصفة الصفوة: ج ٤ ص ١٤٣، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٤٢).

(١) انظر ترجمته ص ١٩، حاشية (١).

(٢) انظر ترجمته ص ٨، حاشية (٢).

(٣) أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري من كبار مشايخ الجبل. وهو من أقران الشبلي. صاحب يوسف بن الحسين الرازي وأبا مظفر القرمسيني وغيرهما من المشايخ، وكان عالماً ورعاً. مات قريباً من سنة ٣٣٠. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ١١٢، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٥١).

(٤) من قدماء مشايخ أصفهان. كان من المترفين فتزهد فكان يبقى الأيام الكثيرة لا يأكل. وكان يكتب الجريد ويراسله وكان من أقرانه، صاحب ابن معلان ولقي أبا تراب النخشي. وكان إذا بلغه عن أحد من المسلمين أن عليه ديناً يرسل يوفى عنه الدين بغير علم المديون فيأتي صاحب الدين فيقول للمديون قد وفى الله عنك. ولم يعلم الناس بذلك إلا بعد موته. توفي رضي الله عنه سنة ٣٠٧ (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ٧٩، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٤، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٤٠٤).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) هو أبو بكر بن داود الدينوري الرقي. أقام بالشام، وكان من أقران أبي علي الروذباري إلا أنه عمر زيادة على مائة سنة. وكان من أجل مشايخ وقته وأحسنهم حالاً وأقدمهم صحبة للمشايخ. مات رضي الله عنه بعد الخمسين والثلاثمائة (انظر الطبقات الكبرى للشعراني: ج ١ ص ١١٩).

(٧) لم أجد له ترجمة.

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) لم أجد له ترجمة.

(١٠) من أهل أرمينية، له طريقة في التصوف يختص بها، وكان ينكر على بعض المشايخ بالعراق أقاويلهم. وكان عالماً بعلوم الظاهر والمعارف والمعاملات. ومن كلامه: رضا الخلق عن الله تعالى رضاهم بما يفعل، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ١١٤).

الباب الثالث

فِي مَنْ نَشَرَ عُلُومَ الْإِشَارَةِ كُتُباً وَرَسَائِلَ

أبو القاسم الجُنَيْدُ بن محمد بن الجُنَيْدِ البغدادي^(١)، وأبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الصمد النُّورِي^(٢)، وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز^(٣) ويقال له: لسان التصوف، وأبو محمد رُوَيْم بن محمد^(٤)، وأبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي^(٥)، وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي^(٦)، وأبو يعقوب يوسف بن حمدان

(١) انظر ترجمته ص ١٩، حاشية (٥).

(٢) انظر ترجمته ص ١٩، حاشية (٤).

(٣) كذا أيضاً في حلية الأولياء «الخرّاز» بالزاي وفي صفة الصفوة وطبقات الشعراني «الخرّاز» بالراء. من أهل بغداد، صاحب ذا النون المصري وسرياً السقطي وبشراً الحاقلي وغيرهم، وهو من أئمة القوم وأجلّة المشايخ، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. قال ابن الجوزي: توفي سنة ٢٧٧. وقيل سنة ٢٨٦. وقال الشعراني: توفي سنة ٢٧٩ (انظر صفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٣، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٢، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٢٤٦ - ٢٤٩).

(٤) في حلية الأولياء: أبو الحسن رويم بن أحمد. وفي طبقات الشعراني: أبو محمد رويم بن أحمد. وفي صفة الصفوة: رويم بن أحمد، ويقال ابن محمد، أبو الحسن، ويقال أبو الحسين.

بغدادى الأصل من جملة مشايخ بغداد، ومان فقيهاً على مذهب داود الأصفهاني. توفي سنة ٣٠٣ في بغداد ودفن بالشوئبزية. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٨، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٨٥، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٢٩٦ - ٣٠٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة والشعراني في الطبقات باسم: أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي. وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء باسم: أحمد بن محمد بن عطاء.

كان من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن مختص به. صاحب الجنيد وإبراهيم المارستاني، وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه حتى قال التصوف خلق وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء. قال الشعراني: مات سنة تسع أو إحدى عشرة وثلاثمائة. وقال ابن الجوزي: توفي في ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٥، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٨٧، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٠٢ - ٣٠٥).

(٦) كان يتنسب إلى الجنيد في الصحبة، ولقي أبا عبد الله الناجي وأبا سعيد الخراز وغيرهما من المشايخ، وكان شيخ القوم في وقته وإمام الطائفة في الأصول والطريقة، وله كلام حسن. وروى الأحاديث عن محمد بن إسماعيل البخاري وغيره. قال الشعراني: مات سنة ٢٩١. وقال ابن الجوزي: توفي بغداد سنة ٢٩٦، وقيل سنة ٢٩٧، وقيل سنة ٢٩١، ويقال مات بمكة، والأول أصح. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٩، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٨٤، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٢٩١ - ٢٩٦)

السوسي^(١)، وأبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجوري^(٢)، وأبو محمد الحسن بن محمد الجريري^(٣)، وأبو عبد الله محمد بن علي الكتّاني^(٤)، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص^(٥)، وأبو علي الأوراجي^(٦)، وأبو بكر محمد بن موسى الواسطي^(٧)، وأبو عبد الله الهاشمي^(٨)، وأبو عبد الله سيكل القرشي^(٩)، وأبو علي الروذباري^(١٠)، وأبو بكر القحطبي^(١١)، وأبو بكر الشبلي وهو دُلف بن جحدر^(١٢).

(١) لم أجده ترجمته.

(٢) صاحب الجنيد وصرو بن عثمان المكي وأبا يعقوب السوسي وغيرهم من المشايخ، وأقام بالحرم مجاوراً ستين كثيرة. توفي سنة ٣٣٠. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ١١١، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٥٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي باسم: أحمد بن محمد بن الحسين الحريري (بالحاء) وذكره الشعراني بالجيم: الجريري، وكذا أيضاً أبو نعيم في حلية الأولياء.

كان من أكابر أصحاب الجنيد. توفي سنة ٣١١. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٤، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٨٨، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٤٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي وأبو نعيم والشعراني باسم أبي بكر محمد بن علي بن جعفر الكتّاني، وكذا أيضاً أورده السلمي بكنية أبي بكر، وقال: ويقال أبو عبد الله وأبو بكر أصح.

أصله من بغداد، وصاحب الجنيد والنوري وأبا سعيد الخواص، وأقام بمكة وجاور بها إلى أن مات سنة ٣٢٢. كذا ذكر الشعراني تاريخ وفاته. وقال ابن الجوزي: توفي بمكة سنة ٣٢٨، وقيل سنة ٣٢٢. (انظر صفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٩٤، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ١١٠، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٥٧).

(٥) إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص. ذكره الشعراني باسم إبراهيم بن إسماعيل وقال: هو من أجل من سلك طريق التركل، وكان أُوحد المشايخ في وقته، وكان من أقران الجنيد والنوري، وله في الرياضات والياحات مقام يطول شرحه. مات بجامع الرّي سنة ٢٩١. وقال ابن الجوزي: توفي سنة ٢٩١، ويقال سنة ٢٨٤، وتولى أمره في غسله ودفنه يوسف بن الحسين الرازي. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٧، وصفة الصفوة: ج ٤ ص ٩٠-٩٤، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٢٥-٣٣١).

(٦) لم أجده ترجمته.

(٧) أصله من فرغانة، ويعرف بابن الفرغاني. كان من قدماء أصحاب الجنيد والنوري، وكان من علماء مشايخ القوم، لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل كلامه، وكان عالماً بأصول الدين والعلوم الظاهرة. دخل خراسان واستوطن كورة مرو ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٩، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٤٩).

(٨) لم أجده ترجمته.

(٩) لم أجده ترجمته.

(١٠) انظر ترجمته ص ١٨، حاشية (٤).

رضوان الله عليهم أجمعين .

الباب الرابع فِي مَنْ صَنَّفَ فِي الْمَعَامَلِ

أبو محمد عبد الله بن محمد^(١)، وأبو عبد الله أحمد بن عاصم^(٢) الأنطاكيان
وعبد الله بن حنف الأنطاكي^(٣)، والحارث بن أسد المحاسبي^(٤)، ويحيى بن معاذ
الرازي^(٥)، وأبو بكر محمد بن عمر بن الفضل الورّاق الترمذي^(٦)، وأبو عثمان سعيد

= (١١) لم أجد له ترجمة .

(١٢) اختلف في اسمه، فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: جحدر بن دلف، وقيل: دلف بن
جعيرة، وقيل: دلف بن جبعويه، وقيل اسمه جعفر بن يونس كما هو مكتوب على قبره. أصله خراساني
من أهل سروسة من قرية يقال لها شلية، ومولده بسرّ من رأى. صحب الجنيد ومن عاصره من المشايخ
وصار أوجد أهل الوقت علماً وظرفاً. تفقه على مذهب الإمام مالك وكتب الحديث الكثير. عاش سبعمائة
ولثمانين سنة ومات سنة ٣٣٤ ودفن ببغداد في مقبرة الخيزران. (انظر صفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٩٤ -
٢٩٨، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ١٠٣، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٦٦ - ٣٧٥).

(١) ويقال له المرتعش. بغدادي المولد والمنشأ، صحب الجنيد وأقام ببغداد في مسجد الشونيزي، وكانوا
يقولون: عجائب بغداد في التصوف ثلاثة: الشبلي في الإشارات، والمرتعش في المكاشفات، وجعفر
الخلدي في الحكايات. توفي المرتعش في بغداد سنة ٣٢٨. (انظر طبقات الشعراني: ج ١
ص ١٠٥، وصفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٩٨، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٣٥٥).
(٢) انظر ترجمته ص ١٧، حاشية (١).

(٣) ذكره الشعراني باسم عبدالله بن حنيف، وذكره أبو نعيم وابن الجوزي باسم عبدالله بن حنيفة. أصله من
الكوفة ثم سكن أنطاكية واستفاد من يوسف بن أسباط. وطريقته في التصوف طريقة الشوري. ومن
كلامه: إذا دنا الرجل القاريء من المعصية ناداه القرآن من صدره والله ما لهذا حملتي، فلو أن العاصي
سمع ذلك الصوت لمات حياة من الله تعالى. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٣، وصفة الصفوة:
ج ٤ ص ٢٣٤، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ١٦٨ - ١٨٩).

(٤) من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات. وهو أستاذ أكثر البغداديين،
بصري الأصل. توفي ببغداد سنة ٢٤٣. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٧٥، وصفة الصفوة: ج ٢
ص ٢٤٠، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٧٣ - ١١٠).

(٥) أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر. كان أوجد وقته في زمانه، له لسان في الرجاء خصوصاً وكلام في
المعرفة. أقام مرة يبلخ ثم عاد إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨. (انظر طبقات الشعراني: ج ١
ص ٨١، وصفة الصفوة: ج ٤ ص ٨٣ - ٩٠، وحلية الأولياء: ج ١٠ ص ٥١ - ٧٠).

ابن اسماعيل الرازي^(١)، وأبو عبد الله محمد بن علي الترمذي^(٢)، وأبو عبد الله محمد ابن الفضل البلخي^(٣)، وأبو علي الجوزجاني^(٤)، وأبو القاسم بن إسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي^(٥).

وهؤلاء هم الأعلام المذكورون المشهورون، المشهود لهم بالفضل، الذين جمعوا علوم المواريث إلى علوم الاكتساب^(٦).

= (٦) أصله من ترمذ وأقام ببلخ. لقي أحمد بن حضرويه وصاحب محمد بن سعد الزاهد ومحمد بن عمر البلخي. له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات. ومن كلامه: لو قيل للطمع من أبوك؟ لقال الشك في المقدور، ولو قيل له ما حرفتك؟ لقال اكتساب الذل، ولو قيل له ما غايتك؟ لقال الحرمان. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩١، وصفة الصفة: ج ٤ ص ١٤٤، وحلية الأولياء: ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٧).

(١) أصله من الري، صاحب قديماً يحيى بن معاذ الرازي وشاه بن شجاع الكرماني، ثم رحل إلى نيسابور قاصداً أبا حفص الحداد، فزوجه ابنته وأخذ عنه طريقته. وكان رضي الله عنه أوجد المشايخ في سيرته، ومنه انتشرت طريقة التصوف في نيسابور. توفي بنيسابور سنة ٢٩٨. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٦، وصفة الصفة: ج ٤ ص ٩٤ - ٩٦، وحلية الأولياء: ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٦).

(٢) الملقب الحكيم الترمذي. من كبار مشايخ خراسان، وله التصانيف المشهورة وكتب الحديث، وكان يقول: ما صنعت شيئاً يُنسب إليّ لكن كنت إذا اشتد عليّ وقتي أنسى بمصنفاي. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩١، وصفة الصفة: ج ٤ ص ١٤٦، وحلية الأولياء: ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٥).

(٣) أصله من بلخ ولكنه رحل إلى سمرقند واستوطنها ومات بها سنة ٣١٩. وكان من كبار المشايخ بخراسان، صاحب أحمد بن حضرويه البلخي وسمع الحديث من قتيبة بن سعيد ومس في طبقاته. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٨٨، وحلية الأولياء: ج ١ ص ٢٣٢، وصفة الصفة: ج ٤ ص ١٤٤).

(٤) في حلية الأولياء «الجوزجاني» بالراء. وقال الشعراني: أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني: كان من أكابر مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة في علوم الأوقاف والرياضات والمجاهدات والمعارف. صاحب محمد بن علي الترمذي ومحمد بن الفضل. (انظر طبقات الشعراني: ج ١ ص ٩٠، وحلية الأولياء: ج ١ ص ٣٥٠).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) علوم الاكتساب هي التي تحصل بواسطة التعلم والأخذ عن المشايخ. أما علوم المواريث فيريد بها العلوم الباطنة، وهي ما يسميها الغزالي بعلم المكاشفة، قال في إحياء علوم الدين (ج ١ ص ٣١): وهو علم الصديقين والمقربين، أعني علم المكاشفة، فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكته من صفاته المذمومة.

سمعوا الحديث، وجمعوا الفقه والكلام واللغة وعلم القرآن، تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم.

ولم نذكر المتأخرين وأهل العصر، وإن لم يكونوا دون من ذكرنا علماً، لأن الشهود^(١) يُغني عن الخبر عنهم.
وبالله التوفيق.

الباب الخامس

شرح قولهم في التوحيد^(٢)

اجتمعت الصوفية على أن الله واحد، فردَّ صمد، قديم عالم، قادر حي، سميع بصير، عزيز عظيم، جميل كبير، جواد رؤوف، متكبر جبار، باقٍ أول، إله سيد، مالك رب، رحمن رحيم، مريد حكيم، متكلم، خالق رزاق، موصوف بكل ما وصفت به نفسه من صفاته، سَمِيَ بكل ما سَمِيَ به نفسه، لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته، غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه، لا تشبه ذاته الذوات، ولا صفته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات^(٣) المخلوقين الدالة على حدّثهم^(٤)، لم يزل سابقاً متقدماً للمحدثات، موجوداً قبل كل شيء، لا قديم غيره، ولا إله سواه^(٥).

(١) يعني حضورهم بين الناس.

(٢) تكلم في هذا الباب وفي الباب الذي يليه عن مذهب المتصوفة في الأسماء والصفات. وفي الساب الحادي والشرين من هذا الكتاب تكلم عن أقوالهم في التوحيد.

(٣) السمات: جمع سمة، وهي العلامة.

(٤) الحدّث: الإبداء (انظر لسان العرب: مادة حدث).

(٥) ذكر الإمام الغزالي خمسة أشياء في أصول التوحيد لا بد لكل مكلف من اعتقادها: أحدها: وجود الباري تعالى ليبراً به عن التعطيل. ثانيها: وحدانيته تعالى ليبراً به عن الشرك. ثالثها: تنزيهه تعالى عن كونه جوهراً أو عرضاً وعن لوازم كل منهما ليبراً به من التشبيه. رابعها: إبداعه تعالى بقدرته واختياره لكل ما سواه ليبراً به عن القول بالعلة والمعلول. خامسها: تدبيره تعالى لجميع مبتدعاته ليبراً به عن تدبير الطباع والكواكب والملائكة. وقول «لا إله إلا الله» يدل على الخمسة.

ونقل البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» عن أبي عبدالله الحسين بن الحسن الحلبي ما يشبه ما ذكره الغزالي فيما يجب اعتقاده والإقرار به في الباري سبحانه وتعالى.

ليس بجسم^(١)، ولا شَيْخ^(٢)، ولا صورة^(٣)، ولا شخص^(٤)، ولا جَوْهَر^(٥)، ولا عَرَض^(٦). لا اجتماع له ولا افتراق^(٧)، لا يتحرك ولا يَسْكُن^(٨)، ولا يتقصُّ ولا

وما يذكره الكلابادي هنا في عقيدة الصوفية يتناسب مع هذه الأشياء الخمسة في أصول التوحيد. (انظر روضة الطالبين وعمدة السالكين للإمام الغزالي، ضمن مجموعة رسائل الامام الغزالي (٢) صفحة ٢٩ - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦. وانظر كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي، ص ٢١ - دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).

(١) الجسم هو الجوهر القابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: هو المركب المؤلف من الجوهر (انظر التعريفات للمرجاني: ص ٧٦).

(٢) الشيخ (يفتح الباء وسكونها): ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق (انظر اللسان: مادة شيخ). يريد بقوله «ولا شيخ» انه تعالى لا يرى لأنه ليس بجسم ولا شخص.

(٣) قال البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٦٩): الصورة هي التركيب، والمصور المركب؛ والمصور هو المركب؛ قال الله عز وجل: ﴿وَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمَ الَّذِي خَلَقَكَ نَسْوَكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾. ولا يجوز أن يكون الباري تعالى مصوراً ولا أن يكون له صورة، لأن الصورة مختلفة والهيئات متضادة، ولا يجوز اتصافه بجميعها لنضادها، ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلا بمخصص، لجواز جميعها على من جاز عليه بعضها، فإذا اختص بعضها اقتضى مخصصاً خصصه به، وذلك يوجب أن يكون مخلوقاً وهو محال، فاستحال أن يكون مصوراً، وهو انحالت الباري المصور.

(٤) الجوهر اسم مشترك، يقال جوهر لذات كل، كالإنسان أو كاليأس، فيقال جوهر اليأس وذاته. ويقال جوهر لكل موجود وذاته لا يحتاج في الوجود الى ذات آخر تقارنها حتى يكون بالفعل، وهو معنى قولهم: الجوهر قائم بنفسه. ويقال جوهر لما كان بهذه الصفة وكان من شأنه أن يقبل الأضداد بتعاقبها عليه. ويقال جوهر لكل ذات وجوده ليس في موضوع، وعليه اصطلاح الفلاسفة القدماء. (انظر معيار العلم في المنطق للإمام الغزالي، ص ٢٩١ - شرح أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠).

(٥) العرض اسم مشترك، فيقال لكل موجود في محل عرض. ويقال عرض لكل موجود في موضوع. ويقال عرض للمعنى الكلي المفرد المحمول على كثيرين حملاً غير مقوم. ويقال عرض لكل معنى موجود للشيء خارج عن طبيعه. ويقال عرض لكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده في آخر يفارقه. ويقال عرض لكل معنى وجوده في أول الأمر لا يكون. (انظر المرجع السابق: ص ٢٩٢).

(٦) الاجتماع كما عرفه الغزالي في معيار العلم (ص ٢٩٧) هو وجود أشياء كثيرة يعتمدها معنى واحد، والافتراق مقابله. وعرف الجرجاني الاجتماع بأنه تقارب أجسام بعضها من بعض. وعرف الافتراق بقوله: كون الجوهرين في حيزين بحيث يمكن التفاضل بينهما (التعريفات: ص ١٠ و ٣٢). وكلا التعريفين الاجتماع والافتراق محالان على الله تعالى.

يزداد؛ ليس بلدي أبعاض ولا أجزاء، ولا جوارح ولا أعضاء، ولا بلدي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذ السّنات^(١)، ولا تَدَاوُلُهُ الأوقات^(٢)، ولا تعينه الإشارات^(٣)؛ لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسّة والعزلة^(٤)، ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار، ولا تحجبهُ الأستار، ولا تدركه الأبصار.

وقال بعض الكبراء في كلام له: لم يسبقه قَبْلُ، ولا يقطعه بَعْدُ^(٥)، ولا يصادره مِن، ولا يوافقه عَن، ولا يلاصقه إلى، ولا يَحُلُّهُ في، ولا يوقفه إذ^(٦)، ولا يؤامره إن^(٧)، ولا يُظِلُّهُ^(٨) فوق، ولا يُقَلِّهُ^(٩) تحت، ولا يقابله حذاء^(١٠)، ولا يراحمه عِنْد، ولا يأخذه خلف، ولا يحلُّهُ أمام، ولا يُظهِرُهُ قبل، ولا يقنيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يُوجِدُهُ كان^(١١)؛ ولا يفقده ليس^(١٢)، ولا يستره خفاء. تقدّم الحدث قَدَمُهُ، والعدم وجودُهُ، والغاية أزلُهُ.

= (٧) الحرّة تستلزم الانتقال من حيز إلى حيز، والسكون كونان في آئين في مكان واحد؛ لذلك لا يوصف بهما سبحانه وتعالى.

(١) السّنات: جمع سنّة، وهي النعاس من غير نوم؛ قال تعالى في سورة البقرة: الآية ٢٥٥: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

(٢) يريد أنه تعالى يتنزّه عن أن تمر به السّنون، لأنه تعالى قديم قبل الأوقات والأزمنة، ويبقى بعدها.

(٣) لأن الإشارة تكون إلى ما له جهة ومكان، وهو تعالى منزّه عن الجهة والمكان.

(٤) المماسّة والعزلة كالاجتماع والافتراق.

(٥) لم يسبقه قبل ولا يقطعه بعد؛ إشارة إلى سرمدية سبحانه وتعالى.

(٦) «مِن» تفيد الابتداء، و«عَن» تفيد الانفصال والافتراق، و«إلى» تفيد الانتهاء إلى الغاية أو المكان، و«في» ظرف مكان، و«إذ» ظرف زمان. وهو تعالى منزّه عن كل هذا.

(٧) أمره في أمره: شاوره، والمؤامرة: المشاورة. و«إن» تفيد الشك والشرط؛ وهو تعالى منزّه عن ذلك.

(٨) الظلّة: ما مشترك من فوق.

(٩) يُقَلِّهُ: يحمله.

(١٠) حذاء: مقابل. وكل هذه العبارات والتي تليها لتزييه سبحانه عن الزمان والمكان.

(١١) لم يكن معدوماً ليكون، ولم يكن قبله أحد ليكون. فهو سبحانه الموجد المكوّن، وهو الذي يوجد الأشياء بقوله كُنْ فيكون.

(١٢) «ليس» تفيد العدم.

إن قلت: متى، فقد سبق الوقت كونه^(١).
 وإن قلت: قبل، فالقبل بعده^(٢).
 وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلقتُهُ.
 وإن قلت: كيف، فقد احتجبت عن الوصف بالكيفية ذاته^(٣).
 وإن قلت: أين، تقدّم المكان وجوده^(٤).
 وإن قلت: ما هو^(٥)، فقد بآين الأشياء هويته.
 ولا يجتمع صفتان لغيره في وقت، ولا يكون بهما على التصادف. فهو باطن في ظهوره، ظاهر في استتاره، فهو: الظاهر الباطن^(٦)، القريب البعيد^(٧)، امتناعاً بذلك من الخلق أن يشبهوه.

فَعَلُهُ من غير مباشرة، وتَهَيَّمُهُ من غير ملاقاته، وَهَدَّأَيْتُهُ من غير إيماء.

(١) قال الغزالي: إن قلت متى، فالزمان إيجاده (انظر روضة الطالبين: ص ٢٨).

(٢) لأنه هو تعالى خالق القبل.

(٣) قال الغزالي: وإن قلت كيف، فالمشابهة والكيف مفعوله.

(٤) قال الغزالي: وإن قلت أين، فالمكان خلقه.

(٥) يعني إذا سألت عن ماهيته.

(٦) قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾. قال الحلبي في معنى الظاهر: إنه البادي في أفعاله، وهو جل ثناؤه بهذه الصفة فلا يمكن معها أن يجحد وجوده وينكر ثبوته. وقال الخطابي: هو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته، ويكون الظاهر فوق كل شيء بقدرته، وقد يكون الظهور بمعنى العلو ويكون بمعنى الغلبة. وقال الحلبي في الباطن: هو الذي لا يُحسّ وإنما يُدرك بأثاره وأفعاله. وقال الخطابي: وقد يكون معنى الظهور والبطون تجلّيه لصفات المتفكرين واحتجابه عن أبصار الناظرين، وقد يكون معناه العالم بما ظهر من الأمور والمطلع على ما بطن من الغيوب. (انظر الأسماء والصفات لليبهي: ص ٢٧ و ٥٢).

(٧) البعيد أي المعالي الذي لا يتوصل أحد إلى إدراك ذاته وكنهه. أما القريب فقد قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي: عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ وقال: ﴿إنه سميع قريب﴾ وقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنه معكم سميع قريب» وقال: «إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته». قال الحلبي: ومعناه أنه لا مافة بين العبد وبينه فلا يسمع دعاءه أو يخفى عليه حاله. وقال الخطابي: معناه أنه قريب بعلمه من خلقه قريب ممن يدعوه بالإجابة. (انظر المرجع السابق: ص ٥٧، ٥٨).

لا تنازعه الهمم، ولا تخالطه الأفكار. ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تكليف.
وأجمعوا على أنه لا تدركه العيون^(١)، ولا تهجم عليه الظنون^(٢)، ولا تتغير صفاته^(٣)، ولا تبدل أسماؤه، لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك، هو الأول والآخر^(٤)، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

الباب السادس شرح قولهم في الصفات

أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف: من العلم، والقدرة، والقوة، والعز، والجلم، والحكمة، والكبرياء، والجبروت، والقدم، والحياة، والإرادة، والمشية، والكلام^(٥).

وأنها ليست بأجسام، ولا أعراض، ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر.

وأن له سمعاً وبصراً، ووجهاً ويدا، على الحقيقة، ليس كالاسماع والأبصار والأيدي والوجوه^(٦).

(١) لأنه ليس له حدّ يحده.

(٢) يريد أنه لا يتصور له كيفية أو كمية.

(٣) لأن التغير من صفة المحدثات.

(٤) قال الحلبي: فالأول هو الذي لا قبل له، والآخر هو الذي لا بعد له؛ وهذا لأن قبل وبعد نهايتان، فقبل نهاية الموجود من قبل ابتدائه، وبعد غايته من قبل انتهائه، فإذا لم يكن له ابتداء ولا انتهاء لم يكن للموجود قبل ولا بعد، فكان هو الأول والآخر (انظر الأسماء والصفات للبيهقي: ص ٢٥).

(٥) لم يذكر الصفات هنا كما ذكرها المتكلمون بالتفصيل. فهم مثلاً يسمون صفاته تعالى إلى قسمين: صفات ذاته وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال، وصفات فعله وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل. ثم هم ينوعون في الصفات، فينتج مثلاً في صفة العلم: العليم والخبير والحكيم والشهير والحافظ والمحصي... الخ. (انظر المرجع السابق: ص ١٣٧ و ١٤٤).

(٦) مذهب السلف إثبات هذه الصفات كما وردت في الخبر الصادق كما هي ولكن على وجه لا يوجب التشبيه. وقد انقسم أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها، فجعلهم ابن تيمية ستة أقسام: قسما =

وأجمعوا أنها صفات لله وليست بجوارح، ولا أعضاء ولا أجزاء^(١).

وأجمعوا أنها ليست هي هُوَ ولا غيره، وليس معنى إثباتها أنه محتاج إليها وأنه يفعل الأشياء بها، ولكن معناها: نَفْيُ أصدادها وإثباتها في أنفسها، وأنها قائمات به. ليس معنى العلم نفي الجهل فقط، ولا معنى القدرة نَفْيُ العجز، ولكن إثبات العلم والقدرة^(٢).

ولو كان بنفي الجهل عالماً، وبنفي العجز قادراً، لكان المراد بنفي الجهل والعجز عن [كونه]^(٣) عالماً وقادراً. وكذلك جميع الصفات.

وليس وَصَفْنَا له بهذه الصفات صفةً له، بل وَصَفْنَا صِفَتَنَا وحكايةً عن صفة قائمة به، ومن جعل صفة الله وَصَفَهُ له من غير أن يثبت لله صفة على الحقيقة^(٤)، فهو

يقولان: تجرى على ظواهرها. وقسان يقولان: هي على خلاف ظواهرها. وقسان يكتون. (انظر تفصيل ذلك في كتاب الأسماء والصفات لابن تيمية: ج ٢ ص ٧٦-٩٢، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٨).

(١) المشبهة هم الذين يُجرون هذه الصفات المذكورة، كالسمع والبصر والحركة والاستواء على العرش على ظواهرها ويجعلونها من جنس صفات المخلوقين.

(٢) أوضح البيهقي في الأسماء والصفات (ص ١٢٧) هذا الأمر بكلام أكثر وضوحاً فقال: في إثبات أسمائه إثبات صفاته؛ لأنه إذا ثبت كونه موجوداً فوصف بأنه حي فقد وصف بزيادة صفة على الذات هي الحياة، فإذا وصف بأنه قادر فقد وصف بزيادة صفة هي القدرة، وإذا وصف بأنه عالم فقد وصف بزيادة صفة هي العلم، كما إذا وصف بأنه خالق فقد وصف بزيادة صفة هي الخلق، وإذا وصف بأنه رازق فقد وصف بزيادة صفة هي الرزق، وإذا وصف بأنه مُحْيٍ فقد وصف بزيادة صفة هي الإحياء؛ إذ لولا هذه المعاني لاقتصر في أسمائه على ما ينشأ عن وجود الذات فقط. . . قال: ونعتقد في صفات ذاته أنها لم تزل موجودة بذاته ولا تزال موجودة به، ولا نقول فيها إنها هو ولا غيره ولا هو هي ولا غيرها. والله تعالى أسماء وصفات يستحقها بذاته إلا أنها زيادة صفة على الذات، كوصفنا إياه بأنه إله عزيز مجيد جليل عظيم ملك جبار متكبر شيء قديم، والأسم والمسمى فيها واحد.

(٣) الزيادة ضرورية لاستقامة المعنى.

(٤) يريد بذلك الذين يتأولون الصفات فيقولون مثلاً: معنى «استوى» في قوله تعالى: «استوى على العرش» بمعنى «استولى». أو العلو بمعنى المكانة والقدرة. . . إلى غير ذلك من معاني المتكلمين الذين يتكروون أن يكون لله صفات حقيقية.

كاذب عليه في الحقيقة، وذاكر له بغير وَصْفِهِ. وليس هذا كالدُّرِّ فيكون مذكوراً بذكر في غيره؛ لأن الذُّكْرَ صفةٌ للذاكر وليس بصفة للمذكور، والمذكورُ مذكورٌ بذِكْرِ الذَّاكِرِ، والموصوفُ ليس بموصوفٍ بِوَصْفِ الوَاصِفِ، ولو كان وَصْفُ الوَاصِفِ صفةً^(١) له لكانت أوصافُ المشركين والكفرة صفاتٍ له، كنعو الزوجة والولد والأنداد. وقد نزه الله تعالى نفسه عن وصفهم له فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] فهو جل وعز موصوف بصفة قائمة به ليست بيئته عنه^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ٦٦] وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] وقال: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ١٢] ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وأجمعوا أنها لا تتغاير ولا تتماثل، وليس علمه قدرته، ولا غير قدرته، وكذلك جميع صفاته من السمع، والبصر، والوجه، واليد، ليس سمعه بصره، ولا غير بصره، كما أنه ليس هو ولا غيره^(٣).

واختلفوا في الإتيان والمجيء والنزول، فقال الجمهور منهم: إنها صفات له، كما يليق به، ولا يعبر عنها بأكثر من التلاوة والرواية، ويجب الإيمان بها، ولا يجب البحث عنها^(٤).

(١) الوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة، ولكن المتكلمين فرقوا بينهما فقالوا: الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف. وهذا هو المعنى الذي يشير إليه الكلاباذي هنا.

(٢) يعني صفة حقيقية ذاتية غير إضافية.

(٣) راجع الحاشية (٢) من الصفحة السابقة.

(٤) وهذا هو مذهب السلف. سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ واليمين وعلينا التصديق. وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه، سئل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. (انظر الأسماء والصفات لابن تيمية: ج ٢ ص ٣١، ٣٢ - وقد ذكر مختلف أقوال العلماء في هذا الموضوع، فراجعه =

وقال محمد بن موسى الواسطي: «كما أن ذاته غير معلولة، كذلك صفاته غير معلولة، وإظهار الصمدية إياس عن المطالعة على شيء من حقائق الصفات أو لطائف الذات».

وأولها بعضهم فقال: «معنى الإتيان منه: إيصاله ما يريد إليه، ونزوله إلى الشيء: إقباله عليه، وقربه: كرامته، وبعده: إهانتته» وعلى هذا جميع هذه الصفات المتشابهة^(١).

الباب السابع

اختلافهم في أنه لم يزل خالقاً

واختلفوا في أنه لم يزل خالقاً، فقال الجمهور منهم والأكثر من القدماء منهم والكبار: إنه لا يجوز أن يتحدث الله تعالى صفة لم يستحقها فيما لم يزل، وأنه لم يستحق اسم الخالق لخلقه الخلق، ولا لإحداث البرايا^(٢) استحق اسم الباري، ولا بتصوير الصور استحق اسم المصور؛ ولو كان كذلك لكان ناقصاً فيما لم يزل، وتم بالخلق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٣).

وقالوا: إن الله تعالى لم يزل خالقاً، بارئاً، مصوراً، غفوراً، رحيماً، شكوراً؛ وكذلك جميع صفاته التي وصفت بها نفسه يوصف بها كلها في الأزل؛ كما يوصف بالعلم، والقدرة، والعز، والكبرياء، والقوة؛ كذلك يوصف بالتكوين، والتصوير، والتخليق، والإرادة، والكرم، والغفران، والشكر.

في باب الإيمان بالنزول.

(١) هذا هو مذهب المتأولين للصفات على غير حقيقتها. وهو مذهب المتأخرين من الأمة من الفلاسفة والمتكلمين.

(٢) البرايا: الخلق.

(٣) مضمون ما سبق أن الله تعالى لم يزل موصوفاً بالخلق والإبداع من قبل أن يخلق ويبدع. قال الحلبي: لا شك أن إثبات الإبداع والاعتراف به للباري عز وجل ليس يكون على أنه أبدع بغتة من غير علم سبق له بما هو مبدعه، لكن على أنه كان عالماً بما أبدع قبل أن يبدع، فكما وجب له عند الإبداع اسم البديع وجب له اسم الباري، (انظر الأسماء والصفات لليهقي: ص ٤٠).

ولا يفرقون بين صفةٍ هي فعلٌ، وبين صفةٍ لا يقال إنها فعلٌ؛ نحو: العظمة، والجلال، والعلم، والقدرة.

وكذلك: أنه لما ثبت أنه سميعٌ، بصيرٌ، قادرٌ، خالقٌ، باريٌّ، مصورٌ، وأنه مَدَّحٌ له، فلو استوجب ذلك بالخلق، والمصور، والمبرأ لكان محتاجاً إلى الخلق^(١)، والحاجة أمانة^(٢) الحدث.

وأخرى: أن ذلك يوجب التغير والزوال من حال إلى حال، فيكون غير خالق ثم يكون خالقاً، وغير مرید ثم يكون مریداً؛ وذلك نحو الأفعال الذي انتفى منه خليله إبراهيم عليه السلام، بقوله: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

والخلق، والتكوين، والفعل، صفاتٌ لله تعالى، وهو بها في الأزل موصوف، والفعل غير المفعول^(٣)، وكذلك التخليق، والتكوين، ولو كانا جميعاً واحداً لكان كَوْنُ المكوّنات بأنفسها، لأنه لم يكن من الله إليها معنى سوى أنها لم تكن فكانت.

ومنع بعضهم من أن يكون فيما لم يزل خالقاً، وقال: إنه يوجب كون الخلق معه في القدم^(٤).

(١) يعني أنه مستغني بهذه الصفات الموصوف بها عن غيره. فوصفه تعالى بأنه خالق مصور باري، لا يتعلق بما خلق وصور وبرأ، بل هو موصوف بهذه الصفات قبل حدوث مخلوقاته.

(٢) الأمانة: العلامة.

(٣) هذا هو فحوى قولهم بأن الصفات ليست هي الذات بل هي زائدة على الذات، فصانع العالم عالم بعلم وحيٌ بحياة وقادر بقدرة، وهكذا في جميع الصفات. فإذا وصف بأنه قادر فقد وصف بزيادة صفة هي القدرة، وإن وصف بأنه عالم فقد وصف بزيادة صفة هي العلم. وذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى إنكار ذلك، وقالوا: القديم ذات واحدة قديمة ولا يجوز إثبات ذات قديمة متعددة، وإنما الدليل يدل على كونه عالماً قادراً حياً لا على العلم والقدرة والحياة. (انظر الاتصاد في الاعتقاد للغزالي: ص ٨٤ - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، والأسماء والصفات لليهقي: ص ١٣٧).

(٤) يتفرع عن هذه المسألة قضية خلق القرآن أو حدوثه، وهي القضية التي نشب الخلاف فيها بين المعتزلة ومخالفهم. وقد التجأ المعتزلة إلى هذا القول مبالغة منهم في التنزيه، فاعتبروا أن وجود شيء أحرمه منذ الأزل يدل على الثابتية ويظعن في مسألة التوحيد المطلق. وقد شرح الإمام الغزالي مختلف الأقوال في مسألة الأسماء والصفات التي يمكن أن يوصف بها تعالى منذ الأزل أو يوصف بها عند حدوثها، فقال: إن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة [يعني: القدرة والعلم والحياة والإرادة =

وأجمعوا أنه لم يزل مالكاً إلهاً ربّاً، ولا مربوب ولا مملوك، وكذلك يجوز أن يكون خالقاً بارئاً مصوراً ولا مخلوق ولا مبروه ولا مُصَوَّر.

الباب الثامن اختلافهم في الأسماء

واختلفوا في الأسماء، فقال بعضهم: أسماء الله ليست هي الله^(١) ولا غيره كما قالوا في الصفات. وقال بعضهم: أسماء الله هي الله^(٢).

والسمع والبصر والكلام] صادقة عليه أزلاً وأبداً، فهو في القدم كان حياً قادراً عالماً سمياً بصيراً متكلماً؛ وأما ما يشتق له من الأفعال كالرأق والخالق والمعز والمذل، فقد اختلف في أنه يصدق في الأزلى أم لا . . . قال: والقول الجامع أن الأسماء التي يسمي بها الله تعالى أربعة: الأول: أن لا يدل إلا على ذاته كالموجود، وهذا صادق أزلاً وأبداً.

الثاني: ما يدل على الذات مع زيادة سلب كالقديم، فإنه يدل على وجود غير مسبوق بعدم أزلاً، والباقي فإنه يدل على الوجود وسلب العدم عنه آخرأ، والواحد فإنه يدل على الوجود وسلب الشريك، وكالغنى فإنه يدل على الوجود وسلب الحاجة؛ فهذا أيضاً يصدق أزلاً وأبداً لأن ما يلب عنه يلب لذاته فيلازم الذات على الدوام.

الثالث: ما يدل على الوجود وصفة زائدة من صفات المعنى، كالحي والقادر والمتكلم والمريد والسميع والبصير والعالم، وما يرجع إلى هذه الصفات السبعة كالأمر والنهي والخير ونظائره؛ فذلك أيضاً يصدق عليه أزلاً وأبداً عند من يعتقد قدم جميع الصفات.

الرابع: ما يدل على الوجود مع إضافة إلى فعل من أفعاله، كالمجود والرأق والخالق والمعز والمذل وأمثاله. وهذا مختلف فيه، فقال قوم: هو صادق أزلاً إذ لو لم يصدق لكان انضافه به موجباً للتغير؛ وقال قولاً: لا يصدق إذ لا خلق في الأزلى فكيف يكون خالقاً؟

قال الغزالي: والكاشف للغطاء عن هذا أن السيف في الغمد يسمى صارماً وعند حصول القطع به وفي تلك الحالة على الاقتران يسمى صارماً، وهما بمعنيين مختلفين، فهو في الغمد صارم بالقوة وعند حصول القطع صارم بالفعل . . . فبالمعنى الذي يسمى السيف في الغمد صارماً يصدق اسم الخالق على الله تعالى في الأزلى، فإن الخلق إذ أجري بالفعل لم يكن لتجدده أمر في الذات لم يكن، بل كل ما يشترط لتحقيق الفعل موجود في الأزلى. (انظر الاقتصاد في الاعتقاد: ص ١٠٠، ١٠١).

(١) هذا معنى قولهم: الاسم غير التسمية وغير المسمى.

(٢) هذا البحث استقصاه الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى» في شرح أسماء الله الحسنى، فليراجع. كما استقصاه ابن تيمية في كتابه «الأسماء والصفات» في باب «الاسم والمسمى» (ج ١ ص ٩٦ - ١٢١) =

الباب التاسع

قَوْلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ

أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة، وأنه ليس بمخلوق، ولا مُحدث ولا حَدَث .

وأنه متلوُّ باللسنة، مكتوبٌ في مصاحفنا، محفوظٌ في صدورنا، غير حالٍّ فيها، كما أن الله تعالى معلوم بقلوبنا، مذكور باللسنة، معبود في مساجدنا غير حالٍّ فيها .
وأجمعوا أنه ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عَرَض^(١) .

واستقصى أقوال الناس في الاسم والمسمى : هل هو هو أو غيره؟ أو لا يقال هو هو ولا يقال هو غيره؟ أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ ثم قال (ص ١٠٠) : والذي هو الحق عندنا قول من قال : اسم الشيء هو عينه وذاته، واسم الله هو الله، وتقدير قول القائل : بسم الله أفعال، أي بالله أفعال؛ وأن اسمه هو هو . قال : وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام واستدل بقول لبيد :

إلى الخول ثم اسم السلام عليكما ومن يسك حولاً كاملاً فقد اعتذر
والمعنى : ثم السلام عليكما، فإن اسم السلام هو السلام .
قال : واحتج أصحابنا في ذلك بقوله تبارك وتعالى : ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وهذا هو صفة للمسمى لا صفة لما هو فوق وكلام، بقوله : ﴿يسبح اسم ربك﴾ فإن المسمى هو المسمى وهو الله، وبقوله سبحانه : ﴿إنا بشرك بغلام اسمه يحيى﴾ ثم قال : ﴿ويا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ فنادى الاسم وهو المسمى . وبأن الفقهاء أجمعوا على أن الحالف باسم الله كالحالف بالله في بيان أنه تعتقد اليقين بكل واحد منهما؛ فلو كان اسم الله غير الله لكان الحالف بغير الله لا تعتقد يمينه، فلما اعتقد ولزم بالحنث فيها كفارة دل على أنه اسمه هو ويدل عليه أن القائل إذا قال : ما اسم معبودكم؟ قلنا : الله . فإذا قال : وما معبودكم؟ قلنا : الله . فنحيب في الاسم بما نحيب به في المعبود، فدل على أن اسم المعبود هو المعبود لا غير .

(١) نقل ابن تيمية عن محمد بن الهيصم الكرامى في كتاب «جمل الكلام في أصول الدين» جملة الكلام في القرآن وأنها مبنية على خمسة فصول . راجع في ذلك الأسماء والصفات لابن تيمية : ج ١ ص ٩٤ ،

الباب العاشر

اِخْتِلَافُهُمْ فِي الْكَلَامِ مَا هُوَ

واختلفوا في الكلام ما هو.

فقال الأكثرون منهم: كلام الله صفةُ الله لذاته لم يَزَلْ، وإنه لا يشبه كلام المخلوقين بوجه من الوجوه، وليست له مائة^(١) كما أن ذاته ليست لها مائة إلا من جهة الإثبات^(٢).

وقال بعضهم: كلام الله أمرٌ ونهيٌ، وخبرٌ، ووعدٌ، ووعيدٌ، وقصصٌ وأمثالٌ، والله تعالى لم يزل أمراً ناهياً، مخبراً، واعدأً مُوعداً، حامداً ذامماً؛ إذا خلقتكم وبلغت عقولكم فافعلوا كذا، وأنتم مذمومون على معاصيكم مثابون على طاعتكم إذا خلقتكم، كما أنا مأمورون مخاطبون بما نزل من القرآن على النبي ﷺ ولم نُخلق بعدُ ولم نكن موجودين.

وأجمع الجمهور منهم على أن كلام الله تعالى ليس بحروف ولا صوت ولا هجاء، بل الحروف والصوت والهجاء دلالات على الكلام، وأنها لذوي الآلات والجوارح التي هي: اللّهوات^(٣) والشفاه والألسنة، والله تعالى ليس بلذي جارحة، ولا محتاج إلى آلة، فليس كلامه بحروف ولا صوت.

وقال بعض كبرائهم في الكلام له: من تكلم بالحروف فهو معلول، ومن كان كلامه باعتقابه^(٤) فهو مضطر.

وقالت طائفة منهم: كلام الله حروف وصوت؛ وزعموا أنه لا يُعرف كلامه إلا كذلك مع إقرارهم أنه صفة الله تعالى في ذاته غير مخلوق. وهذا قول حارث

(١) المائة: الساحة.

(٢) يعني يُثبت وجودها فيقال فقط إنها موجودة، ولا يبحث في كيفيةها.

(٣) اللّهوات واللهيات: جمع لَهَاءَ، وهي اللحمية المشرفة على الحلق، وقيل: هي ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم (انظر لسان العرب: مادة لها).

(٤) يعني تعاقب الحروف وتتابعها.

المحاصبي ، ومن المتأخرين ابن سالم^(١) .

والأصل في هذا: أنه لما ثبت أن الله تعالى قديم، وأنه غير مشبهٍ للمخلوق من جميع الوجوه، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، فلا يكون كلامه حروفاً وصوتاً ككلام المخلوقين .

ولما أثبت الله لنفسه كلاماً بقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وجب أن يكون موصوفاً به فيما لم يزل، لأنه لو لم يكن موصوفاً به فيما لم يزل لكان كلامه ككلام المحدثين ولكان في الأزل موصوفاً بضده من سكوت أو آفة .

ولما ثبت أنه غير متغير، وأن ذاته ليست بمحلٍ للحوادث، وجب أن لا يكون ساكناً ثم صار متكلماً . فإذا ثبت كلامه، وثبت أنه ليس بمحدث وجب الإقرار به، ولما لم يثبت أنه حروف وصوت وجب الإمساك عنه .

ثم القرآن ينصرف في اللغة على وجوه، منها:

مصدر القراءة، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] . أي قراءته . والحروف المعجمة في المصاحف تسمى قرآناً، وقال النبي ﷺ: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ»^(٢) .

وسمى كلام الله قرآناً .

فكل قرآن سوى كلام الله فمحدث مخلوق، والقرآن الذي هو كلام الله فغير مُحدث ولا مخلوق .

(١) لعنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري، صاحب سهل بن عبد الله الشري وراوي كلامه، لا ينتمي إلى غيره من المشايخ . وكان من أهل الاجتهاد وطريقته طريقة أستاذه سهل، وله بالبصرة أصحاب يتبعون إليه وإلى ولده أبي الحسن أيضاً (انظر طبقات التبراني: ج ١ ص ١١٦) .
(٢) أخرجه الساعاتي في بدائع المنن (١١٤٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٣٦٩)، والتمقي الهندي في كنز العمال (٢٣٣٦ و ٢٨٦٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨ / ٢٦٥)

والقرآن إذا أُرْسِلَ وأُطلق لم يفهم منه غير كلام الله تعالى، فهو إذاً غير مخلوق. والوقوفُ فيه لأحد أمرين: إما أن يقف فيه وهو يصفه بصفة المحدث والمخلوق فهو عنده مخلوق، ووقوفه تَقِيَّةٌ، أو يقف وهو مُتَطَوِّرٌ على أنه صفة لله في ذاته، فلا معنى لوقوفه عن عبارة الخلق والتعلق به، اللهم إلا أن ينطوي على أنه صفة لله، وصفات الله غير مخلوقة، ولم يمتحن بنافٍ يجب عليه إثباته، فيقول: القرآن كلام الله، وسكت؛ إذ لم يأت بغير مخلوق روايةً ولا تُلِيَّتْ به آية، فهو عند ذلك مصيب.

الباب الحادي عشر

قولهم في الرؤيَّة

أجمعوا على أن الله تعالى يُرَى بالأبصار في الآخرة^(١)، وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين^(٢)، لأن ذلك كرامة من الله تعالى، لقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

(١) من الذين أنكروا إمكان رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة المعتزلة، وحجتهم في الإنكار أنهم نفوا أن يكون سبحانه في جهة، ولم يتمكنوا من إثبات الرؤيَّة دونها، إفراطاً منهم في التنزيه واحترازاً عن التشبيه، فاضطروا بسبب ذلك إلى تأويل الآيات والأحاديث التي تثبت الرؤيَّة. ومن جهة أخرى فإن الحشوية لم يتمكنوا من فهم موجود إلا في جهة، فثبتوا الرؤيَّة ولكنهم أثبتوا معها الجهة فوقها في التشبيه والتجسيم. أما أهل السنة كما قال الغزالي في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» فقد تفتنوا للمسلك القصد وعرفوا أن الجهة منفية لأنها للجسمية تابعة وتتمتع، وأن الرؤيَّة ثابتة لأنها رديف للمعلم وفريقه وهي تكملة له؛ فانتفاء الجسمية أوجب انتفاء الجهة التي من لوازمها، وثبوت العلم أوجب ثبوت الرؤيَّة التي هي من روافده وتكملاته ومشاركة له في خاصيته، وهي أنها لا توجد تغيراً في ذات المرئي بل تتعلق به على ما هو عليه كالمعلم (الاقتصاد في الاعتقاد: ص ٤٨).

(٢) الأقوال في رؤيَّة الكفار ثلاثة، ذكرها ابن تيمية في «الاسماء والصفات»: أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسر له. وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدك عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومناققيها وغيرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك. وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤيَّة تعريف وتعذيب. كاللص إذا رأى السلطان. ثم يحتجب عنهم ليعظم

[يونس: ٢٦].

وجوّزوا الرؤية بالعقل وأوجبوها بالسمع^(١)؛ وإنما جاز في العقل لأنه موجودٌ، وكلُّ موجودٍ فجازرُ رؤيته إذا وضع الله تعالى فينا الرؤية له. ولو لم تكن الرؤية جائزة عليه لكان سؤالُ موسى عليه السلام: ﴿أُرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] جهلاً وكفراً^(٢)، ولما علق الله الرؤية بشرطة استقرار الجبل بقوله: ﴿فَإِن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وكان ممكناً في العقل استقراره لو أقره الله، وجب أن تكون الرؤية المعلقة به جائزة في العقل ممكنة^(٣). فإذا ثبت جوازه في العقل، ثم جاء السمع بوجوبه بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وجاءت الرواية بأنها الرؤية^(٤). وقال النبي

عذابهم ويشتد عقابهم. وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم، وهم في الأصول متبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وأبي سهل بن عبد الله التستري.

(١) قوله «وجوّزوا الرؤية بالعقل وأوجبوها بالسمع»، يعني أن الدلائل العقلية تُجيز الرؤية، والدلائل السمعية من القرآن والسنة توجب الإيمان بالرؤية.

(٢) قال الإمام الغزالي: يستحيل أن يخفى على نبي من أنبياء الله تعالى انتهى منصبه إلى أن يكلمه الله سبحانه شفاهاً أن يجهل من صفات ذاته تعالى ما عرفه المعتزلة. وهذا معلوم على الضرورة، فإن الجهل بكونه مستنع الرؤية عند الخصم يوجب التكفير أو التضليل، وهو جهل بصفة ذاته لأن استحالتها عندهم لذاته ولأنه ليس بجهة، فكيف لم يعرف موسى عليه أفضل الصلاة أنه ليس بجهة! أو كيف عرف أنه ليس بجهة ولم يعرف أن رؤية ما ليس بجهة محال! قال: فليت شعري ماذا يضر الخصم ويقدره من ذهول موسى ﷺ، أي قدره معتقداً أنه جسم في جهة ذولون؟ واتهام الأنبياء صلوات الله سبحانه وتعالى عليهم وسلامه كفر صراح، فإنه تكفير للنبي ﷺ (الاقتصاد في الاعتقاد: ص ٤٦، ٤٧).

(٣) استقصى الإمام الغزالي في بحثه له جواز رؤية الله تعالى بالأدلة العقلية. راجع في ذلك «الاقتصاد في الاعتقاد»: ص ٤١ - ٤٨.

(٤) أخرج الترمذي في الجامع الصحيح (كتاب تفسير القرآن، باب ١١) من حديث صحيح عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم تبصّ وجوهنا وتنجنا من النار وتدخلنا الجنة؟ قال: فكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه» (أخرجه أيضاً مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربه سبحانه وتعالى، حديث رقم =

﴿ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ ﴾^(١) فِي رُؤْيَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢) وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا مَشْهُورَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ، وَجِبَ الْقَوْلُ بِهِ وَالْإِيمَانُ وَالتَّصَدِيقُ لَهُ .
 وَمَا تَأَوَّلَتِ النَّافِيَةُ لَهَا فَمَسْتَحِيلٌ، كَقَوْلِهِمْ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةُ: ٢٣] أَي إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، لِأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ؛ وَقَوْلُهُمْ فِي: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٤٣]: سَأَلَ آيَةَ^(٣)، فَإِنَّهُ قَدْ أَرَاهُ آيَاتِهِ؛ وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٣] أَنَّهُ كَمَا لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا كَذَا فِي الْآخِرَةِ؛ وَإِنَّمَا نَفَى اللَّهُ تَعَالَى الْإِدْرَاكَ بِالْأَبْصَارِ، لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ يَوْجِبُ كَيْفِيَّةً وَإِحَاطَةً، فَنفَى مَا يَوْجِبُ الْكَيْفِيَّةَ وَالْإِحَاطَةَ^(٤) دُونَ الرَّؤْيِيَةِ الَّتِي لَيْسَتْ فِيهَا كَيْفِيَّةٌ وَإِحَاطَةٌ^(٥).

وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا بِالْأَبْصَارِ وَلَا بِالْقُلُوبِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْإِيْقَانِ، لِأَنَّهُ غَايَةُ الْكِرَامَةِ وَأَفْضَلُ النَّعْمِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا فِي أَفْضَلِ الْمَكَانِ، وَلَوْ أُعْطُوا فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ النَّعْمِ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَالْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ فَرْقٌ، وَلَمَّا مَنَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَلِمَةَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أُخْرَى .
 وَأُخْرَى: أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَى الْبَاقِي فِي الدَّارِ الْفَانِيَةِ، وَلَوْ رَأَوْهُ فِي الدُّنْيَا لَكَانَ الْإِيمَانُ بِهِ ضَرُورَةً .
 وَالْجُمْلَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهَا تَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَمْ يَخْبِرْ أَنَّهَا تَكُونُ فِي الدُّنْيَا، فَوَجِبَ الْإِنْتِهَاءُ إِلَى مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ^(٦).

= ٢٩٧ . وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبْرِيِّ، فِي التَّفْسِيرِ، وَالنَّعْتِ: بَابُ الْمَعَاْفَةِ وَالْعُقُوبَةِ، وَابْنُ مَاجَةَ فِي الْمَقْدَمَةِ: بَابُ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ .

(١) يَرُوى «تَضَامُونَ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَيَرُوى «تَضَامُونَ» بِضَمِّ التَّاءِ وَالتَّشْدِيدِ، وَيَرُوى «تَضَامُونَ» بِضَمِّ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ . فَمَعْنَى تَضَامُونَ وَتَضَامُونَ: لَا يَنْضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَزْدَحْمُونَ وَقَدْ انْظُرْ إِلَيْهِ . وَمَعْنَى «تَضَامُونَ» بِالتَّخْفِيفِ: لَا يَنْالُكُمْ ضَمِيمٌ فِي رُؤْيَيْهِ فَيَرَاهُ بَعْضُكُمْ دُونَ بَعْضٍ . وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى لِلْحَدِيثِ: «تَضَامُونَ» بِالرَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ، وَيَرُوى «تَضَامُونَ» بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ؛ أَي لَا يَضَارُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي رُؤْيَيْهِ، أَي لَا يَضَاقِقُهُ لِيَنْفَرِدَ بِرُؤْيَيْهِ . (انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ: مَادَّةُ ضَمَمَ، وَمَادَّةُ ضَرَرَ) .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ بِصِيغٍ وَأَسَانِيدٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ وَمِائَتُ الْجَمَاعَةِ .

(٣) يَرِيدُ أَنَّهُمْ تَأَوَّلُوا بِسؤالِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ آيَةَ مِنْ عِنْدِهِ .

(٤) يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى نَفَى إِدْرَاكَهُ بِالْأَبْصَارِ عَلَى نَفْسِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا الْأَجْسَامَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَبْصَارَ تُدْرِكُ الْأَجْسَامَ بِالْإِحَاطَةِ بِهَا وَاتِّكِنَافِهَا مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهَا . وَرُؤْيَيْهِ تَعَالَى تَخْتَلِفُ فِي الْكَيْفِيَّةِ .

(٥) وَيُمْكِنُ أَنْ يَرِيدَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا كَمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ .

(٦) قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: مَنْ قَالَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ الْأَوْلِيَاءَ أَوْ غَيْرَهُمْ يَرَى اللَّهُ بَعِيْنَهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُخَالَفٌ =

الباب الثاني عشر

اِخْتِلَافُ قَوْلِهِمْ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

واختلفوا في النبي ﷺ: هل رأى ربه ليلة المَسْرَى؟

فقال الجمهور منهم والكبار: إنه لم يره محمد ﷺ ببصره، ولا أحد من الخلائق في الدنيا، على ما روي عن عائشة أنها قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنْ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ»^(١) منهم: الجُنَيْد^(٢)، والنُّورِي^(٣)، وأبو سعيد الخَزَّاز^(٤).

وقال بعضهم: رآه النبي ﷺ ليلة المَسْرَى، وإنه خُصَّ من بين الخلائق بالرؤية كما خُصَّ موسى عليه السلام بالكلام. واحتجُّوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس؛ منهم أبو عبد الله القرشي^(٥) والشبلي^(٦) وبعض المتأخرين.

وقال بعضهم: رآه بقلبه ولم يره ببصره^(٧)، واستدلَّ بقوله: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا

للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، لا سيما أنهم ادَّعوا أنهم أفضل من موسى، فإن هؤلاء يتأبون فإن تابوا وإلا قتلوا (الأسماء والصفات: ج ٢ ص ٥٢٥).

(١) أخرجه بلفظ «من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب» البخاري في التوحيد باب ٤ وبدء الخلق باب ٧، وفي تفسير سورة النجم. ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٨٧ و ٢٨٩. والترمذي في تفسير سورة الأنعام.

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد. انظر ترجمته ص ١٩ حاشية (٥).

(٣) أبو الحسين أحمد بن محمد النوري. انظر ترجمته ص ١٩ حاشية (٤).

(٤) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز. انظر ترجمته ص ٢٧ حاشية (٣).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) انظر ترجمته ص ٢٨ حاشية (١٢).

(٧) قال ابن تيمية: أما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين» وعائشة أنكرت الرؤية؛ فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

رأى ﴿ [النجم : ١١] ﴾

ولا نعلم أحداً من مشايخ هذه العُصبة المعروفين منهم والمتحققين به ، ولم نر في كتبهم ولا مصنفاتهم ولا رسائلهم ولا في الحكايات الصحيحة عنهم ، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم زعم أن الله تعالى يرى في الدنيا أو رآه أحد من الخلق ، إلا طائفة لم يعرفوا بأعيانهم .

بل زعم بعض الناس أن قوماً من الصوفية ادَّعوا لأنفسهم ؛ وقد أطبق المشايخ كلهم على تضليل من قال ذلك وتكذيب من ادَّعاء ، وصنّفوا في ذلك كتباً ؛ منهم أبو سعيد الخزاز ، وللجنيد في تكذيب من ادَّعاء وتضليله رسائل وكلام كثير .

وزعموا أن من ادَّعى ذلك فلم يعرف الله عز وجل ؛ وهذه كُتُبهم تشهد على ذلك .

الباب الثالث عشر

قَوْلُهُمْ فِي الْقَدْرِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ

أجمعوا أن الله تعالى خالقُ لأفعال العباد كلها ، كما أنه خالق لأعيانهم ، وأن كل ما يفعلونه من خير وشر فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ، ولولا ذلك لم يكونوا عبيداً ولا مرَبُوبين ولا مخلوقين ، وقال عز وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] ، وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر : ٥٢] .

فلما كانت أفعالهم أشياء ، وجب أن يكون الله خالقها ، ولو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله جلّ وعز خالق بعض الأشياء دون جميعها ، وكان قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] كذباً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال شيخ الإسلام : وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل (انظر الأسماء والصفات لابن تيمية : ج ١ ص ٣٢٣) .

ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خلق الأعيان، والعباد خالقي الأفعال، لكان الخلق أَوْلَى بصفة المدح في المخلوق من الله تعالى، ولكان خَلْقُ العباد أكثر من خلق الله، ولو كانوا كذلك لكانوا أتمَّ قدرة من الله تعالى وأكثر خلقاً منه، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، فنفي أن يكون خالقاً غيره، وقال الله تعالى: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٨]، فأخبر أنه قدر سير العباد، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] فدل أن مما خلق شراً، وقال: ﴿وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي خلقنا الغفلة فيه، وقال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٣، ١٤] فأخبر أن قولهم وسرهم وجههم خلق له.

وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، رأيت ما نعمل فيه، أعلى أمر قد فرغ منه، أو أمر مبتدأ؟ فقال: «على أمر قد فرغ منه» فقال عمر: أفلا نتكىل ونُدعُ العمل؟ فقال: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١).

وسئل النبي ﷺ: رأيت رُقي نسترقها ودواء نتداوى به، هل يرد من قدر الله؟ قال: «إِنَّهُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»^(٢).

وقال: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ»^(٣).

(١) معنى الحديث مروى عن عمر وأبي بكر وعلي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وهو في مسند الإمام أحمد وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج ٣ ص ٤٢١) من حديث أبي خزيمة أحد بني الحرث بن سعد بن هزيم عن أبيه قال: يا رسول الله رأيت دواء نتداوى به وركى نسترقها ونقى نتقيه هل ترد ذلك من قدر الله تبارك وتعالى من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه من قدر الله عز وجل. وأخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطب باب ٢١، وكتاب القدر باب ١٢. وابن ماجه في الطب باب ١.

(٣) الإيمان بالقدر خيره وشره ورد معناه في حديث الإيمان والإسلام من حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم ومن حديث عامر أو أبي عامر أو أبي مالك الأستعري عند أحمد في مسنده (ج ٤ ص ١٢٩ و ١٦٤). وأخرج الإمام أحمد (ج ٢ ص ١٨١ و ٢١٢) من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» وهي جامع الترمذي (كتاب القدر باب ١٠) من حديث جابر بن

ولما جاز أن يخلق الله تعالى العَيْنَ^(١) الذي هو شرٌّ، جاز أن يخلق الفعل الذي هو شرٌّ.

وَمُجْتَمِعٌ عَلَى أَنَّ حَرَكَةَ الْمَرْتَعَشِ خَلَقَ اللهُ، فَكَذَلِكَ حَرَكَةُ غَيْرِهِ؛ غَيْرَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى خَلَقَ لِهَذَا حَرَكَةً وَاخْتِيَاراً، وَخَلَقَ لِلْآخِرِ حَرَكَةً وَلَمْ يَخْلُقْ لَهُ اخْتِيَاراً.

قال أبو بكر الواسطي^(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣]، قال: «من ادعى شيئاً من مُلْكِهِ، وهو ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ حَظَرَةٍ وَحَرَكَةٍ أَنهَا لَهُ أَوْ بِهِ أَوْ إِلَيْهِ أَوْ مِنْهُ، فَقَدْ جَادَبَ الْقَبْضَةَ وَأَوْهَنَ الْعِزَّةَ». وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] خَلَقَ إِجْبَادَ وَأَمْرَ إِطْلَاقاً، مَا لَمْ يَأْمُرِ الْجَوَارِحَ أَمْرَ إِطْلَاقٍ لَمْ تَوَافِقْهُ فِي شَيْءٍ، كَذَلِكَ الْمَخَالَفَةُ.

الباب الرابع عشر

قَوْلُهُمْ فِي الْإِسْتِطَاعَةِ

أَجْمَعُوا أَنَّهُمْ لَا يَتَنَفَسُونَ نَفْساً وَلَا يَطْرُقُونَ طَرْفَةً وَلَا يَتَحَرَّكُونَ حَرَكَةً إِلَّا بِقُوَّةِ يُحَدِّثُهَا اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَإِسْتِطَاعَةٍ يَخْلُقُهَا اللهُ لَهُمْ مَعَ أَفْعَالِهِمْ لَا يَتَقَدَّمُهَا وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهَا وَلَا يَرُجِدُ الْفِعْلُ إِلَّا بِهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا بِصِفَةِ اللهِ تَعَالَى يَفْعَلُونَ مَا شَاءُوا وَيَحْكُمُونَ مَا أَرَادُوا، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ الْقَوِيَّ الْقَدِيرَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أَوْلَى مِنْ عَبْدٍ حَقِيرٍ ضَعِيفٍ فَقِيرٍ.

ولو كانت الاستطاعة هي الأعضاء السليمة لاسْتَوَى فِي الْفِعْلِ كُلِّ ذِي أَعْضَاءٍ سَلِيمَةٍ، فَلَمَّا رَأَيْنَا ذَوِي أَعْضَاءٍ سَلِيمَةٍ وَلَمْ نَرِ أَفْعَالَهُمْ، ثَبِتَ أَنَّ الْإِسْتِطَاعَةَ مَا يَرِدُ^(٣) مِنْ

= عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه». ولم أجد الحديث بنفس لفظ الكلاباذي هنا.

(١) العين: أن تصيب الإنسان نعي؛ قال في لسان العرب (مادة عين): عان الرجل يعينه عينا، فهو عائن، والمصاب مَعِينٌ، على النقص، ومعين، على التمام؛ أصابه بالعين.

(٢) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي المعروف بابن الفرغاني. انظر ترجمته ص ٢٨ حاشية (٧).

(٣) يعني من الله تعالى، وقد عرّف الجرجاني في كتابه «التعريفات» الاستطاعة بقوله: «هي عَرْضُ يَخْلُقُهُ =

القوة على الأعضاء السليمة، وتلك القوة متفاضلة في الزيادة والنقصان ووقت دون وقت، وهذا يشاهده كل من نفسه .

ثم لما كانت القوة عَرَضاً، والعَرَضُ لا يبقى بنفسه^(١) ولا ببقاء فيه؛ لأن ما لا يقوم بنفسه ولا يقوم به غيره لا يبقى ببقاء في غيره، لأن بقاء غيره ليس ببقاء له، بطل أن يكون له بقاء، وإذا كان كذلك وجب أن تكون قوة كل فعل غير قوة غيره. ولولا ذلك لم تكن للمخلوق حاجة إلى الله تعالى عند أفعالهم، ولا كانوا فقراء إليه، ولكان قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] لا معنى له .

ولو كانت القوة قبل الفعل وهي لا تبقى لوقت الفعل، لكان الفعل بقوة معدومة، ولو كانت كذلك لكان وجود الفعل من غير قوة، وفي ذلك إبطال الربوبية والعبودية جميعاً؛ لأنه لو كان كذلك لكان يجوز وقوع فعل من غير ذي قُوَى، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون وجودها بأنفسها من غير فاعل، وقد قال الله تعالى في قصة موسى والعمد الصالح: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، يريد لا تقوى عليه .

وأجمعوا أن لهم أفعالاً واكتساباً على الحقيقة هم بها مثابون وعليها معاقبون؛ ولذلك جاء الأمر والنهي، وعليه ورد الوعد والوعيد .

ومعنى الاكتساب: أن يفعل بقوة مُحدثة .

وقال بعضهم: معنى الاكتساب: أن يفعل لجر منفعة أو دفع مضرة^(٢) لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

= الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية . وهذا التعريف موافق لما يورده الكلانادي هنا من أن الاستطاعة ليست ذاتية في الحيوان إنما هي من قبيل الله تعالى .

(١) وليس وجوده شرطاً لوجود الشيء، حسب تعبير الفلاسفة في تعريفهم للمعرض، ولهم تعريفات أخرى تتضمن نفس هذا المعنى، منها: يقال عرض لكل معنى موجود للشيء خارج عن طبعه، ويقال عرض لكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده في آخر يفارقه، ويقال عرض لكل معنى وجوده في أول الأمر لا يكون .

(٢) هذا تعريف الفقهاء للاكتساب أو الكسب، والتعريف السابق «أن يفعل بقوة محدثة» هو تعريف الفلاسفة والمتكلمين .

وأجمعوا أنهم مختارون لاكتسابهم يريدون له، وليسوا بمحمولين عليه، ولا مُجبرين فيه، ولا مستكرهين له.

ومعنى قولنا: «مُخْتَارُونَ» أن الله تعالى خلق لنا اختياراً فانضى الإكراه فيها، وليس ذلك على التفويض.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ الله تعالى لا يُطَاعُ بِإِكْرَاهٍ، ولا يُعصى بِعَلْبَةٍ، ولم يُهْمَلِ الْعِبَادَ مِنَ الْمَمْلُوكَةِ».

وقال سهل بن عبد الله^(١): «إِنَّ الله تعالى لم يُقَوِّ الْأَبْرَارَ بِالْجَبْرِ، إِنَّمَا قَوَّاهُمْ بِالْيَقِينِ».

وقال بعض الكبراء: «مَنْ لم يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَحَالَ الْمَعَاصِي عَلَى الله فَقَدْ فَجَرَ».

الباب الخامس عشر

قَوْلُهُمْ فِي الْجَبْرِ

وأحال بعضهم الجبر، وقال لا يكون الجبر إلا بين الْمُتَمَتِّعِينَ، وهو أن يأمر الأمر ويمتنع المأمور فيجبره الأمر عليه. ومعنى الإيجاب: أن يُسْتَكْرَهَ الْفَاعِلُ عَلَى إِيْتَانِ فِعْلٍ هُوَ لَهُ كَارُهُ وَلِغَيْرِهِ مُؤْتَرٌ، فيختار المُجْبَرُ إِيْتَانِ مَا يَكْرَهُه وَيَتْرَكَ الَّذِي يَحِبُّه، ولولا إكراهه له وإجباره إياه لفعل المتروك وترك المفعول. ولم نجد هذه الصفة في اكتسابهم الإيمان والكفر والطاعة والمعصية، بل اختار المؤمن الإيمان وأحبه واستحسنه وأراده وآثره على ضده، وكره الكفر وأبغضه واستقبحه ولم يُرِدْهُ وآثر عليه ضده^(٢).

(١) سهل بن عبد الله التستري. انظر ترجمته ص ١٩ حاشية ١.

(٢) هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الحر. والجبر هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف ذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل، فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري. ومن الجبرية الخالصة فرقة =

والله خلق له الاختيار والاستحسان والإرادة للإيمان، والبغض والكراهة والاستقباح للكفر، قال الله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

واختار الكافر الكفر واستحسنه وأحبه وأراده وآثره على ضده، وكره الإيمان وأبغضه واستقبحه ولم يرده وآثر عليه ضده.

والله تعالى خلق ذلك كله، قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وليس أحدهما بممنوع عن ضد ما اختاره، ولا بمحمول على ما اكتسبه؛ ولذلك وجبت حجة الله عليهم، وحق عليهم القول من ربهم، وماوى الكافرين النار بما كانوا يكسبون ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، ويفعل الله ما يشاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال ابن الفرغاني^(١): «ما مِنْ خَطَرَةٍ وَلَا حَرَكَةٍ إِلَّا بِالْأَمْرِ، وهو قوله: كُنْ، فَلَهُ الْخَلْقُ بِالْأَمْرِ، وله الْأَمْرُ بِالْخَلْقِ^(٢)، وَالْخَلْقُ صِفَتُهُ، فلم يَدْعُ بهِذِينَ الْحَرَفَيْنِ لِعَاقِلٍ يَدْعِي شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَا لَهُ وَلَا بِهِ وَلَا إِلَيْهِ، فاعلم أنه لا إله إلا الله».

الباب السادس عشر قَوْلُهُمْ فِي الْأَصْلَحِ

أجمعوا على أن الله تعالى يفعل بعباده ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، كان ذلك

= الجهمية أصحاب جهنم بن صفوان الذي قتله سلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية. (انظر الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٧٢ و ٧٣ - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٠ م).

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي. انظر ترجمته ص ٢٨ حاشية ٧.
(٢) قوله وله الخلق بالأمر أي أنه تعالى يخلق بكلمة كن؛ وقوله وله الأمر بالخلق لعنه يريد أن أمر المخلوقين بيده تعالى.

أصلح لهم أو لم يكن^(١)، لأن الخلق خلقه والأمر أمره ﴿لَا يُنَالُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنَالُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولولا ذلك لم يكن بين العبد والرب فرق. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

والقول بالأصلح يوجب نهاية القدرة وتنفيذ ما في الخزائن وتعجيز الله تعالى عن ذلك^(٢)؛ لأنه إذا فعل بهم غاية الصلاح فليس وراء الغاية شيء، فلو أراد أن يزيدهم على ذلك الصلاح صلاحاً آخر لم يقدر عليه، ولم يجد بعد الذي أعطاهم ما يعطيهم مما يصلح لهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأجمعوا أن جميع ما فعل الله بعباده من الإحسان والصحة والسلامة والإيمان والهداية واللفظ تفضل منه، ولو لم يفعل ذلك لكان جائزاً وليس على الله بواجب، ولو كان ما يفعل مما يفعل شيئاً واجباً عليه لم يكن مستحقاً للحمد والشكر.

وأجمعوا أن الثواب والعقاب ليس من جهة الاستحقاق^(٣)، لكنه من جهة المشيئة^(٤) والفضل والعدل، لأنهم لا يستحقون على أجرام منقطعة عقاباً دائماً، ولا

(١) رعاية الأصلح من الأركان في مذهب المعتزلة، وقد اتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

(٢) قوله «يرجع نهاية القدرة... الخ» يريد أن القول بالأصلح يوجب على قائله أن يحدثوا من قدرة الله تعالى، فيجعلوا هذه القدرة ضمن إطار معين لا يتعداه وهو وجوب فعل الأصلح، ومتى فعلوا ذلك نفوا القدرة اللامتناهية.

(٣) وهذه المسألة أيضاً من كبريات المسائل التي اختلف فيها أهل السنة مع المعتزلة. واستحقاق الثواب والعقاب يسمى عند المعتزلة بمسألة الوعد والوعيد، فقد اتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعرض والتفضيل، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار.

(٤) المقصود بالمشيئة هنا الاختيار الذي يقابل الإلزام.

على أفعال معدودة ثواباً دائماً غير معدود^(١).

وأجمعوا أنه لو عذب جميع من في السموات ومن في الأرض لم يكن ظالماً لهم، ولو أدخل جميع الكافرين الجنة لم يكن ذلك محالاً؛ لأن الخلق خلقه والأمر أمره، ولكنه أخبر أنه يُنعم على المؤمنين أبداً ويعذب الكافرين أبداً، وهو صادق في قوله، وخبره صادق، فوجب أن يفعل بهم ذلك ولا يجوز غيره، لأنه لا يكذب في ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأجمعوا أنه لا يفعل الأشياء لعلة، ولو كان لها علة لكان للعلة علة، إلى ما لا يتناهى؛ وذلك باطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿وَوَقَّمتَ كَلِمَةً بَّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِـكُفْرِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولا يكون شيء منه ظلماً ولا جوراً؛ لأن الظلم إنما صار ظلماً لأنه منهى عنه، ولأنه وَضِعُ الشيء في غير موضعه؛ والجور إنما كان جوراً لأنه عدلٌ عن الطريق الذي بين له والمثال الذي مثل له من فوِّقه ومن هو تحت قدرته؛ ولما لم يكن الله تحت قدرة قادر ولا كان فوِّقه أمر ولا زاجر، لم يكن فيما يفعله ظالماً ولا في شيء يحكم به جائراً، ولم يَقْبَحْ منه شيء؛ لأن القبيح ما قَبَّحَهُ، والحسن ما حَسَّنَهُ.

وقال بعضهم: «القبيح ما نهى عنه، والحسن ما أمر به».

وقال محمد بن موسى^(٢): «إنما حَسُنَتْ الْمُتَحَسِّنَاتُ بِتَجَلِّيهِ، وَقَبَّحَتْ الْمُسْتَقْبَحَاتُ بِامْتِنَانِهِ، وَإِنَّمَا هُمَا نَعْتَانِ يَجْرِيَانِ عَلَى الْأَبَدِ بِمَا جَرَيَا فِي الْأَزَلِ،

(١) تبريره هنا غير مستقيم؛ فقوله «لأنهم لا يتحققون على أجرام منقطعة عقاباً دائماً... الخ» لا يتناسب مع مقولة أن الثواب والعقاب ليسا من جهة الاستحقاق. فكانه بذلك نفى الاستحقاق ثم عاد وأثبت دون أن يدري.

(٢) محمد بن موسى الواسطي، ابن الفرغاني، راجع ص ٢٨ حاشية ٧.

معناه: كُلُّ ما رَدَّكَ إلى الْحَقِّ من الْأَشْيَاءِ فهو حَسَنٌ، وما رَدَّكَ إلى شيءٍ دُونَهُ فهو قَبِيحٌ، فَالْقَبِيحُ وَالْحَسَنُ ما حَسَّنَهُ اللهُ في الْأَزَلِ وما قَبَّحَهُ.

ومعنى آخر: أن المستحسن هو ما تخلَّى عن ستر النهي، فلم يكن بين العبد وبينه ستر، والقبيح: ما كان وراء الستر، وهو النهي على معنى قوله عليه السلام: «وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرَخَّاةٌ»^(١) قيل: الأبواب المفتحة محارم الله، والستور حدوده^(٢).

الباب السابع عشر

قَوْلُهُمْ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ

أجمعوا أن الوعد المطلق في الكفار والمنافقين، والوعد المطلق في المؤمنين والمحسنين.

وأوجب بعضهم غفران الصغائر باجتناب الكبائر بقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(٣) الآية [النساء: ٣١]. وجعلها بعضهم كالكبائر في جواز العقوبة

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج ٤ ص ١٨٢) من حديث النراس بن سمعان الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: وعك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلج». والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم».

(٢) هذا التفسير كما رأيت في الحاشية السابقة هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه «والسوران حدود الله تعالى».

(٣) تنمة الآية: ﴿... نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ قال أبو حيان الأندلسي: والظاهر أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وسيئات وهي التي عبر عنها أكثر العلماء بالصغائر. قال: وقد اختلفوا في ذلك، فذهب الجمهور إلى انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، فمن الصغائر النظرة واللمة والقلبة ونحو ذلك مما يقع عليه اسم التحريم، وتكفر الصغائر باجتناب الكبائر. وذهب جماعة من الأصوليين منهم الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني وأبو المعالي وأبو نصر عبد الرحيم القشيري إلى أن الذنوب كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، يقال الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر، والقلبة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا، ولا ذنب يخفر باجتناب ذنب آخر بل كل ذنب كبيرة وصاحبه ومرتكبه في المشيئة غير الكفر، وحملوا قوله تعالى: ﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ على أنواع الشرك =

عليها، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وقالوا: معنى قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] هو الشُّرْك والكفر وهو أنواع كثيرة^(١)، فجاز أن يُطْلَقَ عليها اسم الجمع. وفيه وجه آخر، وهو أن الخطاب خرج على الجمع، فكانت كبيرة كل واحدٍ منهم عند الجمع كباير^(٢).

وجوزوا غفران الكبائر بالمشيئة والشفاعة.

وأوجبوا الخروج من النار لأهل الصلاة لا محالة بإيمانهم، قال الله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣) [النساء: ٤٨]، فجعل المشيئة شرطاً فيما دون الشُّرْك.

وجملة قولهم أن المؤمن بين الخوف والرجاء، يرجو فضلي الله في غفران الكبائر^(٤)، ويخاف عدله في العقوبة على الصغائر؛ لأن المغفرة مضمون المشيئة، ولم يأت مع المشيئة شرط كبيرة ولا صغيرة.

ومن شدّد وغلظ في شرائط التوبة وارتكاب الصغائر فليس ذلك منهم على إيجاب الوعيد، بل ذلك على تعظيم الذنب في وجوب حق الله في الانتهاء عما نهى والكفر (انظر تصدير البحر المحيط لأبي حيان، ج ٣ ص ٢٣٣).

(١) هذا قول الأصوليين الذين ذكروا في الحاشية السابقة، فراجعها. قالوا: ويؤيده قراءة «كبيرة» على التوحيد، وقوله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال له رجل: يا رسول الله وإن كان يسيراً؟ قال: «وإن كان قضيماً من أراك» قالوا فقد جاء الوعيد على اليسير كما جاء على الكثير. قال أبو حيان: وروي عن ابن عباس مثل قول هؤلاء، قال: «كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة». (انظر المرجع السابق: ج ٣ ص ٢٣٣).

(٢) قوله: «وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب... الخ». هذا جواب ضعيف لا ينهض لمقاومة من قالوا إن اجتناب الكبائر يوجب غفران الصغائر بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ وقد مرّ معاً في الحاشيتين السابقتين أن قراءة «كبائر» على الجمع ظاهرها يؤيد حجج القائلين بالقول الأول، وأن القائلين بأن كل الذنوب كبائر يؤيدون وجهة نظرهم بقراءة «كبيرة» على الأفراد.

(٣) قال البيهقي: يعني ما دون الشُّرْك لمن يشاء بلا عقوبة، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه لقوله: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عملاً﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾. (انظر الاعتقاد للإمام البيهقي:

ص ١٠١ - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦)

(٤) إلا الشُّرْك.

عنه^(١)، ولم يجعلوا في الذنوب صغيرة إلا عند نسبة بعضها إلى بعض، فطالبوا النفوس بإيفاء حق الله تعالى، والانتهاه عما نهى الله عنه، والوفاء بما أمر به الله، ورؤية التقصير في شرائط العمل.

وهم مع ذلك كله أرجى الناس للناس، وأشدّهم خوفاً على أنفسهم، حتى كأن الوعيد لم يرد إلا فيهم، والوعد لم يكن إلا لغيرهم.

قيل للفضيل^(٢) عشية عرفة: كيف ترى حال الناس؟

قال: «مَغْفُورُونَ لَوْلَا مَكَانِي فِيهِمْ».

وقال السريّ السقطي^(٣): «إِنِّي لَأَنْظُرُ فِي الْمِرَاةِ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاراً مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْوَدَّ وَجْهِي».

وقال: «لَا أَحِبُّ أَنْ أَمُوتَ حَيْثُ أُعْرَفُ مَخَافَةَ أَنْ لَا تَقْبَلَنِي الْأَرْضُ فَأَكُونَ قَضِيحَةً».

وهم أحسن الناس ظنونا بربهم.

قال يحيى^(٤): «مَنْ لَمْ يُحْسِنْ بِاللَّهِ ظَنَّهُ، لَمْ تَقْوِ بِاللَّهِ عَيْنُهُ»^(٥).

(١) قال ابن حجر الهيتمي في كتاب «الزواجر» بعد أن عرض أقوال الأئمة في الكبائر والصغائر، وأن منهم من ينكر أن في الذنوب صغيرة بل قالوا سائر المعاصي كبائر، ومنهم من يرى أن المعاصي تنقسم إلى صغائر وكبائر، قال: وإنما الخلاف في التسمية والإطلاق لإجماع الكل على أن من المعاصي ما يقدح في العدالة ومنها ما لا يقدح فيها، وإنما الأولون فروا من هذه التسمية فكروها تسمية معصية الله تعالى صغيرة نظراً إلى عظمة الله تعالى وشدة عقابه وإجلالاً له عز وجل عن تسمية معصيته صغيرة، لأنها بالنظر إلى باهر عظمته كبيرة أي كبيرة، ولم ينظر الجمهور إلى ذلك لأنه معلوم، بل قسموها إلى صغائر وكبائر لقوله تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ فجعلها رتباً ثلاثة، وسَمَى بعض المعاصي فسوقاً دون بعض، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج ١ ص ٧ و ٨ - دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧).

(٢) الفضيل بن عياض. انظر ترجمته ص ٢٣ حاشية ٣.

(٣) انظر ترجمته ص ١٢ حاشية ٢.

(٤) يعني أبا زكريا يحيى بن معاذ الرازي. انظر ترجمته ص ٢٩ حاشية ٥.

(٥) وقال يحيى أيضاً: أوثق الرجاء رجاء العبد به، وأصدق الظنون حسن المظن بالله (حلية الأولياء، ج ١ ص ٥٨).

وهم أسوأ الناس ظنوناً بأنفسهم، وأشدهم إزراءً بها، لا يرونها أهلاً لشيء من الخير ديناً ولا دنياً.

والجملة أن الله تعالى قال: ﴿وَأَخْرُوجُنَّ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٢]، أخبر أن المؤمن له عملان: صالح وسيء، فالصالح له والسيء عليه.

وقد وعد الله تعالى على ما له ثواباً، وأوعد على ما عليه عقاباً، والوعد حقُّ الله تعالى من العباد، والوعدُّ حقُّ العباد على الله فيما أوجبه على نفسه، فإن استوفى منهم حقَّ نفسه ولم يوفهم حقهم لم يكن ذلك لائقاً بفضله مع غناه عنهم و فقرهم إليه، بل الأليق بفضله والأحرى بكرمه أن يوفهم حقوقهم، ويزيدهم من فضله، ويهبَ منهم حقَّ نفسه، وبذلك أخبر عن نفسه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وفي قوله: ﴿من لدنه﴾ أنه تفضل وليس بجزاء.

الباب الثامن عشر

قولهم في الشفاعة^(١)

أجمعوا على أن الإقرار بجملة ما ذكر الله تعالى في كتابه وجاءت به الروايات عن النبي ﷺ في الشفاعة واجب، لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقول الكفار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢)، وقوله: «وَاخْتَبَاتُ

(١) ذكر في هذا الباب أبحاثاً أخر غير الشفاعة، منها الصراط والميزان وخلق الجنة والنار وغيرها.
(٢) من حديث أنس بن مالك، أخرجه الإمام أحمد في المسند (ج ٣ ص ٢١٣).، أخرجه أيضاً أبو داود في كتاب السنة باب ٢١، والترمذي في القيامة باب ١١، وابن ماجه في الزهد باب ٣٧.

دَعَوَتِي الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي»^(١).

وأقروا بالصراط، وأنه جسر يمد على جهنم. وقرأت عائشة رضي الله عنها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قالت: فأين الناس حينئذ يا رسول الله؟ فقال: «عَلَى الصِّرَاطِ»^(٢).

وأقروا بالميزان، وأن أعمال العباد توزن، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وإن لم يعلموا كيفية ذلك، وقولهم في هذا وأمثاله مما لا يُدرك العباد كيفية: آمناً بما قال الله على ما أراد الله، وآمناً بما قال رسول الله ﷺ على ما أراد رسول الله ﷺ^(٣).

(١) رواه بالفاظ مختلفة البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والدارمي ومالك وأحمد. ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ١٠٥) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي» قال البيهقي: وبمعناه رواه أبي بن كعب وأبو هريرة وعبد الرحمن بن أبي عقيل وغيرهم عن النبي ﷺ ورواه عن أبي هريرة بلفظ: «إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يترك بالله شيئاً». وفي باب الشفاعة أحاديث أخر عن النبي ﷺ ذكرها البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ١٠٤ - ١١٤)، منها: «أنا أول شفيع يوم القيامة. . .» من حديث أنس، ومنها: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا حاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر». من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم حديث ٢٩، والترمذي في تفسير سورة إبراهيم، وابن ماجه في الزهد باب ٣٣، والدارمي في الرقاق بلب ١٨، والإمام أحمد (ج ٦ ص ٣٥، ١٠١، ١٣٤، ٢١٨).

(٣) هذا رأي الجمهور من أهل السنة حيث خالفوا المشبهة والمؤولة، فالمشبهة قالوا مثلاً في الآيات التي تشير إلى الوجه واليد وغيرها: لله يد لا كأيدينا ووجه لا كوجوهنا، فأسرفوا في التشبيه، بينما أول الآخرون جميع هذه الآيات فحملوا اليد على القدرة أو النعمة وحملوا الوجه على الذات. . . الخ. ووقف جمهور السلف موقفاً عدلاً فلم يشبهوا ولم يسرفوا في التأويل. وقد لخص ابن قتية هذا الرأي في رده على الجهمية، فقال: قالوا في قول الله: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ إن اليد ههنا النعمة، وما تنكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل، أحدها النعمة والآخر القوة من الله. . . والوجه الثالث اليد بمعنىها؛ ولكنه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة لأنه قال: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ والنعم لا تغل، وقال: ﴿غلت أيديهم﴾ معارضة بمثل ما قالوا، ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم، ثم قال: ﴿بل يدها مبوطان﴾ ولا يجوز أن يريد نعمته مبوطان؛ وكان مما احتجوا به للنعمة قوله: ﴿غلت أيديهم﴾ لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد؛ فما

وأَقْرَبُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ^(١).

وأَقْرَبُوا بِتَأْيِيدِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنْهَمَا مَخْلُوقَتَانِ، وَأَنْهَمَا بِأَقْبَتَانِ أَبَدَ الْأَبَدِ لَا تَفْضِيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ، وَكَذَلِكَ أَهْلُهُمَا بِأَقْوَانِ فِيهِمَا، خَالِدُونَ مَخْلُدُونَ، مُنْعَمُونَ وَمُعَذَّبُونَ، لَا يَنْفَدُ نَعِيمُهُمْ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَذَابُهُمْ.

وشهدوا لعامة المؤمنين بالإيمان في ظاهر أمورهم، ووَكَّلُوا سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

أعجب هذا الجهل والتعسف في القول بغير علم، ألم يسمِعوا بقول الله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ويقول: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا﴾ وقوله: ﴿لَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾ واللعن الطرد، فهل قتل الله الناس جميعاً؟ وهل قتل قوماً وطرد آخرين؟ ولم يسمِعوا بقول العرب: قاتله الله ما أبطشه، وأخزاه الله ما أشعره، ويقول النبي ﷺ لرجل: «تربت يداه» أي افتر، ولم يفتر، ولا امرأة: «عقرى حلقى» ولم يعقرها الله ولا أصاب حلقها بوجع. فإن قال لنا: ما اليدان هنا؟ قلنا له: هما اليدان اللتان تعرف الناس كذلك، قال ابن عباس في هذه الآية: «اليدان يدان»، وقال النبي ﷺ: «كلنا يديه يمين» فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين هنا نعمة أو نعمتين؟ وقال: ﴿لَمَّا خَلَقْتَ يَدَيَّ﴾. قال ابن قتيبة: وتأويل الآية أن اليهود قالت يد الله مغلولة، أي مسكة عن العطاء، فضرب الخلل في اليد مثلاً لأنه يقبض اليد عن أن تمتد وتنبسط كما تقبض يد الخيل، فقال الله تعالى: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي قبضت عن العطاء والإنفاق في الخير والبر، ﴿وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾ بل يداه مبوطتان ﴿بِالْعَطَاءِ﴾ أي يفتق كيف يشاء، ومثله قوله: ﴿جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ﴿أَي قَبْضًا أَيْدِيهِمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَوَانِعِ كَالْأَغْلَالِ﴾.

ثم ردَّ ابن قتيبة على تأويلهم لبعض الآيات كقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أن الروح هو الأمر وتأويلهم لقوله تعالى: ﴿وَجِوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي منتظرة. وغيرها من الآيات. (انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، ص ٢٦ وما بعدها - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥).

(١) ورد في هذا المعنى أحاديث عند البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد. منها في صحيح البخاري (كتاب التوحيد باب ٣٦) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَقَعْتُ فَقَلْتُ يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ شَيْءٍ». وفي حديث الشفاعة عن أنس أيضاً: «... فَيَقَالُ مُحَمَّدٌ أَرْفَعُ رَأْسَكَ وَقَلَّ يَسْمَعُ لَكَ وَسَلَّ تُعْطَىٰ وَأَضْفَعُ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَمْنِي أَمْنِي، يُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٌ مِنْ إِيْمَانٍ».

وأقروا أن الدار دار إيمان وإسلام، وأن أهلها مؤمنون مسلمون. وأهل الكبائر عندهم مسلمون، مؤمنون بما معهم من الإيمان، فاسقون بما فيهم من الفسق.
ورأوا الصلاة خُلِفَ كلُّ برٍّ وفاجر.
ورأوا الصلاة على كلِّ من مات من أهل القبلة.
ورأوا الجمعة والجماعات والأعياد واجبة على من لم يكن له عذر من المسلمين مع كلِّ إمام برٍّ أو فاجر. وكذلك الجهاد معهم والحج.
ورأوا الخلافة حقًّا، وأنها في قريش.
وأجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.
ورأوا الاقتداء بالصحابة والسلف الصالح، وسكتوا على القول فيما كان بينهم من التشاجر، ولم يروا ذلك قادمًا فيما سبق لهم من الله عز وجل من الحسنی.
وأقروا أن من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فهو في الجنة، وأنهم لا يعذبون بالنار.

ولا يرون الخروج على الولاة بالسيف وإن كانوا ظلمة^(١).

ويرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً لمن أمكنه بما أمكنه^(٢)، مع

(١) اعتمادهم في ذلك على أحاديث متعددة عن النبي ﷺ، منها ما أورده البيهقي في كتاب «الاعتقاد» «باب طاعة الولاة ولزوم الجماعة» عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «سيعمل عليكم أمراء بعدي تعرفون وتتكرون، فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع» قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا». وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً إلا مات ميتة جاهلية».

لكننا إذا نظرنا إلى سيرة الخلفاء الراشدين نراهم يأمرون الناس برد الوالي الظالم ولو بالسيف كما روي أن الصحابة قالوا لعمر: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا. وقد روي أن أبا بكر الصديق خطب الناس بعد مبايعته بالخلافة فقال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

(٢) يعني بيده إن أمكن، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان كما ورد في الحديث.

شفقة ورأفة ورفق ورحمة ولطف ولين من القول .
ويؤمنون بعذاب القبر، ويسؤال منكر ونكير .
وأقروا بمعراج النبي ﷺ، وأنه عُرِجَ به إلى السماء السابعة، وإلى ما شاء الله،
في ليلة، في اليقظة، ببدنه .
وَيُصَدِّقُونَ بِالرُّؤْيَا، وأنها بشارة للمؤمنين وإنذار لهم وتوقيف .
وعندهم أن من مات أو قُتِلَ فَبَاجِلِهِ . ولا يقولون باختيار^(١) الآجال، وأنه إذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

الباب التاسع عشر

قَوْلُهُمْ فِي الْأَطْفَالِ^(٢)

وأقروا أن أطفال المؤمنين مع آبائهم في الجنة^(٣) .
واختلفوا في أطفال المشركين، فمنهم من قال: لا يعذبُ الله بالنار إلا بعد لزوم

(١) يقال: اُخْتَرِمَ فلان عنا: مات وذهب. واخترمته المنيّة من بين أصحابه. أخذته من بينهم. واخترمهم الدهر
وتخرّمهم أي اقتطمهم واستأصلهم (لسان العرب: مادة خرم). وقوله هنا «لا يقولون باختيار الآجال»
يريد أنهم يرون أن الآجال بيد الله ولا دخل للدهر فيها.
(٢) أدرج تحت هذا العنوان مائل أخرى كالسح على الخفين والرزق الحرام والجداول والمرء في
الدين . . . الخ .

(٣) ورد عن عائشة أم المؤمنين حديث يشير إلى عدم القطع بكونهم مع آبائهم في الجنة، وقد روى هذا
الحديث البيهقي في كتاب «الاعتقاد» عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ بصبي من الأنصار ليصلي عليه،
قال: فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدره! فقال: «أو
غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم. وخلق
النار وخلق لها أهلاً، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم».

وقد روي عن ابن عباس في أطفال المسلمين أن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة بأن ألحق بهم ذرياتهم
في الجنة؛ عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فأرسل الله تعالى بعد هذا:
﴿وَالْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بإيمان، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنة.

قال البيهقي: فيحتمل أن يكون خير عائشة رضي الله عنها في ولد الأنصاري قبل نزول الآية، فجرى
رسول الله ﷺ على الأصل المعلوم في جريان القلم بسعادة كل نسمة أو شقاوتها، فمنع من القطع =

الحجة على من عاند وكفر ووجبت عليه الأحكام . وأرجأ الأكثرون أمرهم إلى الله تعالى ، وجوزوا تعذيبهم وتنعيمهم^(١) .

وأجمعوا على أن المسح على الخفين حق .

وجوزوا أن يرزق الله الحرام^(٢) .

وأنكروا الجدال والجرأة في الدين ، والخصومة في القدر والتنازع فيه . ورأوا التشاغل بما لهم وعليهم أولى من الخصومات في الدين .

ورأوا طلب العلم أفضل الأعمال ، وهو علم الوقت بما يجب عليهم ظاهراً وباطناً .

وهم أشفق الناس على خلق الله ، من فصيح وأعجم ، وأبدل الناس بما في أيديهم ، وأزهدهم عما في أيدي الناس ، وأشدهم إعراضاً عن الدنيا ، وأكثرهم طلباً للسنة والآثار ، وأحرصهم على اتباعها .

بكونه في الجنة . ثم أكرم الله تعالى أمته بالحقاق ذرية المؤمن به وإن لم يعملوا عمله ، فجاءت أخبار بدخولهم الجنة ، فعلمتنا بها جريان القلم بمعادتهم ، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ «صنارهم ضمائم الجنة» ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ «وأولاد المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم ومارة عليهما السلام ، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم» . وفي حديث معاوية بن قره عن أبيه عن النبي ﷺ في قصة الرجل الذي هلك ابن له ، قال : فعزاه النبي ﷺ فقال : «يا فلان أيما أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟» فقال : يا نبي الله ، لا ؛ بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحب إلي . قال : «فذاك لك» فقام رجل من الأنصار فقال : يا نبي الله جعلني الله فداك ، أهذا لهذا خاصة أو من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له؟ قال : «من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له» .

(١) يؤيد هذا ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء» قالوا : يا رسول الله أفرايت من يموت وهو صخري؟ قال : «الله أعلم بما كانوا عاملين» . رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد .

(٢) قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد» في قوله تعالى : «وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها» قال : قد علمنا أن جميع المكلفين ليسوا باكلين حلالاً ، فلو كان لم يرزقهم الحرام كان لم يرزق أكثر الأنام لاكلهم الحرام ، وفي ذلك دلالة على أن جميع ما يقضى به الحيوان من حلال أو حرام فهو رزقه ، فدخل فيه ما يأكله المكلفون من حلال وحرام وما يأكله الأطلاق من لبن لا يملكونه وغيره مما يأكله البهائم وإن لم يكن لها ملك .

الباب العشرون فيما كلف الله البالغين

أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالى على العباد في كتابه وأوجبه رسول الله ﷺ فرض واجباً وحثم لزم على العقلاء البالغين، لا يجوز التخلف عنه، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولي وعارف، وإن بلغ أعلى المراتب وأعلى الدرجات وأشرف المقامات وأرفع المنازل.

وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة: من إباحة ما حظر الله، أو تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة؛ والعذر والعلة: ما أجمع عليه المسلمون، وجاءت به أحكام الشريعة. ومن كان أصفى سرّاً وأعلى رتبةً وأشرف مقاماً، فإنه أشدُّ اجتهاداً وأخلص عملاً وأكثر تقياً^(١).

(١) نذكر هنا الحاشية القيمة التي كتبها المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود والمرحوم طه عبد الباقي سرور في الطبعة الأولى لهذا الكتاب، وجاء فيها:

إن الموضوع الذي ذكره المؤلف هنا من الأهمية بمكان، وقد سبقنا أن نبهنا عليه وكتبنا فيه لأنه يثار الآن، ولاهميته تقتطف مما كتبنا ما يلي:

غرضنا الآن إنما هو بيان موقف الصوفية من مسألة «إسقاط التكاليف الشرعية» وهي مسألة لم تنشأ بين بعض من يزعم التصوف في العصر الحديث، وليس لهم حتى فضيل السبق في الباطل، إن كان السبق في الباطل له فضل. إنها ضلالة قديمة نشأت في أوساط متحللة انتسبت إلى التصوف انتساباً باطلاً وحاربهام ممثلو التصوف في كل عصر وفي كل بيئة. ومما لا شك فيه أن القول الفصل في كل مشكلة من المشكلات إنما يرجع فيه إلى الذين يمثلون الموضوع الذي تنتسب إليه المشكلة. وإذا رجعنا إلى زعماء التصوف الذين لا يختلف في زعامتهم اثنان، نجدهم - سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون - ينكرون الفكرة إنكاراً تاماً ويرونها زيفاً وضلالاً وانسلاخاً عن الدين بالكلية.

وستحدث عن آراء بعض القدماء في الموضوع، ثم نفصل نوعاً ما رأي الشيخ عبد الواحد يحيى، وهو زعيم الصوفية في العصر الحديث دون منازع.

قال أبو يزيد البسطامي لأحد جلسائه: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية - وكان رجلاً مشهوراً بالزهد - فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون =

وأجمعوا أن الأفعال ليست بسبب للسعادة والشقاوة، وأن السعادة والشقاوة سابقتان بمشيئة

== ساموناً على ما يدعيه؟!

ومن كلام أبي يزيد: «لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تفتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة».

ويقول سهل الشكري معبراً عن أصول التصوف: أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاعتدال، والسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتحب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء المحسوق».

ويقول الجنيد سيد هذه الطائفة وإمامهم، على حدّ تعبير القشيري: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة». وقال: «علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ». وقال: «الطرق كلها مسدودة على الحلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأتبع سنته ولزم طريقته». وذكر رجل المعرفة أمام الجنيد وقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل. فقال الجنيد: «إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا».

فإذا ما وصلنا إلى الإمام الغزالي فإننا نجده يقول في شيء من التفصيل فيه دقة وفيه استدلال غاية في القوة: «واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل والمدعي فيه كثير، ونحن نعرفك علامتين له، العلامة الأولى: أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع موقوفة على توقيفاته إيراداً وإصداراً وإقداماً وإحجاماً، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها، ولا يصل فيه إلا من وازب على جملة من التوافل، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض؟! فإن قلت: فهل تنتهي رتبة السالك إلى الحد الذي ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات ولا يضره بعض المحظورات كما نقل عن بعض المشايخ من الساهل في هذه الأمور؟ وأقول لك: اعلم أن هذا حين الغرور، وأن المحققين قالوا: لو رأيت إنساناً يطير في الهواء ويمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان». وهذا هو الحق.

فإذا ما انتهينا أخيراً إلى أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فإننا نجده يقول: «إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة».

والمصوفية يتبعون في كل هذا النصوح القرآنية والسنة القولية والعملية للرسول ﷺ وهم يعلمون لا شك البديهيّات التاريخية من أن الرسول ﷺ كان المثل الأعلى في أداء الشعائر إلى آخر لحظة من حياته الطاهرة.

وخير ما نختم به هذه الكلمة الآن الحديث النبوي الكريم: مثل النبي ﷺ من قوم تركوا العمل بالدين وأحسنوا الظن في الله، فقال: «كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

الله تعالى لهم ذلك وكتابه عليهم، كما جاء في الحديث؛ قال عبد الله بن عمر^(١) : قال رسول الله ﷺ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ»، ثم أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، وكذلك قال في أهل النار^(٢).

وقال عليه السلام: «السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»^(٣).

وأجمعوا أنها^(٤) ليست بمُوجِبَةٍ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مِنْ حَيْثُ الْاِسْتِحْقَاقِ، بَلْ مِنْ جِهَةِ الْفَضْلِ وَمِنْ جِهَةِ إِجْبَابِ اللَّهِ تَعَالَى ذَلِكَ.

وأجمعوا أن نعيم الجنة لمن سبق له من الله السعادة من غير علة، وأن عذاب النار لمن سبق له من الله الشقاوة من غير علة، كما قال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»^(٥). وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

(١) كذا في الأصل، والصواب عبد الله بن عمرو بن العاص كما في مسند الإمام أحمد والجامع الصحيح للترمذي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ج ٢ ص ١٦٧) والترمذي في الجامع الصحيح (كتاب القدر، باب ٨) وتتمة الحديث: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذا نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل» ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: «فرغ ربكم عز وجل من العباد» ثم قال باليمين فنبذ بها فقال: «فريق في الجنة» ونبذ باليسرى فقال: «فريق في السعير».

(٣) من حديث أبي هريرة، وتجد الحديث في إتحاف السادة المتقين للزيدي (٢٠٦/٩)، وفي المعجم الصغير للطبراني (٢ / ٥)، وفي مسند الشهاب (٧٦)، وفي كنز العمال للمتقي الهندي (حديث رقم ٤٩١)، وفي الشريعة للاجري (١٨٥)، وفي الدرر المنتثرة في الأحاديث المنتهرة للسيوطي (٩٦)، وفي كشف الخفاء للعجلوني (١).

(٤) أي الأفعال.

(٥) حديث قدسي، رواه الإمام أحمد في المسند (ج ٥ ص ٢٣٩) عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: «أصحاب اليمين وأصحاب الشمال» فقبض يديه قاضيتين فقال: هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي.

وقالوا: إنها - أعني أفعال العباد - علامات وأمارات^(١) على ما سبق لهم من الله، كما قال النبي ﷺ: «اعْمَلُوا فِكْلٌ مِّسْرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٢).

وقال الجُنَيْد: «الطَّاعَةُ عَاجِلٌ بُشْرَاءُ عَلَى مَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ الْمَعْصِيَةُ».

وقال غيره: «الْعِبَادَاتُ حُلِيَّةُ الظُّوَاهِرِ، وَالْحَقُّ لَا يُبِيحُ تَعْطِيلَ الْجَوَارِحِ مِنْ حُلَاهَا».

وقال محمد بن علي الكتاني^(٣): «الْأَعْمَالُ كِسْوَةُ الْعُبُودِيَّةِ، فَمَنْ أَبْعَدَهُ اللَّهُ عِنْدَ الْقِسْمَةِ نَزَعَهَا، وَمَنْ قَرَّبَهُ أَشْفَقَ عَلَيْهَا وَلَزِمَهَا».

وهم مع ذلك مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُثِيبُ عَلَيْهَا وَعِقَابَ، لِأَنَّهُ وَعَدَ عَلَى صَالِحِهَا وَأَوْعَدَ عَلَى سَيِّئِهَا، فَهُوَ يَنْجِزُ وَعْدَهُ وَيَحَقِّقُ وَعِيدَهُ، لِأَنَّهُ صَادِقٌ وَخَبِيرٌ صِدْقٌ.

وقالوا: على العبد بذل المجهود في أداء ما كُفِّتَ بِهِ وَإِتْيَانُ مَا نُذِبَ إِلَيْهِ بَعْدَ التَّكْلِيفِ وَبَعْدَ إِتْيَانِهَا وَإِيْفَاءُ مَا عَلَيْهِ تَكُونُ الْمَشَاهِدَاتُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَثَهُ اللَّهُ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(٤) وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال يحيى^(٥): «لَنْ يَصِلَ إِلَى قَلْبِكَ رَوْحُ الْمَعْرِفَةِ وَلَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ لَمْ تُؤَدِّهِ».

وقال الجُنَيْد: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَامِلُ عِبَادَهُ فِي الْآخِرِ عَلَى حَسَبِ مَا عَامَلَهُمْ فِي الْأُولَى؛ بَدَأَهُمْ تَكْرُمًا، وَأَمَرَهُمْ تَرْحَمًا، وَوَعَدَهُمْ تَفْضُلًا، وَبَزَيَدَهُمْ تَكْرُمًا، فَصَنَ شَهِدَ بِرَّ الْقَدِيمِ سَهْلَ عَلَيْهِ أَدَاءَ أَمْرِهِ، وَمَنْ لَزِمَ أَمْرَهُ أُدْرِكُهُ وَعْدُهُ، وَمَنْ فَازَ بِوَعْدِهِ لَا يُدْ

(١) الأمارات، والأمرات: الأعلام أو العلامات، جمع أمانة وأمرأة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٣) نظر ترجمته ص ٢٨ حاشية ٤.

(٤) لحديث في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، وفي إتحاف السادة المتقين للزبيدي، وفي تفسير القرطبي، وفي الأسرار الصرفة لعلّي القاري، وفي تذكرة الموضوعات للفتني، وفي الفوائد المجموعة للشوكاني، وفي كشف الخفاء للمحيطي.

(٥) يحيى بن معاذ الرازي. نظر ترجمته ص ٢٩ حاشية ٥.

أَنْ يَزِيدَهُ مِنْ فَضْلِهِ».

وقال سهل بن عبد الله التستري: «مَنْ عَمَّصَ بَصْرَهُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ فَلَا يَهْتَدِي طَوْلَ عُمْرِهِ».

الباب الحادي والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى

أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل؛ لأنه مُحَدَّثٌ، والمُحَدَّثُ لا يدل إلا على مثله.

وقال رجل للنوري^(١): ما الدليل على الله؟ قال: الله. قال: فما العقل؟ قال: العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله.

وقال ابن عطاء^(٢): «العقل آلة للعبودية لا للإشراف على الربوبية».

وقال غيره: «العقل يحول حول الكون، فإذا نظر إلى المكون ذاب».

وقال أبو بكر القحطيبي: «مَنْ لِحَقَّتْهُ الْعُقُولُ فَهُوَ مَقْهُورٌ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْإِتْبَاتِ^(٣)، ولولا أنه تعرّف إليها بالألطف لما أدركته من جهة الإثبات».

وأنشدونا لبعض الكبار:

مَنْ رَامَهُ بِالعَقْلِ مُتَرَشِّدًا سَرَحَهُ فِي حَيْرَةٍ يَلْهُو
وَشَابَ بِالتَّلْبِيسِ أَسْرَارَهُ يَقُولُ مِنْ حَيْرَتِهِ هَلْ هُوَ

وقال بعض الكبار: «لا يعرفه إلا من تعرّف إليه، ولا يوحدّه إلا من توحد له، ولا يؤمن به إلا من لطف به، ولا يصفه إلا من تجلّى لسيرو، ولا يخلص له إلا من جذبته إليه، ولا يصلح له إلا من اصطنعه لنفسه».

(١) انظر ترجمته ص ١٩ حاشية ٤.

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء. انظر ترجمته ص ٢٧ حاشية ٥.

(٣) يعني إثبات الوجود من دون التمكن من إدراك ماهية هذا الوجود أو الإحاطة به، كما قال تعالى في الآية ١١٠ من سورة طه: «ولا يعيطون به علماً».

معنى من تعرّف إليه، أي: من تعرّف الله إليه، ومعنى من توحد له، أي: أراه أنه واحد.

وقال الجنيد: «المعرفة معرفتان، معرفة تعریف، ومعرفة تعريف، معنى التعرف أن يعرفهم الله عز وجل نفسه، ويعرفهم الأشياء به، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، ومعنى التعريف أن يرىهم آثار قدرته في الآفاق والأنفس، ثم يحدث فيهم لطفاً: تدلهم الأشياء أن لها صانعاً؛ وهذه معرفة عامة المؤمنين، والأولى معرفة الخواص، وكل لم يعرفه في الحقيقة إلا به».

وهذا كما قال محمد بن واسع^(١): «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ».

وقال غيره: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ».

وقال ابن عطاء: «تعرّف إلى العامة بخلفيه، لقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الآية [الغاشية: ١٧]، وإلى الخاصة بكلامه وصفاته بقوله: «أفلا يتدبرون القرآن» [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨]، وإلى الأنبياء بنفسه، كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الآية [الشورى: ٥٢] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ الآية [الفرقان: ٤٥].

وقال بعض الكبراء من أهل المعرفة:

لا دليل ولا آيات برهاني	لم يبق بيني وبين الحق بياني
قد أزهرت في تلاليفها سلطان	هذا تجلي طلوع الحق نائرة
لا يعرف القديمي المحدث الفاني	لا يعرف الحق إلا من يعرفه
رأيتكم حدثاً ينسب عن أزمان	لا يتدل على الباري بصنعيه

(١) محمد بن واسع بن جابر، يكنى أبا عبدالله شابة. أمد عن أنس بن مالك، وروى عن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين، وتوفي بعد الحسن بعشرين سنة ١٢٠. (انظر ترجمته في حلية الأولياء. ج ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧، وصفة الصفة: ج ٣ ص ١٧٩ - ١٨٣، وطبقات الشعراني: ج ١ ص ٣٦).

كَانَ الدَّلِيلَ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِهِ مَن شَاهَدَ الْحَقَّ فِي تَنْزِيلِ مُرْتَابَانِ
كَانَ الدَّلِيلَ لَهُ مِنْهُ بِهِ وَلَهُ حَقًّا وَجَدْنَاهُ بِلَ عِلْمًا بِتَبْيَانِ
هَذَا وَجُودِي وَتَشْرِيحِي وَمُعْتَقَدِي هَذَا تَوْحِيدُ تَوْجِيدِي وَإِيمَانِي
هَذَا عِبَارَةٌ أَهْلِ الْإِنْفِرَادِ بِهِ ذَوِي الْمَعَارِفِ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
هَذَا وَجُودٌ وَجُودِ الْوَاجِدِينَ لَهُ بَنِي النَّجَاسِ أَصْحَابِي وَخُلَايَايَ

وقال بعض الكبراء: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَفْنَا نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَدَلَّنَا عَلَى مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، فَقَامَ شَاهِدُ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بَعْدَ تَعْرِيفِ الْمَعْرِفِ بِهَا».

معناه أن المعرفة لم يكن لها سبب، غير أن الله تعالى عَرَفَ العارف فَعَرَفَ بتعريفه .

وقال بعض الكبار من المشايخ: «البادي من المَكُونَاتِ مَعْرُوفٌ بِنَفْسِهِ لِهَجُومِ الْعَقْلِ عَلَيْهِ، وَالْحَقُّ أَعَزُّ مِنْ أَنْ تَهْجَمَ الْعُقُولُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَرَفْنَا نَفْسَهُ أَنَّهُ رَنَا فَسَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وَلَمْ يَقُلْ: مَنْ أَنَا؟ فَتَهْجَمَ الْعُقُولُ عَلَيْهِ حَسْبَ بَدَا مُعْرِفًا، فَلِدَلِّكَ أَنْفَرَدَ عَنِ الْعُقُولِ وَتَنَزَّ عَنِ التَّحْصُلِ غَيْرِ الْإِثْبَاتِ^(١)».

وأجمعوا أنه لا يعرفه إلا ذو عقل؛ لأن العقل آلة للعبد يعرف به ما عرف، وهو بنفسه لا يعرف الله تعالى .

وقال أبو بكر السبكي: «لَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: مَنْ أَنَا؟ فَسَكَتَ، فَكَحَلَّهُ بِنُورِ الْوَحْدَانِيَّةِ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» .
فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله .

(١) قوله: «وتنزه عن التحصل غير الإثبات» يعني لا تحصل معرفته تعالى إلا بتأثر خلقه وبمظاهر قدرته وعظمته، ولا يمكن معرفته بالماهية .

الباب الثاني والعشرون

اختلافهم في المعرفة نفسها

ثم اختلفوا في المعرفة نفسها ما هي والفرق بينها وبين العلم .
فقال الجنيد : «المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه» . قيل له : زدنا! قال : «هو العارف وهو المعروف» .

معناه : أنك جاهل به من حيث أنت، وإنما عرفته من حيث هو .
وهو كما قال سهل : «المعرفة هي المعرفة بالجهل» .
وقال سهل : «العلم يثبت بالمعرفة، والعقل يثبت بالعلم» ؛ وأما المعرفة فإنها تثبت بذاتها» .

معناه : أن الله تعالى إذا عرف عبداً نفسه فعرف الله تعالى بتعرفه إليه أحدث له بعد ذلك علماً، فأدرك العلم بالمعرفة، وقام العقل فيه بالعلم الذي أحدثه فيه .
وقال غيره : «تبين الأشياء على الظاهر علم، وتبينها على استكشاف بواطنها معرفة» .

وقال غيره : «أباح العلم للعامة، وخص أولياءه بالمعرفة» .
وقال أبو بكر الوراق^(١) : «المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها، والعلم علم الأشياء بحقائقها»^(٢) .

وقال أبو سعيد الخزاز^(٣) : «المعرفة بالله هي علم الطالب لله من قبل الوجود

(١) هو أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي . انظر ترجمته ص ٢٩ حاشية ٦ .

(٢) يريد أن يقول إن المعرفة أدواتها الحواس وهي متعلقة بالمحوسات، والعلم أدواته العقل ومجاله المفاهيم الكلية التي لا تدرك بالحواس .

(٣) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز . انظر ترجمته ص ٢٧ حاشية ٣ .

لَهُ^(١)، وَالْعِلْمُ بِاللَّهِ هُوَ بَعْدَ الْوُجُودِ^(٢)، فَالْعِلْمُ بِاللَّهِ أَخْفَى وَأَدْقُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ.

وقال فارس^(٣): «الْمَعْرِفَةُ هِيَ الْمُسْتَوْفِيَةُ فِي كُنْهِ الْمَعْرُوفِ»^(٤).

وقال غيره: «الْمَعْرِفَةُ هِيَ حَقْرٌ^(٥) الْأَقْدَارِ إِلَّا قَدْرَ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَشْهَدَ مَعَ قَدْرِ اللَّهِ قَدْرًا».

وقيل لذي النون: بم عرفت ربك؟ قال: «مَا هَمَمْتُ بِمَعْصِيَةٍ فَذَكَرْتُ جَلَالَ اللَّهِ إِلَّا اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

جعل معرفته بقرب الله منه دلالة المعرفة له.

وقيل لعليان^(٦): كيف حالك مع المولى؟ قال: «مَا جَفَوْتُهُ مُنْذُ عَرَفْتُهُ». قيل له: متى عرفته؟ قال: «مُنْذُ سَمَوْنِي مَجْنُونًا».

جعل دلالة معرفته له تعظيم قدره عنده.

قال سهل: «سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يُدْرِكِ الْعِبَادُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ إِلَّا عَجْزًا عَنْ مَعْرِفَتِهِ».

الباب الثالث والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي الرُّوحِ

قال الجُنَيْدُ: «الرُّوحُ شَيْءٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ،

(١) يعني قيل لإيجاده الموجودات.

(٢) كأنه يريد أن يقول إن معرفة الله تعالى قيل وجود موجوداته هي فقط معرفة بوجوده قيل وجود موجوداته ويعدها، وأما العلم بالله فهو إضافة إلى معرفة وجوده، العلم بصفاته استدلالاً بموجوداته.

(٣) لم أجد له ترجمة، وفي حلية الأولياء (ج ١٠ ص ٢٥١ - ٢٥٢): فارس الجمال يروي عن أبي الحسين أحمد بن محمد النوري، حكى فارس الجمال عن النوري قال: كانت المرافع غطاء على الدر فصار مرابيل على جيف. وفي الحلية أيضاً (ج ٨ ص ٣٤) فارس النجار قال: بلغني أن إبراهيم بن أدهم رأى في المنام كأن جبريل عليه السلام قد نزل إلى الأرض... الخ.

(٤) جعل المعرفة هنا هي العلم بالحقائق الغير حسية، على عكس قول أبي بكر المراقب السابق.

(٥) أي احتقار.

(٦) لم أجد ترجمة له.

ولا يَجُوزُ العِبَارَةُ عَنْهُ بِأَكْثَرِ مِنْ مَوْجُودٍ؛ لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال أبو عبد الله النباجي^(١): الرُّوحُ جِسْمٌ يَلْطَفُ عَنِ الجِسْمِ، وَيَكْبُرُ عَنِ اللَّمَسِ، وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِأَكْثَرِ مِنْ مَوْجُودٍ.

قال ابن عطاء: «خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قَبْلَ الأجْسَادِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني الأرواح، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأجساد».

وقال غيره: «الرُّوحُ لَطِيفٌ قَامَ فِي كَثِيفٍ كَالْبَصْرِ، جَوْهَرٌ لَطِيفٌ قَامَ فِي كَثِيفٍ».

وأجمع الجمهور على أن الروح معنى يَخِينُ به الجسد . .

وقال بعضهم: «هُوَ رُوحٌ نَسِيمٌ طَيِّبٌ يَكُونُ بِهِ الحَيَاةُ، وَالنَّفْسُ رِيحٌ حَارَّةٌ تَكُونُ بِهَا الحَرَكَاتُ وَالسَّكَنَاتُ وَالشَّهَوَاتُ».

وسئل الفحطبي عن الروح فقال: «لَمْ يَدْخُلْ تحت ذُلِّ كُنْ».

ومعناه عنده أنه ليس إلا الإحياء، والحيُّ والإحياءُ صفة المحيِّ، كالتخلُّقِ والتخلُّقِ صفة المخلوقِ.

واستدل من قال ذلك بظاهر قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] قالوا: «أَمْرُهُ كَلَامُهُ، وَكَلَامُهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»، كأنهم قالوا: إنما صار الحيُّ حياً بقوله: كُنْ حياً، وليس الروح معنى في الجسد حالاً مخلوقاً كالجسد. قال الشيخ: وليس هذا بصحيح، وإنما الصحيح أن الروح معنى في الجسد مخلوق كالجسد.

(١) اسمه سعيد بن يزيد، قال ابن الجوزي في صفة الصفوة: لا نعرف للنباجي مسنداً، وإنما كان مشغولاً بالرهة والتعبد، وقد حكى عن الثوري والفضيل وغيرهما. ومن أقواله: إن في خلق الله عز وجل خلقاً يستحيون من الصبر لو يعلمون أقداره تلقفوها تلقفاً. وقال: لا تستكثروا الجنة للمؤمن، فإنه قد وافى بأعظم قدر عنده من الجنة معرفة الله والإيمان به. وقال: الذي جعل الله عز وجل المعرفة عنده ينتعم مع الله عز وجل في كل أحواله. (انظر صفة الصفوة: ج ٤ ص ٢٣٣).

الباب الرابع والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ

سكت الجمهور منهم عن تفضيل الرسل^(١) على الملائكة وتفضيل الملائكة على الرسل، وقالوا: الفضل لمن فضَّله الله، ليس ذلك بالجواهر ولا بالعمل. ولم يَرَوْا أحد الأمرين أَوْجَبَ من الآخر بِخَيْرٍ ولا عقل^(٢).

وفضل بعضهم الرسل وبعضهم الملائكة.

وقال محمد بن الفضل: «جملة الملائكة أفضل من جملة المؤمنين، وفي المؤمنين من هو أفضل من الملائكة»، كأنه فضل الأنبياء عليهم السلام على الملائكة.

وأجمعوا أن بين الرسل تفاضلاً، لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

(١) الفرق بين الرسول والنبي حسب رأي أهل السنة والجماعة أن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقصة للعادات فهو نبي. ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضاً بشرع جديد أو نسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول. (انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي: ص ٢٦٤).

(٢) كلا الفريقين الذين فضلوا الملائكة على الأنبياء والذين فضلوا الأنبياء على الملائكة استندوا في ذلك إلى العقل أو إلى الخبر. فالفلاسفة الذين أجمعوا على تفضيل الأرواح السماوية المسمّاة بالملائكة على الأرواح الناطقة البشرية استندوا في ذلك إلى حجج عقلية ذكرها الفخر الرازي في تفسيره (ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١١). واستدل جماعة منهم الجبائي من المعتزلة على أن الملك أفضل من الأنبياء بقوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (تفسير الفخر الرازي. ج ١٢ ص ١١٩، وج ١٧ ص ١٧٣) كما أن الذين فضلوا الأنبياء على الملائكة احتجوا بقوله تعالى ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (تفسير الفخر الرازي. ج ١٣ ص ٥٤ - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ١٩٩٢). وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره (ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٥). احتجاج القائلين بأن آدم أفضل من الملائكة، وقول أكثر أهل السنة إن الأنبياء أفضل من الملائكة، وقول المعتزلة والشيعة إن الملائكة أفضل من الأنبياء، ثم ذكر محصل الكلام من الجانبين فليراجع. ويشير أيضاً إلى أنه أورد احتجاج طائفة تقول إن جملة البشر أفضل من جملة الملائكة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ آمَنَّا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلَىٰكُمْ هُمْ حَرُّ الْمَرِيَّةِ﴾ (انظر ج ٣٢ ص ٤٩).

بَعْضُ ﴿ [البقرة: ٢٥٣] . ولم يعينوا الفاضل والمفضول لقوله عليه السلام: « لا تُخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ »^(١) .

وأوجبوا فضل محمد ﷺ بالخبر، وهو قوله عليه السلام «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم ومن دونه تحت لوائي»^(٢)، وسائر الأخبار التي جاءت، وقول الله جل وعز ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٣) [آل عمران: ١١٠] فلما كانت أمته خير الأمم وجب أن يكون نبيه خير الأنبياء، وسائر ما في القرآن من الدلائل على فضله .

وأجمعوا جميعاً أن الأنبياء أفضل البشر، وليس في البشر من يوازي الأنبياء في الفضل، لا صديق ولا ولي ولا غيرهم، وإن جل قدره وعظم خطره .

قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «هَذَا نِ سَيِّدَا كَهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ»^(٤) يعني أبا بكر وعمر؛ فأخبر النبي ﷺ أنهما خير الناس بعد النبيين .

قال أبو يزيد البسطامي: «أَخْرُجُ نِهَائِيَاتِ الصَّدِيقِينَ أَوَّلُ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَيْسَ لِنِهَائِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ غَايَةٌ تُدْرِكُ» .

وقال سهل بن عبد الله: «انْتَهَتْ هِمَمُ الْعَارِفِينَ إِلَى الْحُجُبِ، فَوَقَفَتْ مُطَرِّقَةً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الخصومات باب ١، وكتاب الدييات باب ٢٢)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل حديث ١٦٣)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة باب ١٣)، والإمام أحمد في المسند (ج ٣ ص ٣١ و ٣٣) .

(٢) معنى حديث طويل أخرجه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما . ولفظ الحديث كما في مسند الإمام أحمد (ج ١ ص ٢٨١): عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد نجزها في الدنيا راني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تشق عنه الأرض ولا فخر، ويدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر . . . الخ .

(٣) واحتجوا أيضاً على أن رسولنا ﷺ أفضل من جميع الأنبياء بقوله تعالى: ﴿فَبِهَادِهِمُ اقْتَدِهْ﴾ (انظر تفسير الصخر الرازي: ج ١٤٣ ص ٥٨) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد (ج ١ ص ٨١)، وابن ماجه في سننه (المقدمة باب ١١)، والترمذي في الجامع الصحيح (كتاب المناقب باب ١٦) من حديث أنس، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه . وأخرجه من حديث علي بن أبي طالب، وقال حديث غريب من هذا الوجه .

فَأَذِنَ لَهَا؛ فَسَلَّمَتْ فَخُلِعَ عَلَيْهَا خِلْعَ التَّأْيِيدِ، وَكُتِبَ لَهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الزَّيْغِ، وَهَمَّ الْأَنْبِيَاءُ جَالَتْ حَوْلَ الْعَرْشِ، فَكُتِبَتْ الْأَنْوَارُ، وَرُفِعَتْ مِنْهَا الْأَقْدَارُ، وَاتَّصَلَتْ بِالْجَبَّارِ؛ فَأَفْنَى حُطُوظَهَا، وَأَسْقَطَ مُرَادَهَا، وَجَعَلَهَا مُتَصَرِّفَةً بِهِ لَهُ.

وقال أبو يزيد: «لَوَبَدَا لِلخَلْقِ مِنَ النَّبِيِّ ذَرَّةٌ لَمْ يَقُمْ لَهَا مَا دُونَ الْعَرْشِ».

وقال: «مَا مِثْلُ مَعْرِفَةِ الخَلْقِ وَعِلْمِهِمْ بِالنَّبِيِّ إِلَّا مِثْلُ نَدَاوَةِ تَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الزُّرْقِ^(١) الْمَرْبُوطِ».

قال بعضهم: «لَمْ يَنْزِلْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَمَالَ فِي التَّسْلِيمِ وَالتَّقْوِيضِ غَيْرُ الْحَبِيبِ وَالْخَلِيلِ^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، فَلِذَلِكَ أَيْسَ الْكِبْرَاءِ عَنِ الْكَمَالِ وَإِنْ كَانُوا فِي حَالِ الْقُرْبَةِ مَعَ تَحْقِيقِ الْمَشَاهِدَةِ».

قال أبو العباس بن عطاء^(٣): «أَدْنَى مَنَازِلِ الْمُرْسَلِينَ أَعْلَى مَرَاتِبِ النَّبِيِّينَ، وَأَدْنَى مَنَازِلِ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الصُّدِّيقِينَ، وَأَدْنَى مَنَازِلِ الصُّدِّيقِينَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الشُّهَدَاءِ، وَأَدْنَى مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الصَّالِحِينَ، وَأَدْنَى مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ».

الباب الخامس والعشرون

قَوْلُهُمْ فِيمَا أُضِيفَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الزَّلْزَلِ^(٤)

قال الجنيد والنوري وغيرهما من الكبار: «إِنَّ مَا جَرَى عَلَى الْأَنْبِيَاءِ إِنْما جَرَى

(١) في لسان العرب (مادة زرق): الزُّرْقُ: السُّقَاءُ... والزُّرْقُ مِنَ الْأُضْبِ: كُلُّ وَعَاءٍ اتَّخَذَ لِشْرَابٍ وَبَحْوِهِ.

وقيل: لا يسمى زرقاً حتى يُسَلَخَ مِنْ قَبْلِ عُنُقِهِ... وقال أبو حنيفة: الزُّرْقُ هُوَ الَّذِي يُثَقَلُ فِيهِ الْخَمْرُ.

(٢) الحبيب هو المصطفى محمد والخليل هو إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما.

(٣) انظر ترجمته ص ٢٧ حاشية ٥.

(٤) بين فخر الدين الرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٧ - ١٠) اختلاف الناس في عصمة الأنبياء، قال: وضبط

القول فيه أن يقال إن اختلافهم يرجع إلى أقسام أربعة: القسم الأول: ما يقع في باب الاعتقاد، القسم

الثاني: ما يتعلق بالتبليغ، القسم الثالث: ما يتعلق بالفناء، القسم الرابع: الذي يقع من أفعالهم. قال.

واختلاف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال: أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من

على ظواهرهم، وأسرارهم مستوفاة بمشاهدات الحق. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥].

وقالوا: ولا تصح الأعمال حتى يتقدمها العقود والنيات، وما لا عقد فيه ولا نية فليس بفعل؛ وقد نفى الله تعالى الفعل عن آدم بقوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

قالوا: ومعاتبات الحق لهم إنما جاءت إعلاماً لآسيار ليعلموا عند إتيانهم المعاصي مواضع الاستغفار.

وأثبتها بعضهم، وقالوا: إنها كانت على جهة التأويل والخطأ فيه، فعوتبوا عليها لعلو مرتبتهم وارتفاع منازلهم، فكان ذلك زجراً لغيرهم، وحفظاً لمواضع الفضل عليهم، وتاديباً لهم.

وقال بعضهم: إنما كانت على جهة السهو والغفلة، وجعلوا سهوهم في الأدنى بالأرفع.

وهكذا قالوا في سهو النبي ﷺ في صلته: إن الذي شغله عن صلته كان أعظم من الصلاة، لقوله: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)، فأخبر أن في الصلاة ما تقرُّ به عينه، ولم يقل جعلت قرّة عيني الصلاة.

وكل من أثبتها زللاً وخطايا فإنهم جعلوها صفائر مقرونة بالتوبة، كما قال الله تعالى مخبراً عن صفيه آدم وزوجته عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيَّ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]، وفي داود عليه السلام: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَانَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وقت مولدهم. ثانيها: قول من ذهب إلى أن وقت عصمتهم وقت بلوغهم. ثالثها: قول من ذهب إلى أن ارتكابهم المعاصي لا يجوز وقت النبوة أما قبل النبوة فجائز. ثم بين أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة.

(١) تمام الحديث: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». أخرجه من حديث أنس بن مالك الإمام أحمد في المسند (ج ٣ ص ١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥).

الباب السادس والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ

أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات^(١)، كالمشي على الماء، وكلام البهائم، وطى الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته، وقد جاءت الأخبار بها، وصحت الروايات، ونطق بها التنزيل، من قصة الذي عنده علم من الكتاب في قوله تعالى: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وقصة مريم حين قال لها زكريا: ﴿أَنْتِ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقصة الرجلين اللذين كانا عند النبي ﷺ ثم خرجا فأضاء لهما سوطاهما^(٢)، وغير ذلك.

وجواز ذلك في عصر النبي ﷺ وغير عصره واحدٌ، وذلك أنه إذا كانت في عصر النبي للنبي ﷺ على معنى التصديق له، كان في غير عصره على معنى التصديق. وقد

(١) المعجزة والكرامة كلاهما يدخلان في باب خرق العادة؛ ولكن الفرق بينهما أن المعجزة تقترون بالتحدي لإثبات نبوة النبي، بينما الكرامة يجريها الله تعالى على الأولياء من عباده تكريماً ومكافأة لهم.

والقول بالكرامات من اعتقاد أهل السنة والجماعة، قال تعالى في قصة سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وأصف لا يكن نبياً قال البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ١٧٤): وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين، فأما على الصادقين فإنه يجوز، ويكون ذلك دليلاً على صدق من صدقه من أنبياء الله عز وجل. قال: وقد حكى نبينا ﷺ من الكرامات التي ظهرت على جريج الراهب، والصبي الذي ترك السحر وتبع الراهب، والنصر الذين أروا إلى غار من بني إسرائيل فأنحطت عليهم الصخرة، وغيرهم، ما يدل على جواز ذلك. وقد ظهر على أصحابه في زمانه وبعد وفاته ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه.

(٢) روى البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ١٧٦) عن قتادة قال: كان مطرف بن عبد الله من الشخير وصاحب له سرياً في ليلة مظلمة، فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء، فقال لصاحبه: أما إنا لو حدثنا الناس بهذا كذبونا. قال مطرف: المكذب أكذب.

وروي أيضاً عن أنس بن مالك أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلاً آخر من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان ويد كل واحد منهما عصية، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشى في ضوئها، حتى إذا افرقت بهم الطريق أضاءت للأخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله.

كان بعد النبي ﷺ لعمر بن الخطاب حين نادى سارية، قال لسارية: يا سارية بن حصن، الجبل الجبل! وعمر بالمدينة على المنبر، وسارية في وجه العدو على مسيرة شهر^(١).

والأخبار في هذا كثيرة وافرة.

وإنما أنكر جواز ذلك من أنكر، لأن فيه زعم إبطال النبوات، لأن النبي لا يظهر على غيره إلا بمعجزة يأتي بها تدل على صدقه ويعجز عنها غيره، فإذا ظهرت على يدي غيره لم يكن بينه وبين من ليس بنبي فرق ولا دليل على صدقه.

قالوا: وفيه تعجيز الله عن إظهار نبي عمّن ليس بنبي.

وقال أبو بكر الوراق^(٢): النبي لم يكن نبياً للمعجزة، وإنما كان نبياً بإرسال الله تعالى إياه ووحيه إليه؛ فمن أرسله الله وأوحى إليه فهو نبي، كانت معه معجزة أو لم تكن، ووجب على من دعاه الرسول الإجابة له وإن لم يره معجزة، وإنما كانت المعجزات لإثبات الحجّة على من أنكر، ووجوب كلمة العذاب على من عاند وكفر. وإنما وجبت الإجابة للنبي بدعوته؛ لأنه يدعو إلى ما أوجب الله عليه من توحيده ونفي الشركاء عنه وإتيان ما ليس في العقل استحالته، بل وجوبه أو جوازه.

والأصل في ذلك أنهما عينان: نبي ومتنبئ؛ فالنبي صادق، والمتنبئ كاذب، وهما يشبهان في الصورة والتركيب.

وأجمعوا أن الصادق يؤيده الله بالمعجزة، والكاذب لا يجوز له ما يكون للصادق؛ لأن في هذا تعجيز الله عن إظهار الصادق من الكاذب.

فأما إذا كان ولي صادق وليس بنبي، فإنه لا يدعي النبوة، ولا ما هو كذب

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد (ص ١٧٨) عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب، قال: ففعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل يا سارية الجبل! قال: فقدم رسول الجيش، فآله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا وإن الصائح ليصيح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل! فشددنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

(٢) أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي. انظر ترجمته ص ٢٩ حاشية ٦.

وباطل، وإنما يدعو إلى ما هو حقّ وصدق، فإن أظهر الله عليه كرامة، لم يقدح ذلك في نبوة النبي ولا أوجب شبهة فيها؛ لأن الصادق يقول ما يقوله النبي ويدعو إلى ما يدعو إليه النبي، فظهور الكرامة له تأييد للنبي وإظهار لدعوته وإلزام لحجته وتصديقه فيما يدعو ويدّعيه من النبوة وإثبات توحيد الله عزّ وجل.

وجوّز بعضهم أن يُري الله أعداءه في خاصة أنفسهم وفيما لا يوجب شبهة ما يخرج من العادات، ويكون ذلك استدراجاً لهم وسبباً لهلاكهم؛ وذلك أنها تولد في أنفسهم تعظماً وكبرياء، ويرون أنها كرامات لهم استأهلوها بأعمالهم واستوجبوها بأفعالهم، فيتكلمون على أعمالهم ويرون لهم الفضل على الخلق فيزرون^(١) بعباده، ويأمنوا مكره، ويستطيّلون على عباده.

وأما الأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيء ازدادوا لله تدللاً وخضوعاً وخشيةً واستكانةً وإزراءً بنفوسهم وإيجاباً لحقّ الله عليهم؛ فيكون ذلك زيادةً لهم في أمورهم وقوة على مجاهداتهم وشكراً لله تعالى على ما أعطاهم.

فالذي للأنبياء معجزات، وللأولياء كرامات، وللأعداء مخادعات.

وقال بعضهم: إن كرامات الأولياء تجري عليهم من حيث لا يعلمون، والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون وبإثباتها ناطقون؛ لأن الأولياء قد يُخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة، والأنبياء لا يُخشى عليهم الفتنة بها لأنهم معصومون.

قالوا: وكرامة الولي بإجابة دعوة، وتمام حال، وقوة على فعل، وكفاية مؤنة، يقوم لهم الحق بها، وهي مما يخرج عن العادات، ومعجزات الأنبياء إخراج الشيء من العدم إلى الوجود وتقليب الأعيان.

وجوّز بعض المتكلمين وقوم من الصوفية إظهارها على الكذابين من حيث لا يعلمون وقت ما يدعونها فيما لا يوجب شبهة، كما روي في قصة فرعون من جرى النيل معه، وكما أخبر النبي ﷺ في قصة الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحييه فيما يخيل

(١) أرزى به إزراء: فصر به وحفره وهوته، وقال أبو عمرو. الزاري على الإنسان الذي لا يعدّه شيئاً وينكر عليه فعله. والإزراء: التهاون بالشيء. (انظر لسان العرب: مادة زري).

إليه^(١).

قالوا: إنما جاز ذلك لأنهما ادّعيّا ما لا يُوجِبُ شبهةً، لأن أعيانهما تشهد على كذبهما فيما ادّعياه من الربوبية^(٢).

واختلفوا في الوليِّ، هل يجوز أن يعرف أنه وليُّ أم لا، فقال بعضهم: لا يجوز ذلك؛ لأن معرفة ذلك تُزيلُ عنه خَوْفَ العاقبة، وزوالُ خوف العاقبة يوجب الأمن، وفي وجوب الأمن زوالُ العبودية، لأن العبد بين الخوف والرجاء، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]

وقال الأجلةُ منهم والكبارُ: يجوز أن يعرف الوليُّ ولايتهُ لأنها كرامة من الله تعالى للعبد، والكراماتُ والنعمُ يجوز أن يُعلم ذلك فيقتضي زيادة الشكر.

والولاية ولايتان: ولاية تخرج من العداوة وهي لعامة المؤمنين، فهذه لا توجب معرفتها والتحقق بها للأعيان لكن من جهة العموم، فيقال: المؤمن وليُّ الله ولاية اختصاصٍ واصطفاءٍ واصطناعٍ، فهذه توجب معرفتها والتحقق بها، ويكون صاحبها

(١) عن أبي سعيد الخدري قال. حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: يأتي الدجال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض الباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرايتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته هل تشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه. فيقول: والله ما كنت فيك أشدّ بصيرة مني اليوم. فيريد الدجال أن يقتله فلا يسأط عليه. (رواه الإمام أحمد في المسند: ج ٣ ص ٣٦، ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن حديث رقم ١١٢، والبخاري في صحيحه: كتاب الفتن باب ٢٧، واللفظ له).

(٢) من الذين جوّزوا ظهور الخوارق على أيدي الكذابين، الإمام ابن تيمية؛ وذلك أنه قسم الخوارق إلى معجزات وهي ما يكون على أيدي النبيين من آيات باهرة مقرونة بالتحدي، وهذه الخوارق لا تكون إلا للخير ونفع الناس، لأنها لإثبات رسالة الرسول وتكلمه عن الله تعالى. وأما ما يجري على أيدي غير الرسل فيقسمه ابن تيمية إلى أقسام ثلاثة، فيقول: «الخارق - كشفاً كان أو تأثيراً - إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب وإما مستحب. وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً. وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهى عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه كان سبباً للعذاب أو البغض، كقصة الذي أوتي الآيات فانسلخ منها: بلعام بن باعوراء» (انظر المعجزة وكرامات الأولياء لابن تيمية؛ ص ٣٩ وما بعدها - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).

محفوظاً عن النظر إلى نفسه فلا يدخله عجب، ويكون مسلوباً من الخلق، بمعنى النظر إليهم بحفظ فلا يفتنونه. ويكون محفوظاً عن آفات البشرية وإن كان طبع البشرية قائماً معه باقياً فيه، فلا يستحلي خطأً من حظوظ النفس استحلاءً بفتنه في دينه، واستحلاءً الطبع قائم فيه؛ وهذه هي خصوص الولاية من الله للعبد.

ومن كان بهذه الصفة لم يكن للعدو إليه طريق بمعنى الإغواء، لقوله جل وعز: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وهو مع هذا ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة، فإن وقع في أحديهما قارنته التوبة الخالصة.

والنبي المعصوم لا يجري عليه كبيرة بإجماع، ولا صغيرة عند بعضهم^(١).

وزوال خوف العاقبة ليس بممتنع بل هو جائز، فقد أخبر النبي ﷺ أصحابه

(١) اختلفت الأقوال والمذاهب في مسألة عصمة الأنبياء. وقد فصل الإمام فخر الدين الرازي مختلف الآراء في ذلك، فقال: اعلم أن الاختلاف في هذه المسألة واقع في أربعة مواضع: الأول: ما يتعلق بالاعتقادية؛ واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضيلية من الخوارج، فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم؛ فهذا الطريق جازوا صدور الكفر عنهم. والروافض، فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية. الثاني: ما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام من الله تعالى؛ وأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع. الثالث: ما يتعلق بالفتوى، وأجمعوا على أنه لا يجوز تعدد الخطأ، فأما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه. الرابع: ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب: الأول: الحشوية، وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصفائر. الثاني: أنه لا يجوز منهم تعدد الكبيرة البتة، وأما تعدد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً، وأما إن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة. الثالث: أنه لا يجوز عليهم تعدد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل؛ وهو قول أبي علي الجعفي. الرابع: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ؛ أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان، لما أن علومهم أكمل فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ؛ وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النخاس. الخاس: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان؛ وهذا مذهب الشيعة.

بأنهم من أهل الجنة^(١)، وشهد للعشرة بالجنة، والراوي له سعيد بن زيد^(٢) وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة. وشهادة النبي ﷺ توجب سُكوناً إليها وطمأنينة بها وتصديقاً لها، وهذا يوجب الأمن من التغيير وزوال خوف التبديل لا محالة.

والروايات التي جاءت في خوف المُبشرين، من قول أبي بكر رضي الله عنه: «يا لَيْتِي كُنْتُ تَمْرَةً يَنْقُرُهَا الطَّيْرُ»، وقول عمر رضي الله عنه: «يا لَيْتِي كُنْتُ هَذِهِ النَّبْتَةَ، لَيْتِي لَمْ أَكُ شَيْئاً»، وقول أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «وَدِدْتُ أَنِّي كَبَشٌ، فَيَذْبَحُنِي أَهْلِي وَيَأْكُلُونَ لَحْمِي وَيَحْسُونَ مَرْقِي»، وقول عائشة رضي الله عنها: «يا لَيْتِي كُنْتُ وَرَقَةً مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»، وهي من شهد لها عمار بن ياسر على منبر الكوفة فقال: «أَشْهَدُ أَنَّهَا زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

إنما كان ذلك منهم خوفاً من جَرَيَانِ المخالفات عليهم، إجلالاً لله تعالى وتعظيماً لقدره وهيبته له وحياءاً منه، بأنهم أَجَلُّوا الحق أن يخالفوه وإن لم يعاقبهم.

كما قال عمر رضي الله عنه: «نِعَمَ الْمَرْءُ صُهَيْبٌ، لَوْلَمْ يَخْفِ اللَّهُ لَمْ يَعْصِهِ». يعني أن صهيباً ليس يترك المعصية لله خوف عقوبته، ولكنه يتركها إجلالاً له وتعظيماً لقدره وحياءاً منه.

فخوف المبشرين لم يكن خوفاً من التغيير والتبديل، لأن خوف التغيير والتبديل مع شهادة النبي ﷺ يوجب شكاً في أخبار النبي ﷺ، وهذا كفر، ولم يكن ذلك خوف عقوبة في النار دون الخلود فيها، لعلمهم أنهم لا يعاقبون بالنار على ما يكون منهم؛ لأنها إما أن تكون صغائر فتكون مغفورةً باجتناب الكبائر، أو بما يصيبهم من البلوى في الدنيا.

قال عبد الله بن عمر فيما روي عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فأنزلت هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فقال رسول الله

(١) من ذلك ما روى جابر قال: أخبرني أم مشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها». رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ١٨٢).

(٢) عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «عشرة في الجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص» قال: بعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: نتذكرك الله يا أبا الأعور أنت العاشر؟ قال: نشدتموني بالله تالله أبو الأعور في الجنة. رواه البيهقي في الاعتقاد (ص ١٨٨).

ﷺ: «أَلَا أُقْرِنُكَ آيَةً أَنْزَلْتُ عَلَيَّ؟» قلت: بلى يا رسول الله . قال: فأقرأنيها فلا أعلم ما أصابني ، إلا أنني وجدت انقصاماً^(١) في ظهري فتمطيت لها، فقال رسول الله ﷺ: «مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» فقلت: يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي! وأينا لم يعمل سوءاً، وإنما المجزون بما عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَلَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ . وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيُجْمَعُ لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

أو تكون كبائر فتقارنها التوبة لا محالة ، فتصح بشارة النبي ﷺ لهم بالجنة .

على أن هذا الحديث قد بين أنه يأتي يوم القيامة ولا ذنب له؛ قال النبي ﷺ لعمر «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ»^(٣).

ولو كان كما قال بعض الناس: إنهم بُشِّروا بالجنة ولم يشُّروا بأنهم لا يعاقبون، فكان خوفهم من النار وإن علموا أنهم لا يخلدون فيها؛ لكان المبشرون وغيرهم من المؤمنين في ذلك سواء، لأنهم لا محالة مُخْرَجُونَ منها.

ولو جاز دخول أبي بكر وعمر النار مع قول النبي ﷺ: «هُمَا سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(٤) جاز دخول الحسن والحسين مع قوله: «هُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٥).

(١) أي انكاراً.

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن باب ٥، وقال: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، موسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل، ومولى ابن سباع مجهول. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناده صحيح أيضاً؛ وفي الباب عن عائشة.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والدارمي، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده. وهو جزء من حديث عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال الترمذي بعد أن رواه: وهذا حديث حسن صحيح، وفيه عن عمرو وجابر بن عبد الله.

(٤) تنمى الحديث في بعض الروايات: «إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ». رواه الإمام أحمد في المسند (١/٨٠) وابن ماجه في سننه (المقدمة باب ١١). والترمذي في الجامع الصحيح (كتاب المناقب باب ١٦) عن أنس.

(٥) من حديث أبي سعيد الخدري، رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٦٢ و ٦٤ و ٨٢) والترمذي في الجامع الصحيح (كتاب المناقب باب ٣٠).

فإن كانت سادة أهل الجنة يجوز أن يدخلهم الله النار ويعذبهم بها، لم يجز أن يدخل أحد الجنة إلا أن يعذب بالنار.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النُّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمَا وَأَنْعَمًا»^(١).

فإن كانا هذان يدخلان النار ويخزيان فيها لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، فكيف بغيرهما؟

وقال ابن عمر: إن رسول الله ﷺ دخل المسجد وأبو بكر وعمر، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما، وقال: «هَكَذَا نُبِعْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

فإن جاز دخولهما النار جاز دخول الثالث.

وقال النبي ﷺ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٣) فقال عكاشة بن محصن الأسدي: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم! فقال النبي ﷺ: «أَنْتَ مِنْهُمْ».

وأبو بكر وعمر أفضل من عكاشة لا محالة، لقول النبي ﷺ: «هُمَا سَيِّدَا كَهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(٤).

فكيف يجوز أن يدخل عكاشة الجنة بغير حساب وهو دونهما في الفضل وهما في النار! فهذا غلط كبير.

(١) رواه من حديث أبي سعيد الخدري الإمام أحمد في المسند (ج ٣ ص ٢٦ و ٢٧) وابن ماجه في سننه (المقدمة باب ١١) والترمذي في الجامع الصحيح (كتاب المناقب باب ١٤) وقال: هذا حديث حسن روي من غير وجه عن عطية عن أبي سعيد.

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب باب ١٦. وفي إسناده سعيد بن مسلمة، قال الترمذي: وسعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوي.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان حديث رقم ٣٦٧) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري في كتاب اللباس باب ١٨، ومسلم في الإيمان حديث رقم ٣٦٩ بلفظ: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم بإضاءة القمر».

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة، حاشية ٤.

فقد صحَّ بهذه الأخبار أنه لا يجوز أن يكونا مُعَدِّبَيْنِ بالنار مع شهادة الرسول ﷺ لها بالجنة، فقد تبين أمنهما؛ فمهما قيل فيهما وفي غيرهما من المبشرين كان ذلك قولاً فيمن سواهما من الأولياء من جواز الأمن.

وأما طريق معرفة سائر الأولياء دون المبشرين، إذ كان المبشرون إنما علموا ذلك بإخبار النبي ﷺ، وغيرهم لم يكن فيهم رسول الله ﷺ فيخبرهم، فإنهم إنما يعرفون بما يُحَدِّثُ اللهُ فيهم من اللطائف التي يخص بها أوليائه، وبما يورد على أسرارهم من الأحوال التي هي أعلام ولايته؛ من اختصاصه لهم به، وجذبه لهم مما سواه إليه، وزوال العوارض عن أسرارهم، وفناء الحوادث لهم، والصوارف عنه إلى غيره، ووقوع المشاهدات والمكاشفات التي لا يجوز أن يفعلها الله تعالى إلا بأهل خاصته ومن اصطفاه لنفسه في أزلِهِ مما لا يفعل مثلها في أسرار أعدائه.

فقد ورد الخبر عن النبي ﷺ في أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «إِنَّهُ لَمْ يُفْضَلْ بِكَثْرَةِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَلَكِنْ فَضَلَكُمْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ - أَوْ فِي قَلْبِهِ». فهذا معنى الحديث^(١).

ويؤمنهم أن يجدوا في أسرارهم كرامات ومواهب، وأنها على الحقيقة وليست بمخادعات، كالذي كان للذي آتاه آياته فانسلخ منها^(٢)، ومعرفتهم أن أعلام الحقيقة لا يجوز أن تكون كأعلام الخداع والمكر؛ لأن أعلام المخادعات تكون ظاهرة: من ظهور ما خرج من العادة مع ركون المخدوع بها إليها واغترارهم بها، فيظنون أنها علامات المولوية والقرب، وهو في الحقيقة خداع وطرده. ولو جاز أن يكون ما يفعله بأوليائه من الاختصاص كما يفعله بأعدائه من الاستدراج، لجاز أن يفعل بأتبيائه ما يفعل بأعدائه، فيبعد أتبيائه ويلعنهم كما فعل بالذي آتاه آياته، وهذه لا يجوز أن يقال

(١) هذا الحديث لم أجده أصلاً في الصحاح، ولكن الصوفية كثيراً ما يذكرونه في كتبهم، فليُنظر.
(٢) قال تعالى في الآية ١٧٥ من سورة الأعراف: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَمَعَهَا الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» ويذكر علماء التصير أنه ليعلم من ناعوراء أحد علماء بني إسرائيل، أوتي علم بعض كتب الله فكفر بها وأعرض عنها. أو هو أمية بن أبي الصلت الذي قرأ كتب الله وعلم أنه سبحانه باعث رسولاً، فرجا أن يكون هو، فلما بعث محمد ﷺ كفر به حداً له.

في الله عز وجل. ولو جاز أن يكون للأعداء أعلام الولاية وأمارات الاختصاص، ويكون دلائل الولاية لا تدل عليه، لم يقيم للحق دليل بته. وليست أعلام الولاية من جهة حلية الظواهر، وظهور ما خرج من العادة لهم فقط، لكن أعلامها إنما تكون في السرائر بما يحدث الله تعالى فيها مما يعلمه الله تعالى وما يجده في سره.

الباب السابع والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي الْإِيمَانِ

الإيمان عند الجمهور منهم: قول، وعمل، ونية^(١)، ومعنى النية التصديق.

وروي عن رسول الله ﷺ من طريق جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان»^(٢).

قالوا: أصل الإيمان إقرار اللسان بتصديق القلب، وفروعه العمل بالفرائض^(٣).

(١) يجمعها قوله تعالى في سورة الأنفال، الآيات ٢ - ٤: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا». وقد نفل الإمام ابن تيمية أقوال السلف في الإيمان، فقال: فتارة يقولون هو قول وعمل، وتارة يقولون هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح؛ وكل هذا صحيح، فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق. (انظر كتاب الإيمان لابن تيمية: ص ١٥١ - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٩١ م).

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير وابن ماجه في سننه (المقدمة: باب ٩) بلفظ: «الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان». ورواه البيهقي في شعب الإيمان (حديث رقم ١٦) بلفظ: «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان» ورواه في كتاب الاعتقاد (ص ٩٩) بلفظ: «الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان معرفة بالقلب».

(٣) قال عبد القاهر الجندابي في الفرق بين الفرق (ص ٢٧٣) في معرض بيانه للأصول التي اجتمع عليها أهل السنة: إن أصل الإيمان المعرفة والتصديق بالقلب، وإنما اختلفوا في تسمية الإقرار وطاعات الأعضاء الظاهرة إيماناً مع اتفاقهم على وجوب جميع الطاعات المفروضة وعلى استحباب النوافل المشروعة، بخلاف قول الكرامية الذين زعموا أن الإيمان هو الإقرار الفرد سواء كان معه إخلاص أو نفاق، وبخلاف قول من زعم من القدرية والخوارج أن اسم المؤمن يزول عن مرتكبي الذنوب.

وقالوا: الإيمان في الظاهر والباطن؛ والباطن شيء واحد وهو القلب^(١). والظاهر أشياء مختلفة.

وأجمعوا أن وجوب الإيمان ظاهراً كوجوبه باطناً وهو الإقرار، غير أنه قسطن جزء من أجزاء الظاهر دون جميعه. ولما كان قسطن الباطن من الإيمان قسطن جميعه، وجب أن يكون قسطن الظاهر من الإيمان قسطن جميعه، وقسطن جميعه هو العمل بالفرائض^(٢)، لأنه يعم جميع الظاهر كما عم التصديق جميع الباطن.

وقالوا: الإيمان يزيد وينقص^(٣).

وقال الجنيّد وسهل وغيرهما من المتقدمين منهم: إن التصديق يزيد ولا ينقص، ونقصانه يخرج من الإيمان، لأنه تصديق بأخبار الله تعالى وبوعايدِهِ، وأدنى شك فيه كفر، وزيادته من جهة القوة واليقين وإقرار اللسان لا يزيد ولا ينقص، وعمل الأركان يزيد وينقص^(٤).

(١) لأن الإيمان في اللغة هو التصديق، وموضع التصديق القلب.

(٢) أداء الفرائض هنا هو العمل بالأركان، أما التوافق وهي طاعات فزائدة عن حد الإيمان.

(٣) أفرد الشيخ ابن تيمية فصلاً خاصاً لهذا الموضوع في كتابه «الإيمان» فأورد بعض الآثار التي تشير إلى ذلك، منها عن أبي الدرداء قال: «إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما قص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص، وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أسي تأتيه». وعن أبي هريرة: «الإيمان يزيد وينقص». وعن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لأصحابه: «هل من أزيد إيماناً». وفي حديث علي: «إن الإيمان يبدو كلمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة». وكان ابن مسعود يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً و يقيناً و فقهاً». وغيرها من الآثار. ثم ذكر ابن تيمية بعض الآيات القرآنية التي نطقت بزيادة الإيمان، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتِ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّوْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ رَادَّتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْتَفَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ إلى غيرها من الآيات التي حفل بها القرآن الكريم. ثم ذكر الشيخ وجوه زيادة الإيمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين. (انظر كتاب الإيمان لابن تيمية: ص ١٩٥ - ٢٠٤).

(٤) مسألة أن الإيمان يزيد وينقص، أو لا يزيد ولا ينقص، أو يزيد ولا ينقص؛ هذه المسألة متعلقة بتعريف الإيمان هل هو تصديق وإقرار في القلب فقط، أو هو تصديق وإقرار بالقلب وقول باللسان، أو هو تصديق وإقرار بالقلب وقول باللسان وعمل بالفرائض والأركان، أو هو إضافة إلى كل ذلك عمل بالتوافق أيضاً.

وقال قائل منهم: المؤمن اسم الله تعالى، قال الله جل جلاله: ﴿الْإِسْلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ﴾ [الحشر: ٢٣] وهو يُؤْمِنُ المؤمنُ بإيمانه من عذابه^(١). والمؤمن إذا أقرَّ وصدق وأتى بالأعمال المفترضات وانتهى عن المنهيات أمن عذاب الله، ومن لم يأت بشيء من ذلك فهو مخلد في النار، والذي أقرَّ وصدق وقصر في الأعمال، فجائز أن يكون معذباً غير مخلد، فهو آمن من الخلود غير آمن من العذاب، فكان أمنه ناقصاً غير كامل، وأمن من أتى بها كلها أمناً تاماً غير ناقص، فوجب أن يكون نقصان أمنه لنقصان إيمانه، إذ كان تمام أمنه لتمام إيمانه.

وقد وصف النبي ﷺ إيمان من قصر في واجب بالضعف، فقال: «وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ»^(٢)، وهو الذي يرى المنكر فينكره بباطنه دون ظاهره، فأخبر أن إيمان الباطن دون الظاهر إيمان ضعيف.

ووصفه بالكمال فقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٣)؛ والأخلاق

(١) قال البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٨٣) في معرض حديثه عن اسم الله تعالى «المؤمن» قال: قال الحليمي: ومعناه المصدق، لأنه إذا وعد صدق وعده، ويحتمل المؤمن عباده بما عرفهم من عدله ورحمته من أن يظلمهم ويجور عليهم؛ قال أبو سليمان فيما أخبرت عنه: أصل الإيمان في اللغة التصديق، فالمؤمن المصدق؛ ويحتمل ذلك وجوهاً: أحدها أنه يصدق عباده وعده وفيه بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب على أعمالهم الحسنة في الآخرة؛ والآخر أنه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم، كقول النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء». وقيل بل المؤمن الموحد نفسه لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِعًا بِالْقِسْطِ﴾. وقيل بل المؤمن الذي آمن عباده المؤمنين من عذابه يوم القيامة. وقيل هو الذي آمن خلقه من ظلمه. وقد دخل أكثر هذه الوجوه فيما قاله الحليمي، إلا أن هذا أبين.

(٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. أخرجه أحمد ومسلم والترمذي؛ وتامه: «من رأى منك منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

(٣) رواه أبو داود في السنن (كتاب السنة باب ١٤). ورواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ (ج ٢ ص ٥٢٧)، وفي ج ٢ ص ٢٥٠ بزيادة: «... وخيارهم خيارهم لنسائهم»، وفي ج ٢ ص ٤٧٢ بزيادة: «... وخياركم خياركم لنسائكم». ورواه أيضاً من حديث عائشة بزيادة: «... والظنهم بأهلهم» (ج ٦ ص ٤٧ و ٩٩). ورواه البيهقي في كتاب «الاعتقاد» من حديث أبي هريرة، وعلق قائلاً: وقوله «أكمل المؤمنين إيماناً» أراد به والله أعلم: من أكمل المؤمنين إيماناً، جمعاً بينه وبين سائر ما ورد في هذا المعنى؛ وهذا لفظ سائر في كلام العرب، يقولون أكمل وأفضل، ومرادهم به من أكمل ومن أفضل.

تكون في الظاهر والباطن، فما عمَّ الجميع وُصف بالكمال، وما لم يعمَّ الجميع وُصف بالضعف.

وقال بعضهم: زيادة الإيمان ونقصانه من جهة الصِّفة لا من جهة العَيْن، فزيادة الإيمان من جهة الجودة والحسن والقوة، ونقصانه من نقصانها^(١) لا من جهة العين^(٢).

وقد قال النبي ﷺ: «كَمَلَّ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ»^(٣)، وهن مريم وفاطمة وخديجة وعائشة، رضي الله عنهن.

ولم يكن نقصان سائر النساء من جهة أعيانهن ولكن من جهة الصفة.

وَوَصَفَهُنَّ أَيْضاً بِنَقْصَانِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ، وَفَسَّرَ نَقْصَانَ دِينَهُمْ بِتَرْكِهِنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ فِي الْحَيْضِ^(٤).

(١) يعني من نقصان الجودة والحسن والقوة.

(٢) الإيمان من جهة الصفة إذا أُريد به العلم والعمل فلا خلاف أنه يزيد وينقص، وإذا أُريد به العلم فقط فهنا اختلافهم. أما الإيمان من جهة العين فهريعي العلم والتصديق، وفي هذا قال ابن تيمية في كتاب الإيمان (ص ٢٠١): العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه، كما أن الحسن الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس للهِلال وإن اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض، وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام، فكل ذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة، والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، والذي في البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه: «كَمَلَّ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» لفظ البخاري في كتاب الأطعمة باب ٢٥ من حديث أبي موسى الأشعري. وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن قرة بن إياس عن رسول الله ﷺ قال: «كَمَلَّ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». (انظر البداية والنهاية: ج ٣ ص ١٢٧ - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧ م).

(٤) روى البخاري في صحيحه (كتاب الحيض باب ٦) عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلّى، فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أرىكن أكثر أهل =

والدين الإسلام، وهو والإيمان واحد عند من لا يرى العمل من الإيمان.
وسئل بعض الكبراء عن الإيمان فقال: «الإيمان من الله لا يزيد ولا ينقص،
ومن الأنبياء يزيد ولا ينقص، ومن غيرهم يزيد وينقص».

فمعنى قوله: «من الله لا يزيد ولا ينقص»، أن الإيمان صفة لله تعالى وهو
موصوف به، قال الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ﴾ [الحشر: ٢٣] وصفات الله
لا توصف بالزيادة والنقصان.

ويجوز أن يكون الإيمان من الله جل وعز هو الذي قسمه للعبد منه في سابق
علمه لا يزيد وقت ظهوره ولا ينقص عما علمه منه وقسمه له.

والأنبياء في مقام المزيد من الله تعالى من جهة القوة واليقين ومشاهدات أحوال
الغيب، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

وسائر المؤمنين يزيد إيمانهم في بواطنهم بالقوة واليقين، وينقص من فروعه
بالتقصير في الفرائض وارتكاب المناهي.

والأنبياء معصومون عن ارتكاب المناهي ومحفوظون في الفرائض عن التقصير،
فلا يوصفون بالنقصان في شيء من أوصافهم في حقائق الإيمان.

النار! فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين
أذهب لب الرجل الحازم من إحداكن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة
المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم
تصل ولم تصم؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها». وروى مسلم في صحيحه (كتاب
الإيمان حديث رقم ١٣٢) عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن
وأكثرن الاستعمار إني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهم جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل
النار؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب منكن»
قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة
رجل، فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين».

الباب الثامن والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي حَقَائِقِ الْإِيمَانِ

قال بعض الشيوخ: «حَقَائِقُ الْإِيمَانِ أَرْبَعَةٌ: تَوْجِيدُ بِلَا حَدٍّ، وَذِكْرُ بِلَا بَتٍّ^(١)، وَحَالٌ بِلَا نَعْتٍ، وَوَجْدٌ بِلَا وَقْتٍ».

معنى «حال بلا نعت» أن يكون وصفه حاله حتى لا يصف حالاً من الأحوال الرفيعة إلا وهو بها موصوف؛ و«وجد بلا وقت»: أن يكون مشاهداً للحق في كل وقت. وقال بعضهم: «مَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْكَوْنِ وَمَا فِيهِ؛ لِأَنَّ خَسَاسَةَ الْهِمَّةِ مِنْ قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى».

وقال بعضهم: «صِدْقُ الْإِيمَانِ التَّعْظِيمُ لِلَّهِ وَتَمَرُّتُهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ».

وقيل: «الْمُؤْمِنُ مُنْشِرِحُ الصَّدْرِ بِنُورِ الْإِسْلَامِ، مُنِيبُ الْقَلْبِ إِلَى رَبِّهِ، شَهِيدُ الْفَوَاقِدِ لِرَبِّهِ، سَلِيمُ اللَّبِّ، مُتَعَوِّذٌ بِرَبِّهِ، مُحْتَرِقٌ بِقُرْبِهِ، صَارِحٌ مِنْ يُعْلِيهِ».

وقال بعضهم: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ مُشَاهَدَةُ الْوَهْيِيِّ».

وقال أبو قاسم البغدادي^(٢): «الْإِيمَانُ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُكَ إِلَى اللَّهِ وَيَجْمَعُكَ بِاللَّهِ، وَالْحَقُّ وَاجِدٌ، وَالْمُؤْمِنُ مُتَوَحِّدٌ، وَمَنْ وَافَقَ الْأَشْيَاءَ فَرَّقَتْهُ الْأَهْوَاءُ، وَمَنْ تَفَرَّقَ عَنِ اللَّهِ بِهَوَاهُ، وَتَبَعَ شَهْوَتَهُ وَمَا يَهْوَاهُ فَاتَهُ الْحَقُّ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَمْرُهُمْ بِتَكَرُّيرِ الْعُقُودِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَنَظَرَةٍ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال النبي ﷺ: «الشَّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ ذَيْبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا»^(٣) فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ»^(٤).

(١) البت: القطع.

(٢) لعنه أبو القاسم بكر بن شاذان بن بكر البغدادي. توفي يوم السبت التاسع من شوال سنة ٤٠٥ هـ، ودفن بحقيرة باب حرب (صفة الصفوة: ج ٢ ص ٣١٢).

(٣) الصفا: العريض من الحجارة الأملس؛ جمع صفاة، فإذا شئ قيل صفاة. (لسان العرب: مادة صفا).

(٤) معنى الحديث في مند الإمام أحمد ومندرك الحاكم وغيرهما من كتب الحديث. ورواه بهذا اللفظ أبو نعيم في حلية الأولياء (ج ٨ ص ٣٦٨ وح ٩ ص ٢٥٣) من حديث عائشة، وفيه زيادة: «... وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في

الله؟...»

وقال النبي ﷺ: «تَعَسَّ (١) عَبْدُ الدِّينَارِ! تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ! تَعَسَّ عَبْدُ بَطْنِيهِ!
تَعَسَّ عَبْدُ فَرْجِهِ! تَعَسَّ عَبْدُ الخَمِيصَةِ!» (٢).

وسألت بعض مشايخنا عن الإيمان، فقال: «هو أن يكون الكُلُّ منك مُسْتَجِيباً
في الدَّعْوَةِ مع حَذْفِ خَوَاطِرِ الأَنْصِرَافِ عن الله بِبِرِّكَ، فتكون شاهداً لما له، غائباً عما
ليس له».

وسأله مرة أخرى عن الإيمان، فقال: «الإيمانُ ما لا يجوزُ إتيانُ ضِدِّهِ».

وفي قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» يا أهل صفوتي ومعرفتي، يا أهل قربي
ومشاهدتي.

وجعل بعضهم الإيمانَ والإسلامَ واحداً، وفرَّق بعضهم بينهما؛ فقال من فرق
بينهما: «الإسلامُ عامٌ والإيمانُ خاصٌّ».

وقال بعضهم: «الإسلامُ ظاهرٌ، والإيمانُ باطنٌ».

وقال بعضهم: «الإيمانُ تحقيقٌ واعتقادٌ، والإسلامُ خُضُوعٌ وانقيادٌ».

وقال بعضهم: «التَّوْحِيدُ بِرٌّ وهو تَنْزِيهُ الحَقِّ عَن دَرْكِهِ، والمَعْرِفَةُ بِرٌّ وهو أَنْ
تَعْرِفَهُ بِصَفَائِهِ، والإيمانُ عَقْدُ القَلْبِ بِحَفِظِ السَّرِّ وَمَعْرِفَةِ البِرِّ، والإسلامُ مُشَاهَدَةُ قِيَامِ
الحَقِّ بِكُلِّ ما أَنْتَ به مُطالِبٌ» (٤).

(١) قوله «تَعَسَّ» بكسر العين وتفتح: انكَب على وجهه أو بعد أو هلك أو شقي. (عن حانبة صحيح البخاري).

(٢) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن مُعلماً فليس بخميصة. (لسان العرب: مادة حمص).
(٣) زوي بطرق وأسانيد والفاظ مختلفة. ورواه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد باب ٧٠، وكتاب
الرفاق باب ١٠) ولفظه في الرفاق: «تَعَسَّ عبد الدينار والدرهم والقטיפه والخميصة، إن أعطي رضي
وإن لم يُعط لم يرض».

(٤) ما ذكره فيما سلف من أقوالهم في الفرق بين الإيمان والإسلام هي أقوال صوفية. وقد أظن الغزالي في
إحياء علوم الدين في البحث في هذه المسألة، فنظر في اللفظين من جانب اللغة ومن جانب التفسير
ومن جانب الفقه. قال: اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره، وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه
يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه، فقبل إنهما شيء واحد، وقيل إنهما شيان لا يتواصلان، وقيل إنهما
شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر. قال: فنقول في هذا ثلاثة مباحث: بحث عن سوجب اللفظين في =

الباب التاسع والعشرون

قَوْلُهُمْ فِي الْمَذَاهِبِ الشَّرْعِيَّةِ

إنهم يأخذون لأنفسهم بالأحوط والأوثق فيما اختلف فيه الفقهاء، وهم مع إجماع الفريقين فيما أمكن وَيَرَوْنَ اختلاف الفقهاء صواباً ولا يعترض الواحد منهم على الآخر، وكل مجتهد عندهم مُصِيبٌ^(١)، وكل من اعتقد مذهباً في الشرع وصح ذلك عنده بما يصح مثله مما يدل عليه الكتاب والسنة وكان من أهل الاستنباط فهو مصيبٌ باعتقاده ذلك، ومن لم يكن من أهل الاجتهاد أخذ بقول من أفتاه ممن سبق إلى قلبه من الفقهاء أنه أعلم وقوله حجة له.

وأجمعوا على تعجيل الصلوات، وهو الأفضل عندهم مع التيقن بالوقت. وَيَرَوْنَ تعجيل أداء المفترضات عند وجوبها، لا يرون التقصير والتأخير والتفريط فيها لَعُدْر.

اللغة، ويبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع، ويبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة. والبحث الأول لغوي، والثاني تفسيري، والثالث فقهي شرعي.

ثم أخذ الغزالي في المباحث الثلاثة، فبين في المبحث الأول، وهو اللغوي، أن الإيمان عبارة عن التصديق، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد. ثم توصل إلى أن موجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص، فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام، فكل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً.

أما المبحث الثاني، وهو إطلاق الشرع، فبين أن الترع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل. ثم ذكر آيات من كتاب الله تعالى وأحاديث نوية شاهدة على ذلك. وتوصل في هذا المبحث إلى النتيجة التي توصل إليها في المبحث اللغوي من أن الإسلام أعم من الإيمان.

وفي مبحث الحكم الشرعي بين الغزالي أن الإسلام والإيمان حكمان: أحروي ودينوي. ثم أطلب في هذا المبحث، فليطير في إحياء علوم الدين (ج ١ ص ١٣٩ وما بعدها)

(١) مسلكتهم في اعتبار كل مجتهد مصيباً محلّ خلاف بين الفقهاء والأصوليين والذين رأوا هذا الرأي يتمسكون بالحديث المشهور: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

ويرون تقصير الصلاة في السفر، ومن أَدْمَنَ السفر منهم ولم يكن له مقر أتم الصلاة.

ورأوا الفطر في السفر جائزاً^(١).

واستطاعة الحج عندهم الإمكانُ من أيِّ وجوهٍ كان، ولا يشترطون الزاد والراحلة فقط. قال ابن عطاء: «الاستطاعة اثنان: حالٌ ومالٌ، فمن لم يكن له حال يُقِلُّهُ ولا مال يُبَلِّغُهُ لا يجب عليه».

الباب الثلاثون

قَوْلُهُمْ فِي الْمَكَاسِبِ

أجمعوا على إباحة المكاسب من الحِرْفِ والتجارات والحِرث وغير ذلك مما أباحتها الشريعة عن تيقُّظٍ وثبُتٍ وتحَرُّزٍ من الشبهات، وأنها تُعمل للتعاون وحسم الأطماع ونية العَوْدِ على الأغيار والعطف على الجار؛ وهي عندهم واجبة لمن رُبط به غيره ممن يلزمه فرضه^(٢).

وسبيل المكاسب عند الجُنَيْدِ ما سبق من الشرط: سبيل الأعمال المقربة إلى الله عز وجل. ويشتمل العبد بها على حسب ما يشتغل في إتيان ما نُدب إليه من النوافل لا على أن بها تُجلب الأرزاق وتُجَرَّ المنافع.

(١) خلافاً لمن أوجب ذلك.

(٢) وهذا عند الصوفي الذي يكون في بداية الطريق، أما الصوفي الواصل فهو عندهم منقطع عن العلائق ومتخلٍّ عن الأسباب. قال الهروردي في عوارف المعارف (ص ١٢٩): اختلفت أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والإعراض عن الأسباب، فمنهم من كان على الفتح لا يركن إلى معلوم ولا يتسبب كسب ولا زال، ومنهم من كان يكتب، وسهم من كان يبال في وقت فاقته، ولهم في ذلك أدب واحد يراعونه ولا يشعرونه. ثم قال (ص ١٣٢): إذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكمال تقواه بحكم الوقت عليه يترك التيب ويكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم، فيزول عن باطنه الاهتمام بالأقسام، ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له ناباً من التعريف بطريق المتابعة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسر من دس بحسب حاله أو الذنب مطلقاً مما هو منهى عنه في الشرع يجد غب ذلك في وقته أو يومه.

وهي عند غيره مباح للفرد ليس بواجب عليه، من غير أن يقدح في توكله أو يعجز دينه.
والاشتغال بوظائف الحق أولى وأحق، والإعراض عنه عند صحة التوكّل والثقة بالله أوجب.
وقال سهل: «لا يصح الكتب لأهل التوكّل إلا لاتباع السنة، ولا لغيرهم إلا للتعاون».

هذا ما تحققناه وصح عندنا من مذاهب القوم من أقاويلهم في كتبهم ممن ذكرنا أساميهم ابتداء، وما سمعناه من الثقات ممن عرف أصولهم وتحقق مذاهبهم، والذي فهمناه من رموزهم وإشاراتهم في ضمن كلامهم. قال: وليس كل ذلك مطوراً لهم على حسب ما حكيناه، وأكثر ما ذكرنا من العلل والاحتجاج فمن كلامنا، عبارة عما حصلناه من كتبهم ورسائلهم.

من تدبر كلامهم وفحص كتبهم، علم صحة ما حكيناه. ولولا أنا كرهنا الإطالة والإكثار لكنا نذكر مكان ما حكيناه من كلامهم من كتبهم نصاً ودلالة، إذ ليس كل ذلك مرسوماً في الكتب على التصريح.

ونذكر الآن بعض ما تخصصوا به من أقاويلهم، وما استعملوه من ألفاظهم مما تفردوا به، والعلوم التي عُنوا بها وما يدور كلامهم عليه، ونشرح بعض ما يمكن شرحه، وبالله نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الحادي والثلاثون

عُلُومُ الصُّوفِيَّةِ عُلُومُ الْأَحْوَالِ

أقول وبالله التوفيق: اعلم أن علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال موارث الأعمال^(١)، ولا يرث الأحوال إلا من صح الأعمال.

(١) الأحوال في تعريف كمال الدين عبد الرزاق القاشاني: «هي المواهب الفائضة على العبد من ربه، إما واردة عليه ميراثاً للعمل الصالح المزمي للنفس المصطفى للقلب، وإما نازلة من الحق امتثاناً محضاً».

وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها، وهي علم الأحكام الشرعية من أصول الفقه وفروعه: من الصلاة، والصوم، وسائر الفرائض، إلى علم المعاملات؛ من النكاح، والطلاق، والمبايعات، وسائر ما أوجب الله تعالى وندب إليه وما لا غناء به عنه من أمور المعاش.

وهذه علوم التعلم والاكتساب:

فأول ما يلزم العبد الاجتهاد في طلب هذا العلم وإحكامه على قدر ما أمكنه ووسعه طَبَعُهُ وقوي عليه فَهْمُهُ، بعد إحكام علم التوحيد^(١) والمعرفة، على طريق الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح عليه، القدر الذي يتيقن بصحة ما عليه أهل السنة والجماعة؛ فإن وَقَّوْهُ لما قَوَّه من نَفْيِ الشُّبُهَةِ التي تعترضه من خاطر أو ناظر، فذاك، وإن أعرض عن حواطر سوء اعتصاماً بالجملة التي عرفها، وتجانى عن

وإنما سميت أحوالاً لتحول العبد بها من الرسوم الحلقية ودركات البعد إلى الصفات المخفية ودرجات القرب، وذلك هو معنى الترقى». (انظر اصطلاحات الصوفية للقائني: ص ٢٦ - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١).

(١) تكلم الغزالي عن علم التوحيد في كتاب العلم من الإحياء (ح ١ ص ٤٥) قال: يُجْعَل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشتد فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طائفة منهم بأهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد، مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدول والمصاراة، فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوماً للكُلِّ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين، وإن فهموه لم يتصفوا به، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله. . . ثم قال: والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصناعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية. فالقشر الأول: هو أن تقول بلسانك «لا إله إلا الله» وهذا يسمى توحيداً ماقصاً للتثليث الذي صرح به النصاري، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره. والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به، وهو توحيد عوام المخلوق، والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة. والثالث وهو اللباب، أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبد عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره.

المُناظِر الذي يحتاجه فيه ويجادله عليه وباعده، فهو في سعة إن شاء الله عز وجل^(١)،
واشتغل باستعمال علمه وعمل بما علم.

فأول ما يلزمه: علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها، ومكائده
العدو، وفتنة الدنيا وسبيل الاحتراز منها؛ وهذا العلم علم الحكمة^(٢).

فإذا استقامت النفس على الواجب، وصلحت طباعها، وتأدبت بآداب الله عز
وجل: من زَمَّ^(٣) جوارحها، وحفظ أطرافها، وجمع حواسها؛ سهل عليه إصلاح
أخلاقها وتطهير الظاهر منها والفراغ مما لها وعزوفها عن الدنيا وإعراضها عنها.

فعند ذلك يمكن العبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر، وهذا هو علم المعرفة.

ثم وراء هذا علوم الخواطر^(٤)، وعلوم المشاهدات والمكاشفات^(٥)، وهي التي

(١) قوله «فهو في سعة إن شاء الله عز وجل» يعني أن يكون مرضعه بعد الجملة التالية، كما هو واضح.
(٢) هذا ما أراده الإمام الغزالي في معنى علم الحكمة؛ قال في الإحياء (كتاب العلم، ص ٥٠) متقدماً وضع
العامية اسم الحكيم في غير موضعه: اسم الحكيم صار يطلق على الطيب والشاعر والمنجم، حتى
على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق. والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل
عليها فقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقال ﷺ: «كلمة
من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها»، فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا
نقل!

(٣) الزَمُّ: الشدّ، ومنه زمام البعير، وهو الحبل الذي يشدّ به. وزم الجوارح يعني تقيدها وعدم إطلاقها من
عقالها في فعل المنهي.

(٤) عرّف الإمام الغزالي الخواطر فقال: اعلم أن الخواطر آثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الفعل أو
الترك، وحدوث جميعها في القلب من الله تعالى، إذ هو خالق كل شيء؛ ولكنها أربعة أقسام: فمسم
منها يحدثه الله تعالى في قلب العبد ابتداء فيقال له المخاطر فقط، وقسم يحدثه موافقاً لطبع الإنسان
فيقال له هو النفس، وقسم يحدثه عقب دعوة الشيطان فينسب إليه ويقال له الوسواس، وقسم يحدثه الله
ويقال له الإلهام. ثم اعلم أن المخاطر الذي من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون حيراً إكراماً وإلزاماً
للحجة، وقد يكون شرّاً امتحاناً. والمخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون إلا بخير إذ هو ناصح
مرشد لا يرسل إلا لذلك، والمخاطر الذي يكون من قبل الشيطان لا يكون إلا بشر إغواء وربما يكون
بالخير مكرماً منه واستدراجاً، والمخاطر الذي يكون من قبل النفس لا يكون إلا بالشر وقد يكون بالخير
لا لذاته. (انظر روضة الطالبين وعمدة السالكين للإمام الغزالي: ص ٧٨ - ضمن مجموعة رسائل الإمام
الغزالي (٢) - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦).

تختص بعلم الإشارة، وهو الذي تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها .

وإنما قيل علم الإشارة، لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات .

روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُكْرَهُ إِلَّا أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللَّهِ»^(١).

وقريب من تعريف الغزالي للخواطر تعريف القاشاني في اصطلاحات الصوفية (ص ١٥٨) قال: الخاطر ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا تتعمّل للبعد فيه، وما كان خطاباً فهو على أربعة أقسام . . . الخ . ثم ذكر نفس تقسيم الغزالي .

(٥) قال الإمام الغزالي: علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم: بدعة أو كبر، من كان محباً للعالم أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يدرك منه شيئاً . . . وتابع الغزالي قائلاً: وهو علم الصديقين والمقربين، أعني علم المكاشفة، فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع بها من قبل أسماؤها فيترهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات الثابتات وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه تربيته للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراف والميزان والحساب . . . إلى أن قال: فتعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبيثها بقاذورات الدنيا . وإنما نعي بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقل هذه المرأة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله . (انظر إحياء علوم الدين، كتاب العلم: ج ١ ص ٣١ و ٣٢) .

(١) رواه الغزالي في الإحياء (كتاب العلم، ج ١ ص ٣٢) وتامه: «إِنَّ مِنْ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يَجْهَلْهُ إِلَّا أَهْلُ الْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تَحْقِرُوا عَالِمًا آتَاهُ اللَّهُ»

وعن عبد الواحد بن زيد^(١) قال: سألت الحسن عن علم الباطن فقال: سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال: سألت رسول الله عن علم الباطن فقال: «سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَالَ: سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَالَ: هُوَ سِرٌّ مِنْ سِرِّي أَجْعَلُهُ فِي قَلْبِ عَبْدِي، لَا يَقِفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي»^(٢).

قال أبو الحسن بن أبي ذر في كتابه «منهاج الدين»: أنشدونا للشبلي:

عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لَا نَفَادَ لَهُ عِلْمٌ سِنِّيٌّ سَمَاوِيٌّ رُبُوبِي
فِيهِ الْفَوَائِدُ لِلرَّبَابِ يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْجِرَالَةِ وَالصُّنْعِ الْخُصُوصِي

ثم لكل مقام^(٣) بدء ونهاية وبينهما أحوال متفاوتة، ولكل مقام علم، وإلى كل حال إشارة، ومع كل مقام إثبات ونفي، وليس كل ما نفي في مقام كان منفيًا فيما قبله، ولا كل ما أثبت فيه كان مثبتًا فيما بعده.

وهو كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»^(٤).

= تعالى علماً منه، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آناه إياه». قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأرمين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.

(١) انظر ترجمته ص ٢٢ حاشية ١٠.

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (ج ١٠ ص ٤٥).

(٣) هناك اشتباه بين الحال والمقام لتشابههما وتداخلهما، وقد أطنب السهروردي في شرح الفرق بينهما في كتابه «عوارف المعارف» وما قاله: «قد كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت إشارات الشرح في ذلك، ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسها وتداخلهما، فترأى للبعض الشيء حالاً وترأى للبعض مقاماً، وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما؛ ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما. على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق، فالحال سمي حالاً لثبوته، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره؛ وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول، فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم، ويغلب حال المحاسبة وتتفهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه، فيصير عن مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة» (انظر عوارف المعارف: ص ٣٠٠. ملحق بالجزء الخامس من إحياء علوم الدين للغزالي).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١) من حديث أنس بن مالك بلفظ: «لا =

فنفى إيمان الأمانة لا إيمان العقد^(١)، والمخاطبون أدركوا ذلك، إذ كانوا قد حَلُّوا مقام الأمانة أو جاوزوه إلى ما فوقه، وكان عليه السلام مشرفاً على أحوالهم فصَّرح لهم .

وأما من لم يشرف على أحوال السامعين، وعبر عن مقامٍ فنَفَى فيه وأثبت، جاز أن يكون في السامعين من لم يحل ذلك المقام، وكان الذي نفاه القائل مثبتاً في مقام السامع، فيسبق إلى وهم السامع أنه نفى ما أثبتته العلم، فخطأ قائله أو بدَّعه وربما كَفَّرَه .

فلما كان الأمر كذلك اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها تعارفوها بينهم ورمزوا بها، فأدركه صاحبه وخفي على السامع الذي لم يحلَّ مقامه، فإما أن يحسن ظنه بالقائل فيقبله ويرجع إلى نفسه فيحكم عليها بقصور فهمه عنه، أو بسوء ظنه به فيهُوس^(٢) قائله وينسبه إلى الهذيان؛ وهذا أسلم له من ردِّ حقِّ وإنكاره .

قال بعض المتكلمين لأبي العباس بن عطاء: ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتقتُم ألفاظاً أُعْرِبْتُم بها على السامعين، وخرجتم عن اللسان المعتاد؟ هل هذا إلا طلبٌ للتَّصويه أو سترٌ لِعَوَارٍ^(٣) المذهب؟ فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لِعُرْته علينا، كيلا يشربها غير طائفتنا. ثم اندفع يقول:

أَحْسَنُ مَا أَظْهَرَهُ وَنُظْهِرَهُ بِأَدْيٍ حَقِّ لِقُلُوبٍ نَشْعُرُهُ

إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» ورواه بهذا اللفظ أيضاً الهيثمي في موارد الظمان، والمنذري في الترغيب والترهيب، والمتقي الهندي في كنز العمال، ورواه بلفظ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا صلاة له» المتقي الهندي في كنز العمال. وبلغظ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا ظهور له» المنذري في الترغيب والترهيب، والطبراني في المعجم الصغير. وبلغظ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا وضوء له» المتقي الهندي في كنز العمال. وبلغظ: لا إيمان لمن لا أمانة له والمعتدي في الصدقة كما نعتها المتقي الهندي في كنز العمال، وابن خزيمة في صحيحه .

(١) أي العقيدة يعني أنه نفى عنه نوعاً من الإيمان هو إيمان الأمانة فقط، ولم ينف عنه الإيمان نفياً مطلقاً؛ بمعنى أن خائن الأمانة لا يطلق عليه اسم الكافر، والكافر هو فاقده الإيمان مطلقاً.

(٢) أي ينسبه إلى الهُوس، وهو كما جاء في لسان العرب طرفٌ من الجنون.

(٣) العوار (بفتح العين وقد تَضَمَّ): العيب؛ (لسان العرب: مادة عور).

يُخْبِرُنِي عَنِّي وَعَنْهُ أَخْبِرَةٌ
عَنْ جَاهِلٍ لَا يَسْتَطِيعُ يَنْشُرُهُ
فَلَا يُطِيقُ اللَّفْظَ بَلَّ لَا يَعْشُرُهُ^(٢)
فِيظَهَرُ الْجَهْلُ وَتَبْدُو زَمْرَةٌ
وَأَنْشُدُونَا أَيْضاً لَهُ :

إِذَا أَهْلُ الْعِبَارَةِ سَاءَ لِسُونَا
نُشِيرُ بِهَا فَتَجْعَلُهَا غُمُوضاً
وَنُشْهِدُهَا وَتُشْهِدُنَا سُرُوراً
تَرَى الْأَقْوَالَ فِي الْأَحْوَالِ أُسْرَى
أَجْبَنَاهُمْ بِأَعْلَامِ الْإِشَارَةِ
تُقْصِرُ عَنْهُ تَرْجَمَةُ الْعِبَارَةِ
لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ إِثَارَةٌ
كَأَسْرِ الْعَارِفِينَ ذَوِي الْخَسَارَةِ

الباب الثاني والثلاثون

في التصوف ما هو

سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الفارسي يقول: «أركان التصوف عشرة: أولها تجريد التوحيد، ثم فهم السماع، وحسن العشرة، وإيثار الإيثار، وترك الاختيار، وسرعة الوجد، والكشف عن الخواطر، وكثرة الأسفار، وترك الاكتساب، وتحريم الادخار».

معنى تجريد التوحيد: أن لا يشوبه خاطر تشبيه أو تعطيل.

وفهم السماع: أن يسمع بحاله لا بالعلم فقط.

وإيثار الإيثار: أن يؤثر على نفسه بالإيثار ليكون فضل الإيثار لغيره.

وسرعة الوجد: أن لا يكون فارغ السر مما يثير الوجد، ولا ممتلئ السر مما

(١) يعبره. يفره، يقال: عبر الرؤيا يعبرها عبراً وعبارةً وغيرها. فسرهما وأخبر بما يزول إليه أمرها، وفي

التزويل العزيز: «إذ كتتم للرؤيا تعبرون»

(٢) لا يعشره: لا يبلغ معشاره.

(٣) يدرس: يسمعي.

يتمتع من سماع زواجر الحق .

والكشف عن الخواطر: أن يبحث عن كل ما يخطر على سره فيتابع ما للحق ويدع ما ليس له .

وكثرة الأسفار: لشهود اعتبار في الأفاق والأقطار.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٩]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقيل في قوله عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: بضياء المعرفة لا بظلمة النكرة، ولقطع الأسباب، ورياضة النفوس، وترك الاكتساب لمطالبة النفوس بالتوكل، وتحريم الادخار في حالة لا في واجب العلم.

كما قال النبي ﷺ في الذي مات من أهل الصفة وترك ديناراً، فقال رسول الله ﷺ: «كَيْة»^(١).

الباب الثالث والثلاثون

في الكشف عن الخواطر

قال بعض الشيوخ: الخاطر على أربعة أوجه: خاطر من الله عز وجل، وخاطر من المملك، وخاطر من النفس، وخاطر من العدو.

فالذي من الله تبيهُ، والذي من المملك حث على الطاعة، والذي من النفس مطالبة الشهوة، والذي من العدو تزوين المعصية.

فبنور التوحيد يقبل من الله، وبنور المعرفة يقبل من المملك، وبنور الإيمان ينهى النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١ / ٤١٢، ٤٢٦، ٤٥٧) من حديث عبد الله بن مسعود، ولم يظن: أن رجلاً من أهل الصفة مات فوجد في برده ديناران، فقال النبي ﷺ «كَيْتَان». ولم أجده بلفظ «كَيْة» بالإنفراد.

(٢) انظر قول الغزالي والقاشاني في الخواطر الأربعة ص ١٠٥ حاشية رقم ٤ وفي عوارف المعارف للإمام =

الباب الرابع والثلاثون

في التصوف والاسترسال.

قال الجنيد: «التصوف حفظ الأوقات»^(١) قال: «وهو أن لا يطالع العبد غير حده، ولا يوافق غير ربه، ولا يقارن غير وقته».

وقال ابن عطاء: «التصوف الاسترسال مع الحق»^(٢).

قال أبو يعقوب السوسي: «الصوفي هو الذي لا يزعمه سلب ولا يتعبه

السهروردي (ص ٢٩٧) قال: سمعت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري بالبصرة يقول: الخواطر أربعة. خاطر من النفس، وخواطر من الحق، وخواطر من الشيطان، وخواطر من الملك. فاما الذي من النفس فيحس به من أرض القلب، والذي من الحق من فوق القلب، والذي من الملك عن يمين القلب، والذي من الشيطان عن يسار القلب.

قال السهروردي: وذكر خاطر خامس، وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة، يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز وإثبات الحجة على العبد ليدخل العبد في الشيء بوجود عقل، إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب. وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختاراً ويسترجع به الثواب. وذكر خاطر سادس، وهو خاطر اليقين، وهو روح الإيمان ومزيد العلم؛ ولا يبعد أن يقال الحاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع إلى ما يرد من خواطر الحق، وخواطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال لأن العقل كما ذكرنا عزيزة بتهياً بها إدراك العلوم وتهيأ بها الانجذاب إلى دواعي النفس تارة وإلى دواعي الملك تارة وإلى دواعي الروح تارة وإلى دواعي الشيطان تارة، فعلى هذا لا تزيد الخواطر على أربعة، ورسول الله ﷺ لم يذكر غير اللمتين - [يعني قوله ﷺ «إن للشيطان لمة سابين آدم وللملك لمة»] - وهاتان اللتان هما الأصل والخواطران الآخران فرع عليهما.

(١) الوقت يعرفه ابن عربي بأنه عبارة عن حالك في زمن الحال لا تعلق له بالماضي والمستقبل. وعرفه القاشاني قال: ما حضرك في الحال، فإن كان من تصريف الحق فعليك الرضا والامتثال حتى تكون بحكم الوقت ولا يخطر ببالك غيره. وإن كان مما يتعلق بكسك فالرم ما أميتك فيه لا تعلق لك بالماضي والمستقبل، فإن تدارك الماضي تصيب للوقت الحاضر، وكذلك الفكر فيما يستقبل فإنه صس أن لا تبلغه وقد فاتك الوقت (اصطلاحات الصوفية: ص ٥٣).

(٢) وقريب منه تعريف روم: التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد. (عوارف المعارف: ص ٨١).

طَلَبُ»^(١).

قيل للجنيد : ما التصوف؟ قال : «لُحُوقُ السَّرِّ بِالْحَقِّ، وَلَا يُنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِفَنَاءِ النَّفْسِ عَنِ الْأَسْبَابِ لِقُوَّةِ الرُّوحِ وَالْقِيَامِ مَعَ الْحَقِّ».

وسئل الشبلي : لم سميت الصوفية صوفية؟ قال : «لأنها ارتسمت بوجود الرِّسْمِ وإثبات الوصف، ولو ارتسمت بسخو الرِّسْمِ لم يكن إلا الرِّسْمِ ومثبت الوصف»، فأحالهم على رسومهم، وأنكر أن يكون للمتحقق^(٢) رسم أو وصف.

قال أبو يزيد^(٣) : «الصَّوْفِيَّةُ أَطْفَالٌ فِي جِجْرِ الْحَقِّ».

قال أبو عبد الله النباجي : «مَثَلُ التَّصَوُّفِ مَثَلُ عِلَّةِ الْبِرْسَامِ فِي أَوْلَاهَا هَذَا إِذَا تَمَكَّنَتْ أَخْرَسَتْ»^(٤)، يعني أنه يعبر عن مقامه وينطق بعلم حاله، فإذا كُوْشِفَ تحير وسكت.

سمعت فارساً يقول : «مَتَى تَظَاهَرَ فِي خَوَاطِرِ الْهَجُوسِ عَلَى دَوَاعِي مُلِمَّاتِ النَّفُوسِ، وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى تَرْجِيحِ الْأَوَّلِ فَيَقَعُ النَّشْرُ. وَأَمَّا الْوَصْلَةُ فَإِنَّمَا تَحْجُبُ مَوَادَّ الْإِمْلَاءِ، فَيَكُونُ الْمَرْجِعُ إِلَى الْخَرَسِ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ».

سئل النُّورِيُّ عَنِ التَّصَوُّفِ، فَقَالَ : «نَشْرُ مَقَامٍ وَاتِّصَالٌ بِقَوَامٍ».

قيل له : فما أخلاقهم؟

(١) هذا التعريف نسبة السهروردي في عوارف المعارف (ص ٨١) لذي النون المصري.

(٢) المتحقق في اصطلاح الصوفية متحقق بالحق ومتحقق بالحق والمخلوق. فالمتحقق بالحق من يشاهده تعالى في كل متعين بلا تعين به، فإنه تعالى وإن كان مشهوداً في كل متعبد باسم أو صفة أو اعتبار أو تعين أو حيثية، فإنه لا ينحصر فيه ولا يتقيد به؛ فهو المطلق المقيد والمقيد المطلق المنزه عن التقيد واللاتقيد والإطلاق واللاإطلاق.

والمتحقق بالحق والمخلوق من يرى أن كل مطلق في الوجود له وجه التقيد، وكل مقيد له وجه الإطلاق، بل يرى كل الوجود حقيقة واحدة له وجه مطلق ووجه مقيد بكل قيد. ومن شاهد هذا المشهد ذوقاً كان متحققاً بالحق والمخلوق والفناء والبقاء (انظر اصطلاحات الصوفية للقائمانى : ص ٧٦).

(٣) أبو يزيد البسطامي. انظر ترجمته ص ٢٥ حاشية ٦

(٤) البرسام أو الرسام مرض دماغي، ذكر ابن سينا من عوارضه أنه يلازمه هذيان يفرط تارة وينقطع أخرى كراهة للكلام وكسلاً عنه. (انظر القانون في الطب: ج ٢ ص ٤٥ - دار صادر، بيروت)

قال: «إِدْحَالُ السُّرُورِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ أَدَاهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].
معنى «نشر مقام»: هو أن يعبر عن حاله إذا عَبَّرَ، لا عن حال غيره بلسان العلم.

ومعنى «اتصال بقوام»: هو أن يَحْمِلَهُ حَالُهُ فِي حَالِهِ عَنِ حَالِ غَيْرِهِ. وَأَنْشَدُونَا لِلنُّورِيِّ:

أَرْعَجْتَنِي عَنْ نُعُوتِ الْحَالِ بِالْحَالِ وَكَيْفَ يُنَعْتُ مِنْ لَا قَالَ بِالْقَالَ
مَا كُلُّ مَنْ يَسْأَعِي حَالًا تُصَدِّقُهُ حَتَّى يَتَرَجِّمَ عَنْهُ صَاحِبُ الْحَالِ

ونريد أن نخبر الآن بعض المقامات على لسان القوم من غير بسطٍ كراهة الإطالة، ونحكي من مقالات المشايخ فيها ما قرب منها إلى الأفهام دون الرموز الخفية والإشارة الدقيقة، ونبدأ بالتوبة.

الباب الخامس والثلاثون

قولهم في التوبة

مثل الجنيد بن محمد عن التوبة ما هي؟ فقال: «هُوَ نِسْيَانُ ذَنْبِكَ»، ومثل سهل عن التوبة، فقال: «هُوَ أَنْ لَا تَتَسَّى ذَنْبَكَ».

فمعنى قول الجنيد: أن تخرج حلالة ذلك الفعل من قلبك خروجاً لا يبقى له في سرك أثر، حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قطاً^(١).

(١) هذا معنى قول الجنيد «هو نسيان ذنبك» أما قول سهل: «هو أن لا تتسى ذنبك» فمعناه ملازمة الندم. ويرضح هذا ما قاله الغزالي في بيان حقيقة التوبة، قال: أعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتطعم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: علم، وحال، وفعل. فالعلم الأول، والحال الثاني، والفعل الثالث. والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاء أطراد سنة الله في الملك والملكوت. أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حاجتاً بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بقيت غالب على قلبه نار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفقوت، فيسمى تألمه بسبب فعله المفقوت لمحجوبه ندماً، =

وقال رُويم: «مَعْنَى التَّوْبَةِ أَنْ تَتُوبَ مِنَ التَّوْبَةِ»^(١) معناه ما قالت رابعة^(٢):
«أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَلْبِي صِدْقِي فِي قَوْلِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ».

سئل الحسين المغازلي^(٣) عن التوبة، فقال: تسألني عن توبة الإنبابة أو توبة الاستجابة؟ فقال السائل: ما توبة الإنبابة؟ قال: أن تخاف من الله من أجل قدرته

= فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال والماضي وبالاستقبال. أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان، بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر، فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات، وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين، فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سمرم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلاءه على القلب، فيشمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه، كسر يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيقطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرائى محبوبه وقد أشرف على الهلاك، فتشتمل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته لئلا تنهاض للتدارك. فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معانٍ مرتبة في الحصول، فيطلق اسم التوبة على مجموعها، وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالشرة والتابع المتأخرة، وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام: «الندم توبة إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمرة وعن عزم يتبعه ويتلوه، فيكون الندم محفوفاً بطرفيه، أعني ثمرة ومثمرة، وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ. (انظر إحياء علوم الدين، كتاب التوبة: ج ٤ ص ٤).

(١) يعني أن تنهي عن الذنوب تماماً، فالتوبة لا تكون إلا من ذنب سلف. وهذا هو نفس معنى قول رابعة الأتي.

(٢) رابعة العدوية البصرية، قال الشعرائي: كانت رصي الله عنها كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار عشي عليها زماناً، وكانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار؛ وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول: ما لي حاجة بالدنيا، وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها شرب بال تكاد تسقط إذا مشيت، وكان كفنها لم يزل موضوعاً أمامها وكان موضع سجودها وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، (انظر طبقات الشعرائي: ج ١ ص ٦٦؛ وانظر أيضاً صفة الصفوة لابن الجوزي: ج ٤ ص ٢٣).

(٣) لم أجد اسم الحسين المغازلي فيما بين يدي من المراجع. ولعله أبو أحمد المغازلي ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (ج ٢ ص ٢٩٨) قال: جعفر الخفندي قال: سمعت أب أحمد المغازلي يقول: كنت يوماً من الأيام قاعداً، فخطر على قلبي ذكر من الأذكار فقلت: إن كان ذكر يمشي به على الماء فهو هذا، فقامت إلى الماء فوضعت قدمي على الماء فثبتت، ثم رفعت قدمي الأخرى لأضعها على الماء فخطر بقلبي كيفية ثبوت الأقدام على الماء فعاصتا جميعاً.

عليك . قال : فما توبة الاستجابة؟ قال : أن تستحي من الله لقربه منك .
 قال ذو النون : «تَوْبَةُ الْعَامِّ مِنَ الذَّنْبِ، وَتَوْبَةُ الْخَاصِّ مِنَ الْعَفْلَةِ، وَتَوْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ
 مِنْ رُؤْيَةِ عَجْزِهِمْ عَنْ بُلُوغِ مَا نَالَهُ غَيْرُهُمْ»^(١) .
 وقال النوري : «التَّوْبَةُ أَنْ تَتُوبَ مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ» .
 قال إبراهيم الدقاق : «التَّوْبَةُ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ وَجْهًا بِلَا قَفَا كَمَا كُنْتَ لَهُ قَفَا بِلَا
 وَجْهِ»^(٢) والله الموفق .

الباب السادس والثلاثون

قَوْلُهُمْ فِي الزُّهْدِ

قال الجُنَيْدُ : «الزُّهْدُ خُلُوُّ الْأَيْدِي مِنَ الْأَمْوَالِكِ وَالْقُلُوبِ مِنَ التَّتَبُعِ» .
 قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومُثِّلَ عن الزهد: ما كان؟ فقال: «هُوَ
 أَنْ لَا تُبَالِيَ مَنْ أَكَلَ الدُّنْيَا مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ» .
 قال يَحْيَى^(٣) : «الزُّهْدُ تَرْكُ الْيَدِ» .
 قال مسروق^(٤) : «الزَّاهِدُ الَّذِي لَا يَمْلِكُهُ مَعَ اللَّهِ سَبَبٌ» .
 سئل الشُّبَلِيُّ عن الزاهد فقال : «وَيْلُكُمْ أَيُّ مِقْدَارٍ لِأَقَلِّ مِنْ جَنَاحٍ بَعُوضَةٍ حَتَّى
 يَزْهَدَ فِيهَا؟» .

(١) قوله «توبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم» لعله يريد بالنسبة من نبي إلى نبي آخر أعلى مرتبة منه . وإلا فإن أحداً من غير الأنبياء لم يبلغ ما بلغه أي من الأنبياء .

(٢) يعني أن يتجه إلى الله تعالى بالطاعة بعد أن كان معرضاً عنه .

(٣) يحيى بن معاذ الرازي أبو زكريا . انظر ترجمته صفحة ٢٩ حاشية ٥ .

(٤) سُرق وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقاً؛ وأسلم أبوه الأجدع . ولقي مسروقاً عمر بن الخطاب فقال له : ما اسمك؟ فقال : مسروق بن الأجدع، فقال : الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن . فثبت ذلك عليه . أسند مسروق عن عمرو بن عثمان بن سعيد بن زيد بن ثابت والمغيرة وعبد الله بن عمرو وعائشة، ولم يسند عن عثمان شيئاً ولكنه قد رآه ورأى أبا بكر أيضاً . وكان علي بن المديني يقول : لا أقدم على مسروق أحداً من أصحاب ابن مسعود . مات مسروق بالكوفة في سنة ثلاث وستين . (انظر صفة الصقوة: ج ٢ ص ١٦، وانظر أيضاً حلية الأولياء: ج ٢ ص ٩٥ - ٩٨) .

قال أبو بكر الواسطي: «كَمْ تَصُولُ^(١) بِتَرْكِ كَيْفِ^(٢) وَإِلَى مَتَى تَصُولُ بِإِعْرَاضِكَ عَمَّا لَا يَزُنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ!»،

وسئل الشبلي عن الزهد، فقال: «لَا زُهْدٌ فِي الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَزْهَدَ فِيمَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِزُهْدٍ، أَوْ يَزْهَدَ فِيمَا هُوَ لَهُ، فَكَيْفَ يَزْهَدُ فِيهِ وَهُوَ مَعَهُ وَعِنْدَهُ! فَلَيْسَ إِلَّا ظَلْفُ النَّفْسِ^(٣) وَبَدَلُ وَمَوَاسَاةٍ».

كانه جعل الزهد ترك الشيء فيما ليس له وما ليس له لا يصح له تركه لأنه متروك وما هو له لا يمكنه تركه^(٤).

الباب السابع والثلاثون

قَوْلُهُمْ فِي الصَّبْرِ

قال سهل: «الصَّبْرُ أَنْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»، قال: «وَهُوَ أَفْضَلُ الْخِدْمَةِ وَأَعْلَاهَا».

وقال غيره: «الصَّبْرُ أَنْ تَصْبِرَ فِي الصَّبْرِ»^(٥). معناه أن لا تطالع فيه الفرج. قال بعضهم:

صَابِرَ الصَّبْرِ فَاسْتَعَاثَ بِهِ الصَّبْرُ رُفْنَادَى الصَّبُورِ يَا صَبْرُ صَبْرًا

قال سهل في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] أي اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَأَصْبِرُوا عَلَى أَدَبِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

(١) تصول: تسلطو وتتطاول. والصؤول من الرجال: الذي يضرب الناس ويتطاول عليهم، (انظر اللسان: مادة صول).

(٢) الكيف: السر.

(٣) ظَلْفُ النَّفْسِ: منعها عن هواها وشهواتها. ويقال: ظَلَفْتُ نَفْسِي عَنْ كَذَا، بِالْكَسْرِ، تَظْلَفُ ظَلْفًا أَي كَفَمْتُ. وفي حديث علي كرم الله وجهه: «ظَلَفْتُ الزُّهْدَ شَهْوَاتِهِ» أي كَفَمْتُهَا وَمَنَعْتُهَا (لسان العرب: مادة ظلف).

(٤) عبارة الشبلي أكثر وضوحاً وارتباطاً.

(٥) معناه أن تتخطى الصبر من الحال المتغير إلى المقام الثابت فتدوم فيه بحيث لا تنتظر منه تحولاً. وهو معنى قول المصنف ومعناه أن لا تطالع فيه الفرج.

قال سهل: «الصَّبْرُ مُقَدَّسٌ تَقَدَّسُ بِهِ الْأَشْيَاءُ».

قال أبو عمرو الدمشقي^(١) في قوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] أي مَسَّنِيَ الضُّرُّ فَضَبَّرَنِي، لِأَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^(٢).

وقال غيره: مَسَّنِيَ الضُّرُّ الَّذِي تَخَصَّصَ بِهِ أَنْبِيَاءُكَ وَأَوْلِيَاءُكَ بِلَا اسْتِحْقَاقٍ مِنِّي، لَكِنْ لِأَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وقال بعضهم: إِنَّمَا جَزَعٌ مِنْ أَجْلِهِ^(٣) لَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنْ الْأَبْلَمَ اسْتَوَلَى عَلَى بَدَنِهِ، فَخَافَ زَوَالَ عَقْلِهِ؛ أَنْشَدُونَا لِأَبِي الْقَاسِمِ سَمْنُونَ^(٤):

تَجَرَّعْتُ مِنْ حَالِيهِ نَعْمَى وَأَبُوسَا زَمَانٌ إِذَا أَمْضَى عَزَالِيهِ اِحْتَسَى
فَكَمْ غَمْرَةً قَدْ جَرَّعْتَنِي كُؤُوسَهَا فَجَرَّعْتَهَا مِنْ بَحْرِ ضَبْرِي أَكُؤُوسَا
تَدَرَّعْتُ ضَبْرِي وَالتَّحَفْتُ صُرُوفَهُ وَقَلْتُ لِنَفْسِي الصَّبْرُ أَوْ فَاهْلِكِي أَمْسَى
خُطُوبٌ لَوْ أَنَّ الشُّمَّ زَاخَمَنَ خَطْبَهَا لَسَاخَتْ وَلَمْ تُدْرِكْ لَهَا الْكَفَّ مَلَمَسَا

(١) كان علماء الشام كلهم يدعون إليه لا سيما في علوم الحقائق. صحب أبا عبد الله محمد بن الجلاء وأصحاب ذي النون. وله كتاب في الرد على من قال بظلم الأرواح. مات سنة ٣٢٠. ومن كلامه: إن الله تعالى افترض على الأولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتن بها الخلق، وأوجب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إظهارها بياناً وبرهاناً بالحق. وكان يقول: التصوف غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزّه عن كل نقص. وكان يقول: مقام الخطرات بعيد عن مقام الوطنيات؛ لأن الخواطر تلتمع ثم تحفى والوطنيات تبدو ثم تثبت والدعاوى تتولد من الخواطر، وذلك لأن المدعي يظن أن ما لاح ثبت، ولا دعوى لصاحب الوطنيات بحال. (انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٠١).

(٢) رأى إصابته بالضّرر رحمة من رب العالمين لأنها كانت أدعى له إلى الصبر.

(٣) مرجع الضمير هنا لا يبدو واضحاً.

(٤) سمنون بن حمزة، قال ابن الجوزي في صفة الصفوة: يكنى أبا القاسم. وقال الشعراني في الطبقات: أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: أبو الحسن، وقيل أبو بكر...

سمى نفسه سمنون الكذاب، وكان سبب ذلك أبياته التي قال فيها.

فليس لي في سواك حظٌ فكيف ما شئت فاستحني
فحصر بولّه من ساعته، فسمى نفسه سمنون الكذاب.

أصله من البصرة ولكنه سكن بغداد. وصحب سرياً السقطي وأبا أحمد القلاسي ومحمد بن علي القصاب في آخرين. توفي بعد الجبجد. (حلية الأولياء: ٣٠٩/١٠ - ٣١٢، وصفة الصفوة: ٢٧٦/٢ -

٢٧٧ وطبقات الشعراني: ٨٩/١)

الباب الثامن والثلاثون

قَوْلُهُمْ فِي الْفَقْرِ

قال أبو محمد الجريري: «الْفَقْرُ أَنْ لَا تَطْلُبَ الْمَعْدُومَ حَتَّى تَفْقِدَ الْمَوْجُودَ»،
معناه: أن لا تطلب الأرزاق إلا عند خوف العجز عن القيام بالفرض.
قال ابن الجلاء^(١): الْفَقْرُ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ لَا يَكُونُ لَكَ؛ عَلَى
معنى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].
قال أبو محمد رُوَيْم بن محمد: «الْفَقْرُ عَدَمُ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَتَرْكُ كُلِّ مَفْقُودٍ».
وقال الكِنَانِيُّ^(٢): «إِذَا صَحَّ الْاِقْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ صَحَّ الْغِنَى بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهَا حَالَانِ لَا
يَتِمُّ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ».
قال النُّورِيُّ: «نَعْتُ الْفَقِيرَ^(٣) السُّكُونُ عِنْدَ الْعَدَمِ وَالْبِذْلُ وَالِإِيثَارُ عِنْدَ الْوُجُودِ».
وقال بعض الكبراء: الْفَقِيرُ هُوَ الْمَحْرُومُ مِنَ الْإِرْفَاقِ وَالْمَحْرُومُ مِنَ السُّؤَالِ،
لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»^(٤)، فدل أنه لا يقسم.
قال الدراج: فتشت كَنَفَ^(٥) أستاذي أريد مكحلة، فوجدت فيه قطعة فضة،

(١) أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء؛ كذا ذكره في صفة الصفوة، وفي طبقات الشعرايين: محمد بن يحيى
ابن الجلاء، قال: ويقال أحمد وهو الأصح. من أهل بغداد، لكنه انتقل فسكن الشام. كان يقول: من بلغ
بنفسه إلى رتبة سقط عنها ومن بلغ به ثبت عليها. وكان إذا سئل عن المجبة قال: مالي وللمجبة أنا أريد أن
أتعلم التوبة. توفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٣٠٦. (صفة الصفوة: ج ٢ ص ٢٨،
وطبقات الشعرايين: ج ١ ص ٨٧).

(٢) أبو بكر الكِنَانِيُّ الدينوري. انظر ترجمته ص ٢٦ حاشية ٦.

(٣) يعني صفته وحاله.

(٤) من حديث أنس بن مالك، أخرجه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد. ولفظه كما في صحيح مسلم
(كتاب القسامة، حديث رقم ٢٤): أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنساناً، فاختصموا إلى النبي ﷺ،
فقال رسول الله ﷺ: «القصاص القصاص» فقالت أم الربيع: يا رسول الله أيقص من فلانة؟ والله لا
يقص منها! فقال النبي ﷺ: «سبحان الله يا أم الربيع! القصاص كتاب الله» قالت: لا والله لا يقص
منها أبداً! قال: فما زالت حتى قبلوا الدية، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله
لأبره».

(٥) الكنف: الجانب والناحية.

فتحيرت ، فلما جاء قلت إني وجدت في كنفك قطعة .

قال : قد رأيتهما؟ رُدّها! ثم قال : خذها واشتر بها شيئاً .

فقلت له : ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك؟

قال . ما رزقني الله من الدنيا صفراء ولا بيضاء غيرها ، فأردت أن أوصي أن تُشَدَّ في كفني ، فأرُدّها إلى الله عز وجل .

سمعت أبا القاسم البغدادي^(١) يقول :، سمعت الدُّورِي يقول : كنا ليلة العيد مع أبي الحسن النُّوري في مسجد الشونيزي ، فدخل علينا إنسان ، فقال للنوري : أيها الشيخ ، عدا العيد ، ماذا أنت لابسه؟ فأشأ يقول :

قَالُوا غَدًا^(٢) الْعَيْدُ مَاذَا أَنْتَ لِإِسْئِهِ فَقُلْتُ خِلْعَةً سَاقٍ عَبْدَهُ جُرْعَا
فَقَرُّ وَصَرُّ هُمَا نَوْبَايَ تَحْتَهُمَا قَلْبٌ يَسْرَى رَبَّهُ الْأَعْيَادَ وَالْجُمْعَا
أَحْرَى الْمَلَائِسِ أَنْ تَلْقَى الْحَبِيبَ بِهَا يَوْمَ التَّزَاوُرِ فِي التُّوبِ الَّذِي خَلَعَا
الدَّهْرُ لِي مَا تَمُّمٌ إِنْ غَبَّتْ يَا أَمْلِي وَالْعَيْدُ مَا دُمْتُ لِي مَرَأَى وَمُسْتَمْعَا

سئل بعض الكبراء : ما الذي منع الأغنياء عن العود بفضول ما عندهم على هذه الطائفة؟

فقال : ثلاثة أشياء ، أحدها أن الذي في أيديهم غير طيب ، وهؤلاء خالصة الله ؛ وما اصطنع إلى أهل الله فمقبول ، ولا يقبل الله تعالى إلا الطيب . والثاني : أنهم مستحقون فيحرم الآخرون بركة العود عليهم والثواب فيهم . والثالث : أنهم مُرَادُونَ بالبلاء فيمنعهم الحق عن العود عليهم لِيَتَمَّ مراده فيهم .

سمعت فارساً يقول : قلت لبعض الفقراء مرة - ورأيت عليه أثر الجوع والضر - : لِمَ لَا تَسْأَلُ النَّاسَ فَيُطْعِمُوكَ؟

قال : أخاف أن أسألهم فيمنعوني . فلا يُقْلِحُوا ، وقد بَلَّغَنِي عن النبي ﷺ أنه قال :

(١) أبو القاسم البغدادي بكر بن شاذان . انظر ترجمته ص ٩٣ حاشية ٢ .

(٢) الوزن غير مستقيم ، ولعل الأصوب أن يقال «الغد» .

«لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ مَنَعَهُ»^(١).

الباب التاسع والثلاثون

قَوْلُهُمْ فِي التَّوَاضُعِ^(٢)

سئل الجُنَيْدُ عن التَّوَاضُعِ، فقال: «هُوَ حَقْفُصُ الْجَنَاحِ، وَكَثْرُ الْجَانِبِ^(٣)».

قال رُوَيْمٌ^(٤): «التَّوَاضُعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَامِ الْغُيُوبِ».

قال سهل: «كَمَالُ ذِكْرِ اللَّهِ الْمُشَاهَدَةُ، وَكَمَالُ التَّوَاضُعِ الرِّضَا بِهِ».

وقال غيره: «التَّوَاضُعُ قَبُولُ الْحَقِّ مِنَ الْحَقِّ لِلْحَقِّ».

وقال آخر: «التَّوَاضُعُ الْاِفْتِخَارُ بِالْقِلَّةِ، وَالِاعْتِنَاقُ لِلذَّلَّةِ، وَتَحَمُّلُ أَثْقَالِ أَهْلِ

الْمِلَّةِ».

(١) أخرجه بلفظ «لو صدق السائل ما أفلح من منعه» ابن عبد البر في التمهيد، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين، والعراقي في المعنى عن حمل الأسفار، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة وفي الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والمجلوني في كشف الخفاء، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة، والفتي في تذكرة الموضوعات، والمناوي في كنوز الحقائق.

(٢) نذكر فيما يلي أقوال بعض المتصوفة في التواضع. أما حده وحقيقته ونهايته فقد ذكره الإمام الغزالي في كتابه «روضة الطالبين» فقال: فأما حد التواضع فهو ضبط الأحوال الاختيارية عن التفريط والإفراط فلا تكبر ولا تتخاسر. وأما حقيقته فهو الذل والإذعان والانقياد للحق بسهولة، والحق يطلق على الله تعالى وعلى أمره. وأما نهايته فهو أن لا يحس بالذل إذا مدح ولا يتألم بالذم إذا ذم، لعلمه بحكمة الله سبحانه وتعالى وتوسده بالأفعال؛ لأن العبد لا يحس بالذل بين يدي سيده وهذه طريقة الموحدين، لأن المتواضع يرى لنفسه قدرأ فيضعه والموحد لا يرى لنفسه قدرأ حتى يضعه. فالمتواضع ضابط لأفعاله الاختيارية فلا يتكبر ولا يتخاسر، وإن جرى عليه ذل من غير اختياره، وطريقة الأولياء الرضا ووجدان اللذة لأنه جرى بقدر الله تعالى وعلمه وإرادته، فهو لا يحس بالذل لقصور نظره على حكم الله تعالى وجميل فعله، إنما يحس بالذل المتكبر الجاهل الغافل القاصر نظره على فعل الأفعال، وكلما كان أكثر ذلاً كان أكثر كبراً؛ وأما العلماء بالله تعالى فلا يشهدون لغير الله فعلاً ولا يتهمونه في حكم من الأحكام بل يعرفون أن ذلك علامة كراتهم. (روضة الطالبين وعمدة السالكين: ص ٩٩، ١٠٠ - ضمن رسائل الإمام الغزالي ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦).

(٣) في عوارف المعارف للسهروردي: ولين الجانب.

(٤) هورويم بن محمد أو أحمد. انظر ترجمته ص ٢٧ حاشية ٤.

الباب الأربعون

قَوْلُهُمْ فِي الْخَوْفِ (١)

قال أبو عمرو الدمشقي (٢): «الْخَائِفُ مَنْ يَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَمَا يَخَافُ مِنَ الْعَدُوِّ».

قال أحمد بن السيد حمدويه (٣): «الْخَائِفُ الَّذِي يَخَافُهُ الْمَخْلُوقَاتُ».

قال أبو عبد الله بن الجلاء (٤): «الْخَائِفُ الَّذِي تَأْمَنُهُ الْمَخْلُوقَاتُ».

قال ابن خبيق (٥): «الْخَائِفُ الَّذِي يَكُونُ بِحُكْمِ كُلِّ وَقْتٍ، فَوَقَّتْ تَخَافُهُ الْمَخْلُوقَاتُ، وَوَقَّتْ تَأْمَنُهُ؛ الَّذِي تَخَافُهُ الْمَخْلُوقَاتُ هُوَ الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ فَصَارَ خَوْفًا كُلَّهُ، فَيَخَافُهُ كُلُّ شَيْءٍ، كَمَا قِيلَ: مَنْ خَافَ اللَّهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ. وَالَّذِي أَمِنَهُ الْمَخَافَةُ هُوَ الَّذِي إِذَا طَرَقَتِ الْمَخَافَةُ أَذْكَارَهُ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ لَغَيْبَتِهَا عَنْهَا بِخَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ غَابَ عَنِ الْأَشْيَاءِ غَابَتِ الْأَشْيَاءُ عَنْهُ».

أَنشَدُونَا:

يُحْرَقُ بِالنَّارِ مَنْ يُجِسُّ بِهَا فَمَنْ هُوَ النَّارُ كَيْفَ يَحْتَرِقُ

(١) قال الإمام الغزالي في الإحياء (ج ٤ ص ١٦٣) في بيان حقيقة الخوف: اعلم إن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل. . . ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته شاهداً لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفتت إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإِنَّهُمَا زَمَانَانِ يَمْنَعَانِ النَّفْسَ عَنِ الْحُرُوجِ إِلَى رِعُونَاتِهَا؛ وَإِلَى هَذَا أُشَارَ الْوَاسِطِي حَيْثُ قَالَ: «الْخَوْفُ حِجَابٌ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْعَبْدِ»، وَقَالَ أَيْضاً: «إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى السَّرَائِرِ لَا يَبْقَى فِيهَا فَضْلَةٌ لِرَجَاءٍ وَلَا لَخَوْفٍ». وبالجملته فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصاً في الشهود؛ وإنما دوام الشهود غاية المقامات.

(٢) راجع ترجمته ص ١١١ حاشية ١.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) راجع ترجمته ص ١١٢ حاشية ١.

(٥) راجع ترجمته ص ٢٩ حاشية ٣.

قال رؤيم: «الخائف الذي لا يخاف غير الله» معناه: لا يخافه لنفسه، وإنما يخافه إجلالاً له، والخوف للنفس خوف العقوبة.

قال سهل: «الخوف ذكر، والرجاء أنثى» معناه: منهُمَا يَتَوَلَّدُ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ .

وقال: «إذا خاف العبد غير الله ورجا الله تعالى أمن الله خوفه، وهو منجوب»^(١).

الباب الحادي والربعون

قَوْلُهُمْ فِي التَّقْوَى

قال سهل: «التقوى مُشَاهِدَةُ الْأَحْوَالِ عَلَى قَدَمِ الْأَنْفِرَادِ» معناه: أن يتقي مما ميؤى الله سُكُونًا إِلَيْهِ وَاسْتِحْلَاءً^(٢) لَهُ .

وفي قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١] أي بجميع استطاعتكم. قال سهل: «مَا اسْتَطَعْتُمْ إِظْهَارَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ إِلَيْهِ».

قال محمد بن سنجان: «التَّقْوَى تَرَكُّ مَا دُونَ اللَّهِ».

قال سهل، في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] قال: «هُوَ التَّبَرِّي وَهُوَ الْإِخْلَاصُ» قال غيره: «أَصْلُ التَّقْوَى مُجَانِبَةُ النَّهْيِ^(٣) وَمُبَايَنَةُ النَّفْسِ، فَعَلَى قَدْرِ مَا فَاقَهُمْ مِنْ حُطُوظِ أَنْفُسِهِمْ أَذْرَكُوا الْيَقِينَ». أنشدونا للنوري:

إِنِّي اتَّقَيْتُكَ لَا مَهَا بَتَّةً مِنْ مُحَاذَرَةِ السَّمِصِيرِ
إِنِّي وَكَيْفَ وَأَنْتَ لِي إِلْفُ يَفُوقُ مَدَى السَّمِيرِ
نُوفِي السَّرَائِرَ بِيَرِّهَا وَتَحُوظُ مَكْنُونِ الضُّمِيرِ
لَكِنْ أَجْلُكَ أَنْ أَجِدَ لِي سِوَاكَ لِلخَطْرِ السَّحِيرِ

(١) أمن الله تعالى خوفه ثواباً على رحائه . وحببه عقاباً على خوفه غير الله .

(٢) كذا في الأصل بالحاء المهملة، ولعل الصواب «استجلاء» بالجيم

(٣) النهي: العسل، يكون واحداً وجمعاً؛ وهي الشريل العريز . بل في ذلك لآيات لأولي النهي

الباب الثاني والأربعون

قولهم في الإخلاص

قال الجُنَيْدُ: «الإِخْلَاصُ مَا أُريدُ بِهِ اللَّهُ مِنْ أَيِّ عَمَلٍ كَانَ».

قال رُوَيْمٌ: «الإِخْلَاصُ أَرْتِفَاعُ رُؤْيَتِكَ مِنَ الْفِعْلِ».

سمعت فارساً يقول: قدم على أبي بكر القحطبي قوم من الفقراء من أهل خراسان، فقال لهم أبو بكر: بم يأمركم شيخكم؟ يعني أبا عثمان. فقالوا: يأمرنا بكثرة الطاعة مع التزام رؤية التقصير فيها. فقال: ويحه ألا يأمركم بالغيبة عنها برؤية مبيدها؟

قيل لأبي العباس بن عطاء^(١): ما الخالص من الأعمال؟ قال: ما خلص من

الآفات.

قال أبو يعقوب السُّوسِي: «الْخَالِصُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَمْ يَعْلَمْ بِهِ مَلَكٌ فَيَكْتَبَهُ، وَلَا عَدُوٌّ فَيُفْسِدَهُ، وَلَا النَّفْسُ فَتَعْجَبَ بِهِ».

معناه انقطاع العبد إلى الله جل وعز، والرجوع إليه من فعله. والله الموفق.

الباب الثالث والأربعون

قولهم في الشُّكْرِ

قال الحارث المحاسبي: «الشُّكْرُ زِيَادَةُ اللَّهِ لِلشَّاكِرِينَ».

معناه: إذا شكر زاده الله توفيقاً فزاد شكراً.

قال أبو سعيد الخزاز^(٢): «الشُّكْرُ الاعْتِرَافُ لِلْمُنْعِمِ وَالِاقْتِرَارُ بِالرُّبُوبِيَّةِ».

قال أبو علي الروذباري^(٤):

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء. مرت ترجمته ص ٢٧ حاشية ٤.

(٢) ذكره سابقاً باسم أبي يعقوب يوسف بن حمدان السوسي. ولم أجد ترجمته له.

(٣) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز. مرت ترجمته ص ٢٧ حاشية ٣.

(٤) انظر ترجمته ص ١٨ حاشية ٤.

لَوْ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنِّي لَهَا نُفَةٌ تُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا أُوتَيْتَ مِنْ حَمَنِ
لَكَانَ مَا زَادَ شُكْرِي إِذْ شُكِرْتُ بِهِ إِلَيْكَ أَزِيدُ فِي الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ
قال بعض الكبراء: «الشُّكْرُ هُوَ الْغَيْبَةُ عَنِ الشُّكْرِ بِرُؤْيَةِ الْمُنْعَمِ»^(١).

قال يحيى بن معاذ: «لَسْتُ بِشَاكِرٍ مَا دُمْتُ تَشْكُرُ، وَغَايَةُ الشُّكْرِ التَّحْيِيرُ». وذلك
أن الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها، وهذا لا يتناهى.

أنشدونا لابي الحسن النوري:

سَأَشْكُرُ لَا أَنِّي لَا أَجَازِيكَ مُنْعِمًا بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يُقَالَ لَهُ الشُّكْرُ
وَأَذْكُرُ أَيَّامِي لَدَيْكَ وَحُسْنَهَا وَآخِرُ مَا يَبْقَى عَلَى الشَّاكِرِ الذُّكْرُ

كان بعض الكبراء يقول في مناجاته: «اللهم إنك تعلم عجزى عن مواضع
شُكْرِكَ، فَاشْكُرْ نَفْسَكَ عَنِّي».

الباب الرابع والأربعون

قَوْلُهُمْ فِي التَّوَكُّلِ^(٢)

قال سريُّ السَّقَطِيُّ: «التَّوَكُّلُ الْإِنْخِلَاعُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ».

وقال ابن مسروق^(٣): «التَّوَكُّلُ الْإِسْتِسْلَامُ لِحَرَيَانَ الْقَضَاءِ فِي الْأَحْكَامِ».

(١) كأنه يريد أن أقصى درجات النعم التي تستحق الشكر هي رؤية المنعم.

(٢) قال في الإحياء (ج ٤ ص ٢٧٦): التوكل مشتق من الوكالة، يقال: وكَّل امره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكول إليه وكيلاً، ويسمى المفوض إليه متكللاً عليه ومتوكلاً عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزاً وقصوراً؛ فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الركيل وحده.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق. قال الشعراي في الطبقات: من أفضل أهل طوس وسكن بغداد ومات بها سنة ٢٩٩. صاحب الحارث المحاسبي والسري وغيرهما وكان من كبار مشايخ القوم وعلمائهم. (انظر طبقات الشعراي ج ١ ص ٩٣. وانظر أيضاً صفة الصفوة لابن الجوزي: ج ٤ ص ١١٥، وذكر فيه سنة وفاته ٢٩٨).

قال سهل: «التَّوَكُّلُ الاسْتِئْزَالُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى».

قال أبو عبد الله القرشي^(١): «التَّوَكُّلُ تَرْكُ الْإِيوَاءِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ»^(٢).

قال أبو أيوب^(٣): «التَّوَكُّلُ طَرْحُ الْبَدَنِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالطَّمَأِنَةِ إِلَى الْكِفَايَةِ».

قال الجنيد: «حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا لَمْ يَكُنْ، فَيَكُونَ اللَّهُ لَهُ كَمَا لَمْ يَزَلْ».

قال أبو سعيد الخزاز: «قَامَتِ الْكِفَايَاتُ مِنَ السَّيِّدِ لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، فَاسْتَعْنَوْا عَنْ مَقَامَاتِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ لِيَكْفِيَهُمْ، فَمَا أَقْبَحَ التَّقَاضِي بِأَهْلِ الصَّفَاءِ». جَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ لِأَهْلِ الْكِفَايَةِ تَقَاضِي الْقِيَامِ بِالْكِفَايَةِ.

كما قال الشبلي: «التَّوَكُّلُ كُذْبَةٌ^(٤) حَسَنَةٌ».

السهل: «كُلُّ الْمَقَامَاتِ لَهَا وَجْهٌ وَقَفَا غَيْرُ التَّوَكُّلِ، فَإِنَّهُ وَجْهٌ بِلَا قَفَا». يريد توكل العناية لا توكل الكفاية، وهو أن لا يطالبه بالأعواض.

وقال بعضهم: «التَّوَكُّلُ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ».

(١) ذكره صفحة ٢٨ باسم أبو عبد الله هينكل القرشي. ولم أحد ترجمة له.

(٢) فلا عاصم من الله إلا الله. قال تعالى في سورة هود الآية ٤٣: ﴿قَالَ سَأُوذِي إِلَى جِلِّ يَعْقُوبَ مِنَ الْمَاءِ﴾ وقال في نفس السورة الآية ٨٠: ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَدِي قُوَّةٌ أَوْ أَوْيٌّ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. ونقل الغزالي في الإحياء (ج ٤ ص ٢٨١) عن أبي عبد الله القرشي سئل عن التوكل فقال: التعلق بالله تعالى في كل حال. فقال السائل: زدني! فقال: ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك.

(٣) قال في حلية الأولياء (ج ١٠ ص ١٣٧): أبو أيوب مولى بني هاشم. صحب الحكماء من العباد وأخذ عنهم عدة المنقلب والمعاد. كان يقول: احذر إيثار الدعة والميل إلى الهويش، واعلم أن النصب نسيان: أحدهما التمسك المؤلم، وإن أنزلت نفسك منازل الحفض والدعة، وقد أجمع علماء الدنيا وعمال المعاد على بذل النصب في الدعة، فلا تشدن عن الفريقين، واعلم أن أولى الفريقين بك أن تكون به مقتدياً بأعمال المعاد.

(٤) قال في اللسان (مادة كذا): كَذَى الرجل يَكْذِي وَأَكْذَى. نل عطاءه، وقيل: بخل. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قيل: أي وقطع القليل. قال الفراء: أكدي أمك من العطيبة وقطع، وقال الزجاج: معنى أكدي قطع، وأصله من الحفر في البثر.

معناه، كما قال بعض الكبراء: «حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ تَرْكُ التَّوَكُّلِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللهُ لَهُمْ حَيْثُ كَانَ لَهُمْ إِذْ لَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ».

قال بعض الكبار لإبراهيم الخواص^(١): «إِلَى مَاذَا أَدَى بِكَ التَّصَوُّفُ؟
فَقَالَ: إِلَى التَّوَكُّلِ».

فَقَالَ: وَيَحْكُ بَعْدَ أَنْ تَسْعَى فِي عُمَرَانِ بَطْنِكَ! ».

معناه: إن توكلت عليه لأجل نفسك احترازاً من مكروه يصيها.

الباب الخامس والأربعون

قَوْلُهُمْ فِي الرِّضَا

قال الجنيد: «الرِّضَا تَرْكُ الْاِخْتِيَارِ»^(٢).

قال الحارث المحاسبي: «الرِّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ جَرَيَانِ الْحُكْمِ».

قال ذو النون: «الرِّضَا سُرُورُ الْقَلْبِ بِمَرِّ الْقَضَاءِ».

قال رؤيم: «الرِّضَا اسْتِقْبَالُ الْأَحْكَامِ»^(٣) بِالْفَرَحِ».

قال ابن عطاء: «الرِّضَا نَظَرُ الْقَلْبِ إِلَى قَدِيمِ اخْتِيَارِ اللهِ لِلْعَبْدِ، فَإِنَّهُ اخْتَارَ لَهُ الْأَفْضَلَ».

وقال سفيان عند رابعة: اللهم اَرْضْ عَنِّي! فقالت له: أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه براض^(٤)؟!

قال سهل: «إِذَا اتَّصَلَ الرِّضَا بِالرِّضْوَانِ اتَّصَلَتِ الطَّمَانِينَةُ، فَطَوَّبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ».

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص. مرت ترجمته ص ٢٨ حاشية ٥.

(٢) بالخضوع للمشيئة الإلهية خضوعاً تاماً.

(٣) يعني قضاء الله تعالى فيه.

(٤) تريد أن طلب الرضا من الله تعالى يستلزم الخضوع التام لقضائه فيه.

يريد قوله عز وجل: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فمعناه: الرضا في الدنيا تحت مجاري الأحكام يورث الرضوان في الآخرة بما جرت به الأقلام.

قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيََ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، فهو قول القريرين من أهل الجنة والنار من الموحدين من أهلها، فإن المشركين لا يؤذن لهم في الحمد، لأنهم محجوبون.

أنشدونا للنوري:

إِنَّ الرِّضَا لِمِرَارَاتٍ تَجَرَّعُهَا عَنِ الْقُنُوعِ إِذَا مَا اسْتَعْدَبَ الْكَدْرُ
عَوَاقِبَ أَشْهَادَاتٍ بَعْضَ الحُضُورِ فَمَا يَرَعَى التَّكْثُرَ إِلَّا نَاقَةَ نَزْرُ

الباب السادس والأربعون

قَوْلُهُمْ فِي اليَقِينِ

قال الجنيد: «اليَقِينُ ارْتِفَاعُ الشَّكِّ».

قال النوري: «اليَقِينُ هُوَ الْمُشَاهَدَةُ».

قال ابن عطاء: «اليَقِينُ مَا زَالَتْ عَنْهُ الْمُعَارَضَةُ عَلَى دَوَامِ الْوَقْتِ».

قال ذو النون: «كُلُّ مَا رَأَيْتُهُ الْعُيُونُ نُسِبَ إِلَى الْعِلْمِ، وَمَا عَلِمْتُهُ الْقُلُوبُ نُسِبَ إِلَى اليَقِينِ».

وقال غيره: «اليَقِينُ عَيْنُ الْقَلْبِ»^(١).

قال عبد الله: «اليَقِينُ اتِّصَالُ الْبَيْنِ وَانْفِصَالُ مَا بَيْنَ الْبَيْنِ».

معناه قول حارثة: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً، اتَّصَلَتْ رُؤْيَتُهُ بِالْغَيْبِ، وَارْتَفَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَيْبِ مِنَ الْحُجُبِ».

(١) العين الحارثة قد تخطى،، وعين القلب لا ترى إلا الحقائق.

قال سهل: «الْيَقِينُ الْمَكَاشِفَةُ»، كما قال: «لَوْ كَثِفَ الْغَطَاءُ مَا أُرْدَدْتُ يَقِيناً»^(١). وبالله التوفيق.

الباب السابع والأربعون قَوْلُهُمْ فِي الذِّكْرِ

حقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرْتُمْ بَلَّغُوا مَا كُمِّبْتُ﴾ [الكهف: ٢٤].

يعني إذا نسيت ما دون الله فقد ذكرت الله.

وقال النبي ﷺ: «سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ» قيل: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذَّاكِرُونَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٢)، والمفرد الذي ليس معه غيره.

وقال بعض الكبار: «الذِّكْرُ طَرْدُ الْعَقْلَةِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتِ الْعَقْلَةُ فَانْتِ ذَاكِرٌ وَإِنْ سَكَتَتْ».

وأنشدونا للجنيد:

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسَيْتُكَ لَمَحَّةً وَأَيَّرُ مَا فِي السِّدِّكَرِ ذِكْرُ لِسَانِي
سمعت أبا القاسم البغدادي^(٣) يقول: سألت بعض الكبار، فقلت: ما بَالُ
نُفُوسِ الْعَارِفِينَ تَتَبَرَّمُ بِالْأَذْكَارِ، وَتَسْتَرَوِّحُ إِلَى الْأَفْكَارِ، وَلَيْسَ يُفْضِي الْفِكْرُ إِلَى مَقَرٍّ،
وَالْأَذْكَارِهَا أَعْوَاضُ تُسْرٍّ؟ فقال: اسْتَصْغَرْتُ ثَمَرَاتِ الْأَذْكَارِ فَلَمْ تَحْمِلْهَا عَنْ مَكَابِدَتِهَا،
وَبَهَرَهَا شَرْفُ مَا وَرَاءَ الْأَفْكَارِ فَعَيَّبَهَا عَنْ أَلْمِ مُجَاهِدَاتِهَا.

(١) وهذا أقصى درجات اليقين؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

(٢) من حديث أبي هريرة، رواه الترمذي في الجامع الصحيح (كتاب الدعوات، باب ١٢٩، حديث رقم ٣٥٩٦) بلفظ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أنفالهم فيأتون يوم القيامة أخفافاً». ورواه الحاكم في المستدرک (ج ١ ص ٤٩٥) وفيه: «الذين يهترون في ذكر الله».

(٣) هو بكر بن شاذان، وقد مرت ترجمته ص ٩٣ حاشية ٢.

معنى قوله: «استصغرت ثمرات الأذكار»، لأنها كلها حظوظ النفس والعارفون قد أعرضوا عن النفوس وحظوظها؛ وأما أفكارهم فإنها تكون في جلال الله وهيبته ومنته وإحسانه، فهي تفكر فيما تعالى عليها إجلالاً له وتعرض عما لها عند الله حرمة له، في قوله عليه السلام خيراً عن الله عز وجل: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ»^(١).

معناه: من شغله مشاهدة عظمتي عن ذكر لسانه؛ لأن ذكر اللسان كله مسألة.

وأخرى: أن مشاهدة العظمة تحيره فتقطعه عن الذكر له، كما قال النبي ﷺ: «لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ»^(٢).

أنشدونا للنوري:

أُرِيدُ ذَوَامَ الذِّكْرِ مِنْ فَرَطِ حُبِّهِ فَمَا عَجَباً مِنْ غَيْبَةِ الذِّكْرِ فِي الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ غَيْبَةُ الْوَجْدِ تَارَةً وَغَيْبَةُ عَيْنِ الذِّكْرِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ

قال الجنيد: «مَنْ قَالَ اللَّهُ عَنْ غَيْرِ مُشَاهِدَةٍ فَهُوَ مُفْتَرٍ». يدل على صحة قوله قول الله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

أكذبهم الله وإن كانت الكلمة صدقاً، لأنها لم تكن عن مشاهدة.

وقال غيره: «الْقَلْبُ لِلْمُشَاهَدَةِ، وَاللِّسَانُ لِلعِبَارَةِ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ، فَمَنْ عَبَّرَ عَنْ غَيْرِ مُشَاهَدَةٍ فَهُوَ شَاهِدٌ زُورٍ».

أنشدونا لبعض الكبار:

(١) رواه الترمذي في ثواب القرآن باب ٢٥، والدارمي في فضائل القرآن باب ٦. وفيهما: «من شغله القرآن وذكرى...».

(٢) رواه مسلم في الصلاة حديث ٢٢٢، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٨ والوتر باب ٥، والسنائي في قيام الليل باب ٥١، والترمذي في الدعوات باب ٧٥ و١١٢، وابن ماجه في الدعاء باب ٣ والإقامة باب ١١٧، ومالك في الموطأ باب من القرآن حديث ٣١، وأحمد في المسند (ج ١ ص ٩٦، ١١٨، ١٥٠، و٥٨/٦).

أَنْتَ الْمُؤَلَّهَ لِي لَا الذُّكْرُ وَلَهْنِي حَاشَا لِقَلْبِي أَنْ يَعلُقَ بِهِ ذِكْرِي
الذُّكْرُ وَاسِطَةٌ يَحْجُبُكَ عَن نَظْرِي إِذَا تَوَشَّعَهُ مِنْ خَاطِرِي فِكْرِي

معناه : الذكر صفة الذاكر، فإن غبت في ذكري كانت غيبتني في، وإنما يحجب العبد عن مشاهدة مولاه أوصافه .

قال سري السقطي : صحبتُ زنجياً في البرية، فرأيتَه كلما ذكر الله تغير لونه وابتَضَّ، فقلت : يا هذا أرى عجباً، إنك كلما ذكرت الله حَالتَ لِيَسْتَكُ (١) وتغيرت صِفَتُكَ ! فقال : يا أخي أما إنك لو ذكرت الله حق ذكره لحالتَ لِيَسْتَكُ وتغيرت صِفَتُكَ . ثم أنشأ يقول :

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا لِنَنْسَى فَتَذَكَّرُ وَلَكِنْ نَسِيمُ القُرْبِ يَبْدُو فَيَهْرُ
فَأَفَنِي بِهِ عَنِّي وَأَبْقَى بِهِ لَهُ إِذِ الحَقُّ عَنْهُ مُخْبِرٌ وَمُعَبِّرُ
أنشدونا لابن عطاء :

أَرَى الذُّكْرَ أَصْنَافاً مِنَ الذُّكْرِ حَشُوها وَدَادَ وَشَوْقَ يَبْعَثَانِ عَلَى الذُّكْرِ
فَذِكْرُ أَلِيفِ النَّفْسِ مُتَمَزِجٌ بِها يَحِلُّ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي طَرْفِها يَسْرِي
وَذِكْرُ يُعَمِّزِي النَّفْسَ عَنْها لِأَنَّهُ لها مُتَلَفٌ مِنْ حَيْثُ تَدْرِي وَلَا تَدْرِي
وَذِكْرٌ عَلامِي المَفَارِقِ وَالذُّرَى يَجِلُّ عَنِ الإِذْرَاكِ بِالسُّوهِمِ وَالْفِكْرِ
يَسْرَاهُ لِحَاطِطِ العَيْنِ بِالقَلْبِ رُؤْيَةً فَيَجْفُو عَلَيْهِ أَنْ يُشَاهِدَ بِالذُّكْرِ

صنف الذكر أصنافاً، فالأول : ذكر القلب، وهو أن يكون المذكور غير منسي فيذكر. والثاني : ذكر أوصاف المذكور. والثالث : شهود المذكور فيفنى عن الذكر، لأن أوصاف المذكور تفنيك عن أوصافك فتفنى عن الذكر.

(١) أَلْبَة (بكر اللام) : الهيئة والحالة . (انظر لسان العرب : مادة لبر).

الباب الثامن والأربعون

قَوْلُهُمْ فِي الْأُنْسِ

سئل الجُبَيْدُ عن الأُنْسِ ما هو؟ فقال: «الأُنْسُ ارْتِفَاعُ الْجِثْمَةِ مَعَ وُجُودِ الْهَيْبَةِ».

معنى ارتفاع الجثمة: أن يكون الرجاء أَغْلَبَ عليه من الخوف.

وسئل ذو النون عن الأُنْسِ، فقال: «هُوَ انْبِسَاطُ الْمُجِيبِ إِلَى الْمَحْبُوبِ».

معناه ما قال الخليل عليه السلام: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وما قال الكليم عليه السلام: ﴿أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾، وقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] شِبْهَ العذر، أي لا تطيق.

وسئل إبراهيم المارستاني^(١) عن الأُنْسِ، فقال: «هُوَ فَرَحُ الْقَلْبِ بِالْمَحْبُوبِ».

وسئل الشبلي عن الأُنْسِ، فقال: «هُوَ وَحْشَتُكَ مِنْهُ».

وقال ذو النون: «أَدْنَى مَقَامِ الْأُنْسِ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ فَلَا يُعِيهِ ذَلِكَ عَمَّنْ أُنْسَ

بِهِ».

وقال بعضهم: «الْأُنْسُ هُوَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ بِالْأَذْكَارِ فَيَغِيبَ عَن رُؤْيَةِ الْأَعْيَارِ».

أَشْدُونَا لِرُؤْيِمِ:

شَغَلَتْ قَلْبِي بِمَا لَدَيْكَ فَمَا	يَنْفُكُ طَوْلَ الْحَيَاةِ مِنْ فِكْرِي
أَنْتُنِي وَمِنْكَ بِالْوَدَادِ وَقَدْ	أَرْحَشْتَنِي مِنْ جَمِيعِ ذَا الْبَشْرِ
ذَكَرْتُكَ لِي مُؤْنِسٌ يُعَارِضُنِي	يُوعِدُنِي عَنْكَ مِنْكَ بِالظَّفْرِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتَ يَا مَدَى هَمِّي	فَأَنْتَ مِنِّي بِمَوْضِعِ النَّظْرِ

(١) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣١/١٠) قال: ومنهم المعلم المفهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارستاني، كان الجنيد له مؤاخياً وعليه حامياً وحانياً. . . . وروى عن إبراهيم المارستاني أنه قال: رأيت الخضر عليه السلام فعلمني عشر كلمات.. وأحصاها بيده.. : اللهم إني أسألك الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والتفاد في طاعتك، والمواظبة على إرادتك، والمبادرة في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

الباب التاسع والربعون

قَوْلُهُمْ فِي الْقُرْبِ

سئل سريّ السقطي عن القرب، فقال: «هو الطاعة».

وقال غيره: الْقُرْبُ أَنْ يَتَدَلَّلَ عَلَيْهِ وَيَتَدَلَّلَ لَهُ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

سئل رويم عن القرب فقال: «إِزَالَةُ كُلِّ مُعْتَرِضٍ».

وسئل غيره عن القرب فقال: «هُوَ أَنْ تُشَاهِدَ أَعْمَالَهُ بِكَ».

معناه أن ترى صنائعه ومنته عليك وتغيب فيها عن رؤية أفعالك ومجاهداتك.

وأخرى أن لا تراك فاعلاً، لقوله عز وجل للنبي ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهُ رَمَى﴾، وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧].

وأنشدونا للنوري:

أَرَانِي جَمْعِي فِي فَنَائِي تَقْرُباً وَهَيْهَاتَ إِلَّا مِنْكَ عَنكَ التَّقْرُبُ
فَمَا عَنكَ لِي صَبْرٌ وَلَا فِيكَ جِيلَةٌ وَلَا مِنْكَ لِي بُدٌّ وَلَا عَنكَ مَهْرَبُ
تَقْرَبَ قَوْمٌ بِالرَّجَا فَوَصَلَتْهُمْ فَمَا لِي بَعِيداً مِنْكَ وَالْكُلُّ يَعْطَبُ

معناه: أراني حالي أن جمعي بك وفنائي عما سواك تقرب إليك، والجمع

والفناء صفتان، ولا يكون القرب منك بصفتي بل بك يكون القرب إليك منك. ثم

قال^(١): تقرب إليك أقوام بأفعالهم وطاعاتهم، فوصلتهم تفضلاً منك، وليست لي

أفعال أتقرب بها إليك وأنا أهلك شوقاً إلى القرب منك، ولا سبيل لي من حيث أنا.

أنشدونا للنوري أيضاً:

يَا مَنْ أَشَاهِدُهُ عَنِّي فَأَحْسِبُهُ مِنِّي قَرِيباً وَقَدْ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ
إِذَا سِمْتُ نَفْسِي سَلْوَةً عَنهُ رَدَّنِي إِلَيْهِ شُهُودٌ لَيْسَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ

(١) تفسيراً للبيت الثالث. والبيت الثاني واضح المعنى.

معنى السلوة الإياس، يقول: كلما أيت من حيث أنا، ردني عن الإياس ما
منه من الفضل الذي بدا به .

وقال الشبلي: «قَدْ تَحَيَّرْتُ فِيكَ، خُذْ بِيَدِي يَا دَلِيلًا لِمَنْ تَحَيَّرَ فِيكَ» .

الباب الخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْإِتِّصَالِ (١)

معنى الاتصال: أن يفصل برّه عما سوى الله، فلا يرى برّه بمعنى التعظيم
غيره، ولا يسمع إلا منه .

قال النوري: «الْإِتِّصَالُ مُكَاشَفَاتُ الْقُلُوبِ» .

ومشاهدات الأسرار مكاشفات القلوب، كقول حارثة: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ
رَبِّي بَارِزاً» .

ومشاهدات الأسرار، كقوله عليه السلام: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» (٢) . وكقول ابن
عمر: «كُنَّا نَتَرَامَى اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ» .

وقال بعضهم: «الْإِتِّصَالُ وَضُوءُ السِّرِّ إِلَى مَقَامِ الدُّهُولِ» .

معناه: أن يشغله تعظيم الله عن تعظيم من سواه (٣) .

وقال بعض الكبار: «الْإِتِّصَالُ أَنْ لَا يَشْهَدَ الْعَبْدُ غَيْرَ خَالِقِهِ، وَلَا يَتَّصِلَ بِسِرِّهِ
خَاطِرٌ لغير صَانِعِهِ» .

(١) قال القاشاني في اصطلاحات الصوفية: «الاتصال هو ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدي نقطع
النظر عن تقييد وجوده بعينه وإحباط إضافته إليه، فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن إليه على
الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجوداً به .

(٢) رواه البخاري في الإيمان باب ٣٧، ومسلم في الإيمان حديث ١ و ٥ و ٧، والسنائي في الإيمان باب
٥ و ٦ .

(٣) وهذا قريب من معنى الفناء عند الصوفية، وقوله فيما يلي: «أن لا يشهد العبد غير حالته . . . الخ» يفيد
معنى ذلك أيضاً .

قال سهل : «حُرِّكُوا بِالْبَلَاءِ فَتَحَرَّكُوا، وَلَوْ سَكَنُوا اتَّصَلُوا»^(١).

الباب الحادي والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْمَحَبَّةِ

قال الجنيدي : «الْمَحَبَّةُ مَيْلُ الْقُلُوبِ». معناه : أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف .

وقال غيره : «الْمَحَبَّةُ هِيَ الْمُوَافَقَةُ» معناه : الطاعة له فيما أمر، والانتهاه عما زجر، والرضا بما حكم وقدّر^(٢).

قال محمد بن علي الكتاني^(٣) : «الْمَحَبَّةُ الْإِيثَارُ لِلْمَحْبُوبِ» .

قال غيره : «الْمَحَبَّةُ إِيثَارُ مَا تُحِبُّ لِمَنْ تُحِبُّ» .

قال أبو عبد الله النباجي^(٤) : «الْمَحَبَّةُ لَذَّةٌ فِي الْمَخْلُوقِ، وَاسْتِهْلَاكٌ فِي الْخَالِقِ» .

معنى الاستهلاك : أن لا يبقى لك حظ، ولا يكون لمحبتك علة، ولا تكون قائماً بعلة .

قال سهل : «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ فَهُوَ الْعَيْشُ، وَمَنْ أَحَبَّ فَلَا عَيْشَ لَهُ» .

معنى هو العيش أنه يطيب عيشه، لأن المحب يتلذذ بكل ما يَرِدُ عليه من المحبوب من مكروه أو محبوب . ومعنى لا عيش له لأنه يطلب الوصول إليه ويخاف الانقطاع دونه فيذهب عيشه .

وقال بعض الكبار : «الْمَحَبَّةُ لَذَّةٌ، وَالْحَقُّ لَا يُتَلَذَّذُ بِهِ، لِأَنَّ مَوَاضِعَ الْحَقِيقَةِ ذَهَشُ وَاسْتَيْفَاءٌ وَحَيْرَةٌ» .

(١) يريد أن الانشغال بالحالات الدنيوية يمنع الاتصال .

(٢) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ .

(٣) مرت ترجمته ص ٢٨ حاشية ٤ .

(٤) مرت ترجمته ص ٧٤ حاشية ١ .

فمحنة العبد لله تعظيم يحل الأسرار، فلا يستجيز تعظيم سواه، ومحنة الله للعبد: هو أن يُبليه^(١) به فلا يصلح لغيره.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَاضْطَّعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤٣].

ومعنى «لا يصلح لغيره» أن لا يكون فيه فضل لمراقبة الأغيار ومراعاة الأحوال.

قال بعضهم: «المحنة على وجهين: محنة الإقرار، وهو للخاص والعام، ومحنة الوجد من طريق الإصابة، فلا يكون فيه رؤية النفس والخلق، ولا رؤية الأسباب والأحوال، بل يكون مستغرقاً في رؤية ما لله وما منه».

أنشدونا لبعضهم^(٢):

أحبك حُبَّيْنِ حُبِّ الْهَوَى وَحُبّاً لَأَنَّكَ أَهْلٌ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشَغَلِي بِسِذْكَرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ^(٣)
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَلَسْتُ أَرَى الْكُؤُونَ حَتَّى أَرَكَ^(٤)

(١) من أبلى الثوب إذا أخلقه. والمراد بهماك العبد بالفكر بالله حتى الإنهاك.

(٢) الأبيات لرابعة العدوية. وقد ذكر أبو نعيم في الحلية قصة متعلقة بهذه الأبيات: فروى عن سعيد بن عثمان قال: كنت مع ذي النون في تيه بني إسرائيل، فبينما نحن نسير إذا بشخص قد أقبل فقلت: أستاذ شخص، فقال لي: انظر فإنه لا يضع قدمه في هذا المكان إلا صديق. فنظرت فإذا امرأة، فقلت: إنها امرأة، فقال: صديقة ورب الكعبة. فابتدر إليها وسلم عليها، فردت السلام ثم قالت: ما للرجل ومخاطبة النساء؟ فقال لها: إبي أخوك ذا النون ونست من أهل التهم، فقالت: مرحباً حيّك الله بالسلام. فقال لها: ما حملك على الدخول إلى هذا الموضع؟ فقالت: آية في كتاب الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَكَرَّرَ اللهُ وَاسِعَةً فَتَهَاجَرُوا فِيهَا﴾ فكلما دخلت إلى موضع يعص فيه لم يهتني القرار فيه بقلب قد أبهتته شدة محبته وهام بالشوق إلى رؤيته. فقال لها: صفي لي! فقالت: نعم، المحبة عددي لها أول وآخر، فأولها هيج القلب بذكر المحبوب والحزن الدائم والشوق اللازم، فإذا صاروا إلى أعلاها شغلهم وجدان الخلوات عن كثير من أعمال الطاعات. ثم أخذت في الزفير والشهين وأتت تقول: أحبك حين... الخ الأبيات.

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا. (انظر حلية الأولياء: ج ٩ ص ٣٤٨).

(٣) رواية الشطر الثاني في الحلية: «فذكر شغلت به عن سواك».

(٤) رواية الشطر الثاني في الحلية: «فكشفت للحجب حتى أراك».

فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ (١): «الْمَحَبَّةُ هِيَ الَّتِي تُعْمِي وَتُصِمُّ؛ تُعْمِي عَمَّا سِوَى
 الْمَحْبُوبِ فَلَا يَشْهَدُ سِوَاهُ مَطْلُوبًا».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ» (٢). وَأَنْشَدَ:

أَصَمَّنِي الْحُبُّ إِلَّا عَن تَسَامُرِهِ فَمَنْ رَأَى حُبَّ حُبِّ يُورِثُ الصَّمَمَا
 وَكَفَّ طَرْفِي إِلَّا عَن رِعَايَتِهِ وَالْحُبُّ يُعْمِي وَفِيهِ الْقَتْلُ إِنْ كُتِمَا
 وَأَنْشَدَ أَيْضًا:

فَرَطُ الْمَحَبَّةِ حَالٌ لَا يُقَاوِمُهَا رَأَى الْأَصِيلَ إِذَا مَحْدُورَةٌ قَهَرَا
 يَلْدُ إِنْ عَذَلَتْ مِنْهُ قَوَارِعُهُ وَإِنْ تَزَيَّدَ فِي تَعْدِيلِهِ بَهَرَا

فصل

إن للقوم عبارات تفردوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها
 غيرهم، نخبر ببعض ما يحضر، ونكشف معانيها بقول وجيز.

وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة، فإن مضمونها لا
 يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف، وأما كنه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة
 وهي لأربابها مشهورة.

(١) هو محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد مولى سعيد بن العاص القرشي،
 يكنى أبا الحسن ويلقب بحش ويعرف بابن أبي الورد. توفي في رجب سنة ٢٦٣ هـ. من أقواله:
 هلاك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواظاة القلب عليه، وإنما
 منعوا الوصول بتضييع الأحوال. وقال: أشكر الخلق لله عز وجل من لم ير أنه شكر الله عز وجل قط.
 وقال: من آداب الفقير في فقره ترك الملامة والتعير لمن ابتلي بطلب الدنيا والرحمة والشفقة عليه
 والدعاء له ليربحه الله من تبعه فيها. (انظر صفة الصفة: ج ٢ ص ٢٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (ج ٥ ص ٩٤ وج ٦ ص ٤٥٠)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب باب

الباب الثاني والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي التَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ

فمعنى التجريد: أن يتجرد بظاهره عن الأعراض، ويباطنه عن الأعراض؛ وهو ألا يأخذ من عَرَض الدنيا شيئاً، ولا يطلب على ما ترك منها عَوَضاً من عاجل ولا آجل، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعله غيره ولا لسبب سواه، ويتجرد بسرّه عن ملاحظة المقامات التي يحلّها والأحوال التي ينزلها، بمعنى السكون إليها والاعتناق لها.

والتفريد: أن يتفرد عن الأشكال، ويتفرد في الأحوال، ويتوحد في الأفعال؛ وهو أن تكون أفعاله لله وحده، فلا يكون فيها رؤية نفس، ولا مراعاة خلق، ولا مطالعة عَوَض، ويتفرد في الأحوال عن الأحوال، فلا يرى لنفسه حالاً، بل يغيب برؤية محوّلها عنها، ويتفرد عن الأشكال، فلا يأنس بها، ولا يستوحش منها.
وقيل: التجريد أن لا يملك، والتفريد أن لا يملك.

أشدونا لعمر بن عثمان المكي:

تَفَرَّدَ بِاللَّهِ الْقَرِيدُ	فَظَلَّ وَجِيداً وَالْمَشُوقُ وَجِيدُ
وَدَاكَ لِأَنَّ الْمُفْرِدِينَ رَأَيْتُهُمْ	عَلَى طَبَقَاتٍ وَالسُّدُورُ بَعِيدُ
فَمِنْ مُفْرِدٍ يَمُودُ بِهَمَّةِ قَلْبِهِ	عَنِ الْمَلِكِ جَمْعاً فَهُوَ عَنْهُ يَجِيدُ
وَأَدْمَنَ سَيْراً فِي السُّمُوتِ وَوَحِيداً	وَكُلُّ وَجِيدٍ بِالْبَلَاءِ فَرِيدُ
وَأَخْرُ يُسْمُو فِي الْعُلُوتِ تَفَرُّداً	عَنِ النَّفْسِ وَجِدّاً فَهِيَ مِنْهُ تَبِيدُ
وَأَخْرُ مَفْكُوكٌ مِنَ الْأَسْرِ بِالْقَنَاءِ	فَأَصْبَحَ خَلُوعاً وَاجْتِهَاباً وَدُودُ

فالذي أدمن سيراً في السمو متوحد بالبلاء؛ لأنه لا سبيل له إلى ما يطلب، ولا يساكن شيئاً دونه. والذي تفرّد عن النفس وجدّاً فلا يحس بالبلاء. والذي فكّ من أسر النفس بالفناء عنها هو المُجْتَبَى المقرب المتفرد بالحقيقة.

الباب الثالث والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْوَجْدِ

ومعنى الْوَجْدِ: هو ما صادف القلب من فزع، أو غم، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد والله عز وجل.

قالوا: وهو سَمِعَ القلوب وبصرها، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وقال: ﴿أَوَّلَى السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فمن ضعف وجدّه تواجد، والتواجد ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره، ومن قَوِي تَمَكَّنَ فَسَكَنَ.

قال الله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال النوري: «الْوَجْدُ لَهَيْبٌ يَنْشَأُ فِي الْأَسْرَارِ وَيَسْنَحُ عَنِ الشُّوقِ فَتَضَطَّرِبُ الْجَوَارِحُ طَرِبًا أَوْ حُزْنًا عِنْدَ ذَلِكَ الْوَارِدِ».

وقالوا: «الْوَجْدُ مَفْرُونٌ بِالزَّوَالِ، وَالْمَعْرِفَةُ ثَابِتَةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا تَزُولُ».

أنشدونا للجنيد:

وَالْوَجْدُ عِنْدَ حُضُورِ الْحَقِّ مَفْقُودُ
عَنْ رُؤْيَةِ الْوَجْدِ مَا فِي الْوَجْدِ مَوْجُودُ

الْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي الْوَجْدِ رَاحَتُهُ
قَدْ كَانَ يُسْطَرِبُنِي وَجْدِي فَأَشْغَلَنِي
وَأنشدونا لبعض الكبار:

عِزُّ الرُّسُومِ وَكُلُّ مَعْنَى يُحْضَرُ
لَهَبُ التَّوَجُّدِ رَمَزٌ عَجِزٌ يُقَهَّرُ
وَالْوَجْدُ يَذْثُرُ^(١) جِئْنَ يَبْدُو الْمَنْظَرُ

أَبْسَدَى الْجِجَابِ فَذَلَّ فِي سُلْطَانِيهِ
هَيْهَاتَ يُبْدِرُكَ بِالْوُجُودِ وَإِنَّمَا
لَا الْوَجْدُ يُبْدِرُكَ غَيْرَ رَسْمٍ دَائِرٍ

(١) الدثور: الدروس.

قَدْ كُنْتُ أَطْرَبُ لِلْوُجُودِ مُرَوَّعاً طَوَّراً يُغَيِّبُنِي وَطَوَّراً أَحْضَرُ
أَفْنَى الرَّجُودِ بِشَاهِدِ مَشْهُودُهُ أَفْنَى الْوُجُودِ وَكُلِّ مَعْنَى يُذَكِّرُ
وقال بعضهم: «الْوَجْدُ بِشَارَاتِ الْحَقِّ بِالْتَّرَقِّي إِلَى مَقَامَاتِ مُشَاهَدَاتِهِ» .
وأنشدونا لبعضهم:

مَنْ جَادَ بِالْوَجْدِ أَحْرَى أَنْ يَجُودَ بِمَا يُفْنِي الْوُجُودَ مِنَ الْأَفْضَالِ وَالْمِنِ
أَيَقُنْتُ حِينَ بَدَأَ بِالْوَجْدِ يَتَعْنِي أَنَّ الْجَوَادَ بِهِ يُوفِي عَلَى الْحَنِ
وللسبيلي:

الْوَجْدُ عِنْدِي جُودٌ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شُهُودِي
وَشَاهِدُ الْحَقِّ عِنْدِي يُفْنِي (١) شُهُودَ الْوُجُودِ

الباب الرابع والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْغَلْبَةِ

الغلبة حال تبدو للعبد لا يمكنه ملاحظة السبب، ولا مراعاة الأدب، ويكون مأخوذاً عن تمييز ما يستقبله؛ فربما خرج إلى بعض ما يتكر عليه من لم يعرف حاله، ويرجع على نفس صاحبه إذا سكنت غلبات ما يجده، ويكون الذي غلب خوف، أو هيبة، أو إجلال، أو حياء، أو بعض هذه الأحوال.

كما جاء في الحديث عن أبي لبابة بن المنذر، حين استشاره بنو قريظة، لما استنزلهم النبي ﷺ على حكم سعد بن معاذ، فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبيح، ثم ندم على ذلك، وعلم أنه قد خان الله ورسوله، فانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت.

فهذا لما غلب عليه الخوف من الله عز وجل، حال بينه وبين أن يأتي رسول الله ﷺ، وكان هو الواجب عليه لقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

(١) في رواية أخرى: «ينفي» وهي أشبه.

فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ. وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴿١﴾.

وليس في الشريعة ارتباط بالسواري والعمد^(٢).

وقال النبي ﷺ لما أن استبطأه: «أَمَا لَوْ جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ». فلما علم الله صدقه وأن ذلك صدر عنه لغلبة الخوف عليه غفر له، فأنزل الله توبته فأطلقه النبي ﷺ^(٣).

فأبو لبابة رضي الله عنه لما أن غلب عليه الخوف لم يمكنه ملاحظة السبب، وهو استغفار الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، ولم يمكنه مراعاة الأدب، والأدب: أن يعتذر إلى من أذنب إليه وهو الرسول ﷺ.

وكما غلب على عمر رضي الله عنه حمية الدين، حين اعترض على رسول الله ﷺ لما أراد أن يصلح المشركين عام الحديبية، فوثب عمر حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر أليس هذا برسول الله؟ قال: بلى. قال: ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نُعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه، فإنني أشهد أنه رسول الله! فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله! ثم غلب عليه ما يجد، حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، وأجابه النبي ﷺ كما أجابه أبو بكر، حتى قال: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي».

فكان عمر يقول: فما زلت أصوم وأتصَّق وأعتق وأصلِّي من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً^(٤).

وكاعتراضه على النبي ﷺ أيضاً، حين صلى على عبد الله بن أبي، قال عمر: فتحولت حتى قمت في صدره، وقلت: يا رسول الله أتصلي علي هذا وقد قال يوم كذا كذا! يعدد أياماً له، حتى قال له: «أَخْرَجَنِي يَا عُمَرُ، إِنِّي خَيْرٌ فَاخْتَرْتُ» وصلى

(١) سورة النساء، الآية ٦٤. وتنمة الآية: ﴿لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَاباً رَحِيماً﴾.

(٢) يريد ليس من نص واضح في ذلك، والآ فإن النبي ﷺ لم ينكر عليه ذلك.

(٣) القصة مذكورة في كتب السير في غزوة الخندق.

(٤) الحديث رواه البخاري وأبو داود وغيرهما مع اختلاف سير في اللفظ.

عليه، فقال عمر: فعجب لي وجرأتي على رسول الله (١).

ومنه حديث أبي طيبة، حين حجج النبي ﷺ، فشرب دمه، وذلك محظور في الشريعة، ولكن فعله في حال الغلبة، فعذره النبي ﷺ، وقال: «لَقَدْ احْتَضَرْتُ (٢) بِحَفَايِرٍ مِنَ النَّارِ».

فهذه كلها وأمثالها كثيرة تدل على أن حالة الغلبة حالة صحيحة، ويجوز فيها ما لا يجوز في حال السكون، ويكون الساكن فيها بما هو أرفع منه في الحال أمكن وأتم حالة كما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الباب الخامس والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الشُّكْرِ

وهو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه وبين أصدادها في مرافقة الحق، فإن غلبت وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذّه.

كما روي في بعض الروايات في حديث حارثة أنه قال: «اسْتَوَى عِنْدِي حَجْرُهُ وَمَدْرُهَا، وَذَمُّهَا وَفِضَّتُهَا».

وكما قال عبد الله بن مسعود: «مَا أَبَالِي عَلَى أَيِّ الْحَالَيْنِ وَقَعْتُ: عَلَى غَنَى أَوْ فَقْرٍ، إِنْ كَانَ فَقْرًا فَإِنَّ فِيهِ الصَّبْرَ، وَإِنْ كَانَ غِنَىً فَإِنَّ فِيهِ الشُّكْرَ».

ذهب عنه التمييز بين الأرفق وضده، وغلب عليه رؤية ما للحق من الصبر والشكر.

وأنشد بعضهم:

قَدِ اسْتَسْوَلَى عَلَى قَلْبِي هَوَاكَ وَمَا لِي فِي فُؤَادِي مِنْ سِوَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبَاءً لَمَا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَ
والصَّحْوُ الَّذِي هُوَ عَقِيبُ الشُّكْرِ: وهو أن يميز فيعرف المؤلم من المملد، فيختار المؤلم من موافقة الحق ولا يشهد الألم بل يجد لذة في المؤلم.

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود.

(٢) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق. وأصل الحظر المنع.

كما جاء عن بعض الكبار أنه قال: «لَوْ قَطَعَنِي الْبَلَاءُ إِرْبَاءً إِرْبَاءً مَا أَرْدَدْتُ لَكَ إِلَّا حُبًّا حُبًّا».

وعن أبي الدرداء أنه قال: «أَجِبُّ الْمَوْتَ اشْتِيَاءًا إِلَى رَبِّي، وَأَجِبُّ الْمَرَضَ تَكْفِيرًا لِحَطِيئَتِي، وَأَجِبُّ الْفُقْرَاءَ تَوَاضُعًا لِرَبِّي».

وعن بعض الصحابة أنه قال: «يَا حَبَّذَا الْمَكْرُوهَانِ: الْمَوْتُ وَالْفَقْرُ».

وهذه الحالة أتم لأن صاحب السكر يقع على المكروه من حيث لا يدري ويغيب عن وجود التكره، وهذا يختار الآلام على الملاذ ثم يجد اللذة فيما يؤلمه، لغلبة شهود فاعله.

والصاحي الذي نَعْتَهُ قَبْلَ نَعْتِ السُّكْرِ، رُبَّمَا يَخْتَارُ الْآلَامَ عَلَى الْمَلَاذِ لِرُؤْيَةِ ثَوَابٍ أَوْ مَطَالَعَةِ عَوَظٍ، وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ فِي الْآلَامِ، وَمَتَلَذِّذٌ فِي الْمَلَاذِ، فَهُوَ نَعْتُ الصَّحْوِ وَالسُّكْرِ.

وَأَنشَدُونَا لِبَعْضِ الْكِبَارِ:

كَفَاكَ بِأَنَّ الصَّحْوَ أَوْجَدَ أَتَيْتُ فَكَيْفَ بِخَالِ السُّكْرِ وَالسُّكْرِ أَجْدَرُ
فَحَالَاكَ لِي خَالَانِ صَحْوٌ وَسُكْرَةٌ فَلَا زِلْتُ فِي حَالِي أَصْحُو وَأَسْكُرُ
معناه أن حالة التمييز إذا أسقط عني ما لي وأوجد ما لك، فكيف يكون حالة السكر وهو سقوط التمييز عني، ويكون الله هو الذي يصرفني في وظائف وبرايعيني في أحوالي. وهاتان تجريان عليّ، وهما لله تعالى لا لي، فلا زلت في هاتين الحالتين أبداً.

الباب السادس والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْغَيْبَةِ وَالشَّهَادَةِ

فمعنى الغيبة: أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها، وهي - أعني الحظوظ - قائمة معه موجودة فيه، غير أنه غائب عنها بشهود ما للحق.

كما قال أبو سليمان الداراني، وبلنّه أنه قيل للأوزاعي^(١): رأينا جاريتك الزرقاء في السوق، فقال: أوزرقاء هي؟

(١) عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي. والأوزاع بطن من همدان، كما ذكره محمد بن سعد. وقال =

فقال أبو سليمان: ^(١) انفتحت عيون قلوبهم، وانطبقت عيون رؤوسهم.
 أخبر أن غيبته عن زرقنتها كانت مع بقاء لذة الحَوَرِ فيه بقوله أو زرقاء هي ^(٢):
 والشهود: أن يرى حظوظ نفسه بالله لا بنفسه ^(٣).

ومعنى ذلك: أن يأخذ ما يأخذ بحال العبودية وخضوع البشرية لا للذة
 والشهوة.

وغيبية أخرى وراء هذه، وهي أن يغيب عن الفناء والفاني بشهود البقاء والباقي لا
 غير، كما أخبر حارثة عن نفسه، ويكون الشهود شهود عيان، ويكون غيبته عما غاب
 غيبة شهود الضر والنفع، لا غيبة استتار واحتجاب.

وأنشدونا للنوري:

شَهِدْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ لِحَاظًا لِحَظَّتْهُ وَحَسْبُ لِحَاظٍ شَاهِدٍ غَيْرُ مُشْهِدٍ
 وَغَيْبٌ مَغِيبًا غَابَ لِلغَيْبِ غَيْبُهُ فَلَاحَ ظُهُورُ غَيْبِهِ غَيْرُ مُفْقَدٍ

وعبر عن الشهود بعض مشائخنا فقال: الشهود أن تشهد ما تشهد مستصغراً له

البخاري في تاريخه: الأوزاع قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس.

ولد سنة ثمان وثمانين وسكن بيروت وبها مات سنة ١٥٦، كما ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة تاريخ
 وفاته، وأشار الشعراني في طبقاته إلى أنه مات سنة ١٥٧، وقال: وكان مولده ببلبك ومات في حمام
 بيروت، دخل الحمام فذهب الحمامي في جماعة وأغلق عليه الباب ثم جاء فوجده ميتاً متوسداً بيمينه
 مستقبلاً القبلة.

كان رحمه الله من مدرسة الحديث الفقهية ينز الأخط بالرأي. رحل إلى مالط وأخذ كل منهما عن
 الآخر. وقد ظهر مذهبه في الشام ثم انتشر بالأندلس بعد دمشق حتى منتصف القرن الثالث الهجري
 فتغلب عليه مذهب مالك بالمغرب ومذهب الشافعي بالشام.

(انظر ترجمته في طبقات الشعراني: ٤٥/١، وصفة الصفوة: ٢١٥/٤، وحلية الأولياء: ١٣٥/٦).

(١) في الأصل «فقال سليمان» والصواب ما أنشاه. وهو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العسبي
 أو العنسي الداراني. مرت ترجمته صفحة ٢٤ حاشية ١.

(٢) لعله يريد أن غيبته عن زرقنتها الظاهرة الأنية كان بسبب وجود لذة مشاهدة الحور الدائمة في قلبه، فكانه
 يرى كل شيء بعين بصيرته فيستفي بذلك عن رؤية الأشياء بصره.

(٣) قال القاشاني في اصطلاحات الصوفية (ص ١٥٣). الشهود رؤية الحق بالحق.

معدوم الصفة لما غلب عليك من شاهد الحق، كما جاء:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

وكما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ مِثْرَةَ الْإِنْسَانِ إِلَّا فِتْنَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] رأى

السامري معدوم الصفة في شهود الحق. وأنشدونا للنوري:

تَسْتَرْتُ عَنْ ذَهْرِي بِشَرِّ هُمُومِهِ مُخَيَّرَةٌ فِي قَدْرِ مَنْ جَلَّ عَنْ قَدْرِي

فَلَا الدَّهْرُ يَدْرِي أَنِّي عَنْهُ غَائِبٌ وَلَا أَنَا أَدْرِي بِالْخُطُوبِ إِذَا تَجْرِي

إِذَا كَانَ كُلِّي قَائِمًا بِوَفَائِهِ فَلَسْتُ أَبَالِي مَا حَيَّتْ يَسَدُ الدَّهْرُ

الباب السابع والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْجَمْعِ وَالتَّفْرِقَةِ

أول الجمع جمع الهمة، وهو أن تكون الهموم كلها همماً واحداً.

وفي الحديث: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَّاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ»^(١).

وهذه حال المجاهدة والرياضة.

والجمع الذي يعنيه أهله^(٢) هو أن يصير ذلك حالاً له، وهو أن لا تتفرق همومه فيجمعها تكلف العبد، بل تجتمع الهموم فتصير بشهود الجامع لها همماً واحداً ويحصل الجمع، إذ كان بالله وحده دون غيره.

والتفرقة التي هي عقيب الجمع: هو أن يفرق بين العبد وبين همومه في حظوظه

(١) لم أجده بهذا اللفظ؛ وفي هذا المعنى حديث: «من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة». قال العراقي: هذا الحديث رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه.

(٢) قال إِبْرَاهِيمُ فِي اصطلاحات الصرفية: الجمع شهود الحق بلا خلق. وهذا التعريف يشابه مع تعريف ابن عربي بأنه إشارة إلى حق لا خلق.

وبين طلب مرافقه وملاذه، فيكون مفرقاً بينه وبين نفسه، فلا تكون حركاته لها^(١). وقد يكون المجموع ناظراً إلى حظوظه في بعض الأحوال غير أنه ممنوع منها قد جيل بينه وبينها، لا يتأتى له منها شيء، وهو غير كاره لذلك، بل يريد له، لعلمه بأنه فعل الحق به واختصاصه له، وجذباً إياه مما دونه.

سئل بعض الكبار عن الجمع: ما هو؟ فقال: «جَمَعَ الْأَسْرَارَ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ وَقَهَّرَهَا فِيهِ، إِذْ لَا شِبَهَ لَهُ وَلَا ضِدَّ».

وقال غيره: «جَمَعَهُمْ بِهٍ جِئِنَ وَصَلَهُمْ بِالْقُصُورِ عَنْهُ، وَفَرَّقَهُمْ عَنْهُ جِئِنَ طَلَبُوهُ بِمَا بَيْنَهُمْ، فَسَخَّ التَّشْتِيثَ لِارْتِيَادِهِ بِالْأَسْبَابِ، وَحَصَلَ الْجَمْعُ جِئِنَ شَاهَدُوهُ فِي كُلِّ بَابٍ».

فالتفرقة التي عبر عنها هي التي قبل الجمع. معناه: أن التقرب إليه بالأعمال تفرقة، وإذا شاهده موقراً لهم فهو الجمع.

أنشدونا لبعض الكبار:

وَالْفَرْقُ أَوْجَدَهُمْ جِئِنًا بِلَا أَثَرٍ	وَالْجَمْعُ أَفْقَدَهُمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ قَدَمًا
فِي شَاهِدٍ جُمِعُوا فِيهِ عَنِ الْبَشِيرِ	فَأَتَتْ نَفُوسُهُمْ وَالْقَوْتُ فَقَدُهُمْ
عَمَا يُؤَثِّرُهُ التَّلْوِينُ بِالْغَيْرِ	وَجَمَعُهُمْ عَنْ نُعُوتِ الرَّسْمِ مَخَوَّهُمْ
عَنْ شَاهِدِ الْجَمْعِ إِضْمَارٌ بِلَا صُورِ	وَالْحَيْنُ حَالٌ تَلَاثَتْ فِي قَدِيمِهِمْ
عَلَيْهِمْ يَنْهَ جِئِنَ الرَّقَبِ فِي الْحَضَرِ	حَتَّى تُؤَافِي لَهُمْ فِي الْفَرْقِ مَا عَطَفَتْ
وَالرَّجْدُ وَالْفَقْدُ فِي هَذَيْنِ بِالنَّظَرِ	فَالْجَمْعُ غَيْبُهُمْ وَالْفَرْقُ حَضْرَتُهُمْ

معنى قوله: «الجمع أفقدهم من حيث هم»: أي علمهم بوجودهم للحق في علمه بهم أفقدهم من الحين الذي صاروا موجودين له؛ فجعل الجمع حالة العدم، حيث لم يكن إلا علم الحق بهم. والفرق: حالة ما أخرجهم من العدم إلى الوجود.

قوله: «فانت نفوسهم»: أي رأوها حين الوجود كما كانوا إذ هم فقود؛ لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يتغير علم الله فيهم.

(١) الفرق بتعريف القاشاني هو الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء الرسوم الخلقية محالها. (انظر اصطلاحات الصوفية: ص ١٣٦).

وجمعهم : هو أن يمحوهم عن نعوت الرسم ، وهي أفعالهم وأوصافهم ، في أنها لا تؤثر أثر تلوين وتغيير ، بل تكون على ما علم الله جل وعز وقدر وحكم ، فتلاشت حالهم حين وجودهم في قديم العلم إذ كانوا معدمين لا موجودين مصورين ، وإذا أوجدتهم أجرى عليهم ما سبق لهم منه .

فالجمع : أن يغيروا عن حضورهم وشهودهم إياهم متصرفين .

والفرق : أن يشهدوا أحوالهم وأفعالهم .

والوجد والفقْد : حالتان متغايرتان لهما لا للحق تعالى .

قال أبو سعيد الخزاز : «مَعْنَى الْجَمْعِ أَنَّهُ أَوْجَدَهُمْ نَفْسَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ ، بَلْ أَعْدَمَهُمْ وَجُودَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ وُجُودِهِمْ لَهُ» (١) .

معناه قوله : «كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصْرًا وَيَدًا فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يَبْصُرُ» الخبر (٢) .

وذلك أنهم كانوا يتصرفون بأنفسهم لا لأنفسهم ، فصاروا متصرفين للحق

بالحق .

الباب الثامن والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي التَّجَلِّيِّ وَالْإِسْتِثَارِ (٣)

قال سهل : «التَّجَلِّيُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : تَجَلِّي ذَاتٍ وَهِيَ الْمَكَاشِفَةُ ، وَتَجَلِّي صِفَاتِ الذَّاتِ ، وَهِيَ مَوْضِعُ النُّورِ ، وَتَجَلِّي حُكْمِ الذَّاتِ وَهِيَ الْآخِرَةُ وَمَا فِيهَا» .

معنى قوله : «تجلى ذات وهي المكاشفة» : كشف القلب في الدنيا ، كقول

عبد الله بن عمر : «كُنَّا نَرَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ» ، يعني في الطواف ؛ وقال النبي ﷺ :

(١) وهذا قريب من معنى الفناء عند الصوفية .

(٢) حديث قدمي .

(٣) التجلي في مصطلح الصوفية : ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب . والستر : كل ما يحجبك عما يعينك ، كغطاء الكون والوقوف مع العادات والأعمال . (انظر اصطلاحات الصوفية للقاشاني : ص ١٥٥ و ٩٩) .

«اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»^(١)، وكشوف العيان في الآخرة.

ومعنى قوله: «تجلى صفات الذات، وهي موضع النور»: هو أن تتجلى له قدرته عليه فلا يخاف، وكفايته له فلا يرجو سواه. وكذلك جميع الصفات، كما قال حارثة: «وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً» كأنه تجلى له كلامه في أخباره فصار الخبر له كالمعانية.

وتجلى حكم الذات يكون في الآخرة، فربق في الجنة وفريق في السعير.

قال بعض الكبار: «عَلَامَةٌ تَجَلَّى الْحَقُّ لِلْأَسْرَارِ هُوَ أَنْ يَشْهَدَ السِّرُّ مَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ التَّعْبِيرُ أَوْ يَحْبِرُهُ الْفَهْمُ، فَمَنْ عَبَّرَ أَوْ فَهِمَ فَهُوَ خَاطِرٌ اسْتِدْلَالٍ لَا نَاطِرٌ إِجْلَالٍ».

معناه: أن يشهد ما لا يمكنه العبارة عنه، أي التعبير عنه؛ لأنه لا يشهد إلا تعظيماً وهيبة، فيمنعه ذلك عن تحصيل ما شاهد من الحال. وأنشدونا لبعضهم:

إِذَا مَا بَدَتْ لِي تَعَاظِمْتُهَا فَأَصْدُرُ فِي حَالٍ مَنْ لَمْ يَرِدْ
أَجِدُهُ إِذَا غَبْتُ عَنِّي بِهِ وَأَشْهَدُ وَجِدِي لَهُ قَدْ فُقِدَ
فَلَا الْوُضُوءُ يُشْهَدُنِي غَيْرَهُ وَلَا أَنَا أَشْهَدُهُ مُنْقَرِدْ
جُمِعْتُ وَفَرَّقْتُ عَنِّي بِهِ فَفَرَّدُ التَّوَاصُلَ مَثْنَى الْعَدَدْ

معناه: إذا بدت الحقيقة غلب عليّ التعظيم، فأغيب في شاهد التعظيم عن شهود التحصيل، فأكون كمن لم يبد له، وإنما يكون وجودي له إذا غبت عني، وإذا غبت فقد وجودي؛ فحالة الوصل هو فنائي عني، لا يُشهدني غيره، وحالة الانفرد وقيامي بصفتي يعنيني عن شهوده، فكان جمعي به فرقتني عني، فيكون حالة الوصل: هو أن يكون الله عز وجل مُصَرِّفِي؛ فلا أكون أنا في أفعالي، فهو الله تعالى، لا أنا.

كما قال الله تعالى لنبية ﷺ: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» [الأنفال: ١٧].

(١) جزء من أحاديث طويلة أطولها حديث جبريل في الإيمان والإسلام. وفي الصحيحين: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه».

وهذا لسان الحال؛ ولسان العلم؛ أن الله مصرفي، وأنا به متصرف، فيكون
المعبود والعبد.

وقال بعضهم: «التَّجَلِّي رَفْعُ حُجْبَةِ الْبَشَرِيَّةِ، لَا أَنْ تَتَلَوْنَ ذَاتَ الْحَقِّ جَلًّا وَعَزًّا
عَنْ ذَلِكَ وَعَلَا».

والاستتار: أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب.

ومعنى رفع حجة البشرية: أن يكون الله تعالى يُقيمك تحت موارد ما يبدو لك
من الغيب، لأن البشرية لا تقاوم أحوال الغيب.

والاستتار الذي يعقب التجلي هو أن تستتر الأشياء عنك فلا تشاهدها، كقول
عبد الله بن عمر للذي سلم عليه وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه فقال: «إِنَّا كُنَّا
نَتَرَاءَى اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ»، أخبر عن تجلي الحق له بقوله: «كُنَّا نَتَرَاءَى اللَّهَ» وأخبر
عن الاستتار بغيبته عن التسليم عليه.

وأنشدونا لبعض الكبار:

سَرَائِرُ الْحَقِّ لَا تَبْدُو لِمُحْتَجِبٍ أَخْفَاهُ عَنْكَ فَلَا تُعْرَضُ لِمُخْفِيهِ
لَا تُعْنُ نَفْسُكَ فِيمَا لَمْ تَسْذِرْكَ حَاسِبًا الْحَقِيقَةَ أَنْ تَبْدُو فِتْوِيهِ

الباب التاسع والخمسون

قَوْلُهُمْ فِي الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ

فالفناء: هو أن يَفْنَى عنه الحفظ، فلا يكون له في شيء من ذلك حظ،
ويسقط عنه التمييز، فناءً عن الأشياء كلها شغلاً بما فني به، كما قال عامر بن عبد
الله: «مَا أَبَالِي امْرَأَةً رَأَيْتُ أُمَّ حَائِطًا».

والحق يتولى تصريفه، فيصرفه في وظائفه وموافقاته، فيكون محفوظاً فيما لله
عليه، ماخوذاً عما له وعن جميع المخالفات، فلا يكون له إليها سبيل، وهو العصمة؛
وذلك معنى قوله ﷺ «كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا»^(١) الخبر.

(١) جزء من حديث قدسي رواه البخاري في الرقائق باب النواضع أوله: «من عادى لي ولياً فقد آذنته»

والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله .

قال بعض الكبار: «البقاء مقام التبيين البسوا السكينة، لا يمنعهم ما حل بهم عن فرضه ولا عن فضله» .

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤] .

والباقى هو أن تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً، فتكون كل حركاته في موافقات الحق دون مخالفاته، فيكون فانياً عن المخالفات، باقياً في الموافقات .

وليس معنى أن تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً أن تصير المخالفات له موافقات فيكون ما نهى عنه كما أمر به، ولكن على معنى: أن لا يجري عليه إلا ما أمر به وما يرضاه الله تعالى، دون ما يكرهه، ويفعل ما يفعل الله لا لحظاً له فيه في عاجل أو آجل .

وهذا معنى قولهم: «يكون فانياً عن أوصافه باقياً بأوصاف الحق»، لأن الله تعالى إنما يفعل الأشياء لغيره لا له، لأنه لا يجرب به نفعاً ولا يدفع به ضرراً، تعالى الله عن ذلك، وإنما يفعل الأشياء لينفع الأغيار أو يضرهم .

فالباقى بالحق الفاني عن نفسه، يفعل الأشياء لا لجر منفعة إلى نفسه ولا لدفع مضرة عنها، بل على معنى أنه لا يقصد في فعله جر المنفعة ودفع المضرة، قد سقطت عنه حظوظ نفسه ومطالبه منافعها، بمعنى القصد والنية، ولا بمعنى أنه لا يجد حظاً فيما يعمل مما لله عليه يفعل الله، لا لطمع ثواب ولا لخوف عقاب، وهما - أعني الخوف والطمع - باقيان معه قائمان فيه، غير أنه يرغب في ثواب الله لموافقة الله تعالى، لأنه رغب فيه وأمر أن يُسأل ذلك منه، ولا يفعل للذة نفسه ويخاف عقابه إجلالاً له وموافقة له؛ لأنه خوّف عباده، ويفعل سائر الحركات لحظ الغير لا لحظ نفسه، كما قيل: المؤمن يأكل بشهوة عياله .

أنشدونا لبعضهم:

== بالحرب، فإذا أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها .

سَأَهُ عَنِ حَظِّهِ فِيمَا أَلَمَ بِهِ فَظَلَّ يُبْقِيهِ فِي رَسْمٍ لِيُبْدِيهِ
يَأْخُذَ الرَّسْمَ عَنْ رَسْمٍ يُكَاشِفُهُ وَالسَّرُّ يَطْفَحُ عَنْ حَقِّ يُرَاعِيهِ
فجملة الفناء والبقاء: أن يفنى عن حظوظه، ويبقى بحظوظ غيره.

فمن الفناء فناءً عن شهود المخالفات والحركات بها قصداً وعزماً، وبقاء في شهود الموافقات والحركات بها قصداً وفعلاً، وفناء عن تعظيم ما سوى الله، وبقاء في تعظيم الله تعالى.

ومن فناء تعظيم ما سوى الله، حديث أبي حازم حيث قال: «ما الدنيا! أما ما مضى فأحلام، وأما ما بقي فأمان وغرور، وما الشيطان حتى يهاب منه؟ لقد أُطِيعَ فما نفع، وعُصِيَ فما ضرّ، فكان كأنه لا دنيا عنده ولا شيطان».

ومن فناء الحظوظ، حديث عبد الله بن مسعود حيث قال: «ما علمت أن في أصحاب رسول الله ﷺ من يريد الدنيا حتى قال الله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٢]»، فكان فانياً عن إرادة الدنيا.

ومن ذلك حديث حارثة قال: «عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً، فَنِي عَنِ العَاجِلَةِ بِالْآجِلَةِ، وَعَنِ الْأَغْيَارِ بِالْجَبَّارِ».

وحديث عبد الله بن عمر، سلم عليه إنسان وهو في الطواف، فلم يرد عليه، وشكاه إلى بعض أصحابه، فقال عبد الله: «إِنَّا كُنَّا نَتَرَاءَى اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ».

ومنها حديث عامر بن عبد القيس قال: لَأَنْ تَخْتَلِفَ فِي الْأَيْسَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُجِدَّ مَا تَذْكُرُونَ - يعني في الصلاة - حتى قال الحسن: ما اصطنع الله ذلك عندنا.

وفناء هو الغيبة عن الأشياء رأساً.

كما كان فناء موسى عليه السلام، حين تجلّى ربّه للجبل فخر موسى صعيقاً، فلم يخبر في الثاني من حاله عن حاله، ولا أخبر عنه مغيبة به عنها.

وقال أبو سعيد الخزاز: «علامة الفاني ذهابُ حظِّهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ يَبْدُو بِأَدٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُرِيهِ ذَهَابَ حَظِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِجْلَالاً لِلَّهِ، ثُمَّ يَبْدُو لَهُ بِأَدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَيُرِيهِ ذَهَابَ حَظِّهِ مِنْ رُؤْيَةِ ذَهَابِ حَظِّهِ، وَيَبْقَى رُؤْيُهُ مَا كَانَ

مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَفَرَّدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ فِي أَحَدِيَّتِهِ، فَلَا يَكُونُ لغيرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ فَنَاءٌ وَلَا بَقَاءٌ».

معنى ذهاب حظه من الدنيا مطالبة الأعراض، ومن الآخرة مطالبة الأعواض؛ فيبقى حظه من الله، وهو رضاه عنه وقربه منه، ثم يردُّ عليه حالة من إجلال الله تعالى أن يقرب مثله أو يرضى عن مثله استحقاقاً لنفسه وإجلالاً لربه، ثم تردُّ عليه حالة فيستوفيه حقُّ الله تعالى فيغيبه عن رؤية صفته التي هي رؤية ذهاب حظه فلا يبقى فيه إلا ما من الله إليه، ويضئ عنه ما منه إلى الله، فيكون كما كان إذ كان في علم الله تعالى قبل أن يوجد، وسبق له منه ما سبق من غير فعلٍ كان منه.

وعبارة أخرى عن الفناء: أن الفناء هو الغيبة عن صفات البشرية بالحمل المولِّه من نعوت الإلهية، وهو أن يضي عنه أوصاف البشرية التي هي الجهل والظلم، لقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. ومن أوصافه الكنود والكفور، وكل صفة ذميمة تضي عنه، بمعنى أن يغلب علمه جهله وعدله ظلومه وشكره كفرانه وأمثاله.

قال أبو القاسم فارس: «الفناء حالٌ من لا يشهد صفته، بل يشهد بها مغموراً بمغيبها».

وقال: «فناء البشرية ليس على معنى عديمها، بل على معنى أن تُغمَدَ بلذة تُوفي على رؤية الألم، واللذة الجارية على العبد في الحال كصواجبات يوسف عليه السلام: قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ لَفَنَاءٍ أَوْصَافِيَهُنَّ، وَلَمَّا وَرَدَ عَلَى أَسْرَارِيَهُنَّ مِنْ لَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى يُوسُفَ، مِمَّا غَيَّبَهُنَّ عَنْ أَلَمِ مَا دَخَلَ عَلَيْهِنَّ مِنْ قَطْعِ أَيْدِيَهُنَّ».

ولبعض أهل العصر:

غَابَتْ صِفَاتُ الْقَاطِعَاتِ أَكْفَهَا	فِي شَاهِدِ هُوَ فِي الْبَرِيَّةِ أَبْدَعُ
فَقَفْنَيْنِ عَنْ أَوْصَافِيَهُنَّ فَلَمْ يَكُنْ	مِنْ نَعْتِيَهُنَّ تَلَذُّدٌ وَتَوَجُّعُ
وَقِيَامُ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ بِيُوسُفَ	بِدَنْبِهِ مَا كَانَ يُوسُفُ يَقْطَعُ
وَأَنشَدونا في الفناء:	

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا لِنَنْسَى فَنَذَكُرُ وَلَكِنْ نَسِيْمُ الْقُرْبِ يَبْسُدُو فَيَبْهَرُ
فَأَقْنَى بِوِ عَنِّي وَأَبْقَى بِه لَه إِذَا الْحَقُّ عَنْهُ مُخْبِرٌ وَمُعَبِّرٌ
ومنهم من جعل هذه الأحوال كلها حالاً واحدة وإن اختلفت عباراتها، فجعل
الفناء بقاء والجمع تفرقة، وكذلك الغيبة والشهود والسكر والصحو.

وذلك أن الفاني عما له باقٍ بما للحق، والباقي بما للحق فاني عما له، والمفارق
مجموع لأنه لا يشهد إلا للحق، والمجموع مفارق لأنه لا يشهد إياه ولا الخلق، وهو
باقٍ لدوامه مع الحق، وهو جامع به، وهو فاني عما سواه مفارق لهم، وهو غائب
سكران لزوال التمييز عنه. ومعنى زوال التمييز عنه هو ما قلناه بين الألام والملاذ،
وبمعنى أن الأشياء تتوحد له فلا يشهد مخالفة، إذ لا يصرفه إلا الحق في موافقاته،
وإنما تميز بين الشيء وغيره، فإذا صارت الأشياء شيئاً واحداً سقط التمييز.

وعبر جماعة عن الفناء بأن قالوا: يؤخذ العبد من كل رسم كان له وعن كل
مرسوم، فيبقى في وقته بلا بقاء يعلمه، ولا فناء يشعر به، ولا وقت يقف عليه، بل
يكون خالقه عالماً ببقائه وفنائه ووقته، وهو حافظ له عن كل مفهوم.

واختلفوا في الفاني، هل يُرَدُّ إلى بقاء الأوصاف أم لا؟

قال بعضهم: يرد الفاني إلى بقاء الأوصاف، وحالة الفناء لا تكون على الدوام
لأن دوامها يوجب تعطيل الجوارح عن أداء المفروضات وعن حركاتها في أمور معاشها
ومعادها.

ولأبي العباس بن عطاء في ذلك كتاب سماه: «كتاب عودة الصفات وبذئها».

وأما الكبار منهم والمحققون فلم يَرَوْا رَدَّ الفاني إلى بقاء الأوصاف، منهم
الجنيد والخزاز والنوري، وغيرهم.

فالفناء: فضلٌ من الله عز وجل، وموهبة للعبد، وإكرام منه له، واختصاص له

به.

وليس هو من الأفعال المكتسبة، وإنما هو شيء يفعلها الله عز وجل بمن اختصه
لنفسه واصطنعه له، فلورده إلى صفته كان في ذلك سلب ما أعطى، واسترجاع ما

وَهَب؛ وهذا غير لائق بالله عز وجل . أو يكون من جهة البذاء^(١)، والبذاء صفة من استفاد العلم، وهذا من الله عز وجل منفي . أو يكون ذلك غروراً وخداعاً، والله تعالى لا يوصف بالغرور، ولا يخادع المؤمنين، وإنما يخادع المنافقين والكافرين .

وليس مقامُ الفناء يُدْرَكُ بالاكتساب فيجوز أن يكتب ضده، فإن عورض بالإيمان والرجوع عنه، وهو أفضل المراتب، وبه يدرك جميع المقامات، أجيب عنه أن الإيمان الذي يجوز الرجوع عنه هو الذي اكتسبه العبد من إقرار لسانه والعمل بآركانه، ولم يخامر الإيمان حقيقة سره، لا من قِبَلِ الشهود، ولا من صحة العقود، لكنه أقر بشيء، ولا يدري حقيقة ما أقر به، كما جاء في الحديث: «إِنَّ الْمَلَكَ لَيَأْتِي الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ فَيَقُولُ: مَا قَوْلُكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ»^(٢).

فهذا شاكٌ غير متيقن .

أو يكون أقر بلسانه وانطوى على تكذيبه، كالمنافق الذي أقر بلسانه وكذبه بقلبه وأضمر خلافه، ولكنه أقر بلسانه ولم يكذبه بقلبه^(٣) ولا أضمر خلافه، ولكن لم يقع له صحة ما أقر به اكتساباً ولا مشاهدة، ولم يكتب تحقيقه من جهة العلم فتقوم له الدلائل على صحته، ولا شاهد بقلبه حالاً أزال عنه الشكوك، وقد سبق له من الله الشقاء، فاعترضت له شبهة من خاطر ناظر ففتته فانتقل عنه إلى ضده .

فأما من سبق له من الله الحسن، فإن الشبهات لا تقع له، والعوارض تزول عنه إما اكتساباً من علم الكتاب والسنة ودلائل العقل فيزيل خواطر السوء عنه وترد شبهات الناظر له، إذ لا يجوز أن يكون لما خالف الحق دلائل الحق، فهذا لا تعترضه الشكوك .

أو يكون ممن قد وقع له صحة الإيمان، ويردُّ الله تعالى عنه خواطر السوء باعتصامه بالجملة، ويرد عنه الله الناظر المشكك له لطفاً به، فلا يقابله فيسلم له صحة إيمانه وإن لم يكن عنده من البيان ما يحتاج ناظره ولا ما يزيل خاطره .

(١) البذاء : ظهور الرأي بعد أن لم يكن . وهذا على الله تعالى محال .
(٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري في كتاب الإيمان .
(٣) العبارة غير مستقيمة، ولعلها: أو أقر بلسانه . . . الخ .

أو يكون ممن وقع له صحة ما أقر به شهوداً أو كشفاً، كما أخبر حارثة عن نفسه من شهوده ما أقر به، حتى حل ما غاب عنه من ذلك محل ما حضر وأكثر؛ لأنه أخبر أنه عزف عن الشاهد فصار الغيب له شهوداً والشاهد غائباً، كما قال الداراني: «انْفَتَحَتْ عُيُونُ قُلُوبِهِمْ، فَأَنْطَبَقَتْ عُيُونُ رُؤُوسِهِمْ».

فمن وقع له صحة ما أقر به من هذه الجهة لم يرجع عن الآخرة إلى الدنيا، ولا ترك الأولى للأدنى.

وهذا كله أسباب العصمة من الله له، وتصديق ما وعد بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فقد صح أن المؤمن الحقيقي لا ينتقل عن الإيمان؛ لأنه موهبة له من الله جل وعز، وعطاء وفضل واختصاص، وحاشا الحق عز وجل أن يرجع فيما وهب، أو يسترد ما أعطى.

وصورة الإيمان الحقيقي والرسمي^(١) في الظاهر صورة واحدة وحقائقها مختلفة.

فأما الفناء وغيره من مقامات الاختصاص، فإن صورها مختلفة وحقائقها واحدة؛ لأنها ليست من جهة الاكتساب، لكن من جهة الفضل.

وقول من قال: إن الفاني يُردُّ إلى أوصافه، محال؛ لأن القائل إذا أقر بأن الله تعالى اختص عبداً واصطنعه لنفسه، ثم قال: إنه يردّه، فكأنه قال: يختص ما لا يختص، ويصطنع ما لا يصطنع، وهذا محال.

وجوازه من جهة التربية والحفظ عن الفتنة لا يصلح أيضاً؛ لأن الله تعالى لا يحفظ على العبد ما أتاه من جهة السلب، ولا بأن يردّه إلى الأوضع عن الأرفع، ولو جاز هذا جاز أن لا يحفظ مواضع الفتن من الأنبياء بأن يردّهم من رتبة النبوة إلى رتبة الولاية أو ما دونها، وهذا غير جائز.

ولطائف الله تعالى في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر من أن تقع

(١) الرسمي: أي الظاهري، من الرسم وهو الصورة.

تحت الإحصاء والعدّ، وقدرته أتمّ من أن تُحصَرَ على فعل دون غيره .

فإن عورض بالذي آتاه آياته ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] لم يعترض؛ لأن الذي انسلخ لم يكن قطُّ شاهدَ حالاً، ولا وجدَ مقاماً، ولا كان مختصاً قط، ولا مُضْطَنعاً، بل كان مستدرجاً مخدوعاً ممكوراً به .

وإنما أُجري على ظاهره من أعلام المختصين، وهو في الحقيقة من المردودين، وإنما حلّى ظاهره بالوظائف الحسنة، والأوراد الزكية، وهو أعمى القلب محجوب السرّ، لم يجد قط طعم الخصوص، ولا ذاق لذة الإيمان، ولا عرف الله قط من جهة الشهود، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وكما أخبر عن إبليس بقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

قال الجنيد: «إِنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَنْلُ مُشَاهَدَتَهُ فِي طَاعَتِهِ، وَأَدَمَ لَمْ يَفْقِدْ مُشَاهَدَتَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ» .

وقال أبو سليمان^(٢): «وَاللَّهِ مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إِلَّا مِنَ الطَّرِيقِ، وَلَوْ وَصَلُوا إِلَيْهِ مَا رَجَعُوا عَنْهُ» .

والفاني يكون محفوظاً في وظائف الحقّ كما قال الجنيد، وقيل له: إن أبا الحسين النوري قائم في مسجد الشونيزي منذ أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وهو يقول: الله الله، ويصلي الصلوات لأوقاتها، فقال بعض من حضره إنه صاح؛ فقال الجنيد: لا، ولكن أرباب المواجيد محظوظون بين يدي الله في مواجيدهم، فإن رُدَّ الفاني إلى الأوصاف لم يُرَدَّ إلى أوصاف نفسه، ولكن يُقام مقام البقاء بأوصاف الحقّ .

وليس الفاني بالصّعق^(٣) ولا المعتوه، ولا الزائل عنه أوصاف البشرية فيصير ملكاً أروحانياً، ولكنه ممن فني عن شهود حظوظه، كما أخبرنا قبل .

(١) الآية ٣٤ من سورة البقرة، وهي: ﴿وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ .

(٢) أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وقد مرت ترجمته ص ٢٤ حاشية ١

(٣) الصّعقُ في تعريف القاشاني: هو الفناء في الحقّ بالتجلي للذات (اصطلاحات الصوفية: ص ١٤٠).

والفاني أحد عينين^(١): إمام عين لم ينصب إماماً ولا قدوة فيجوز أن يكون فناؤه غيبة عن أوصافه، فيرى بعين العتاهة وزوال العقل، لزوال تمييزه في مرافق نفسه وطلب حظوظه، وهو على ذلك محفوظ في وظائف الحق عليه؛ وقد كان في الأمة منهم كثير.

منهم بلال الحبشي، عبدٌ كان للمغيرة بن شعبة في حياة النبي ﷺ، نبه عنه النبي ﷺ.

وأويس القرني في أيام عمر بن الخطاب نبه عليه عمر وعلي رضي الله عنهما وخلق كثير.

إلى أن كان عليان المجنون^(٢)، وسعدون^(٣)، وغيرهما.

أو يكون إماماً يُقْتَدَى به ويربط به غيره ممن يسوسه، فأقيم مقام السياسة والتأديب، فهذا ينقل إلى حالة البقاء فيكون تصرفه بأوصاف الحق لا بأوصاف نفسه.

والمتصرف بأوصاف الحق هو ما ذكرناه قبل.

وسئل الجنيد عن الفراسة فقال: «هي مُصَادَفَةُ الإِصَابَةِ». فقيل له: هي للمتفرس في وقت المصادفة أو على الأوقات؟ قال: «لا، بل على الأوقات، لأنها مَوْهَبَةٌ، فِيهَا مَعَهُ كَائِنَةٌ دَائِمَةٌ».

(١) العين هنا بمعنى الذات.

(٢) لم أجد ترجمة له.

(٣) سعدون المجنون من عقلاء المجانين ببغداد؛ قال الشعراني: كان يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر، وكان إذا هاج سعد السطح ونادى بالليل بصوت رفيع يا نيام اتبهوا من رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة فإن الموت يأتيكم بغتة. وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة عن الفتح بن شخرف قال: كان سعدون صاحب محبة لله، صام ستين سنة حتى خفت دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة، فغاب عنا زماناً، فبينا أنا قائم على حلقة ذي النون رأيت عليه جبة صوف وعليها مكتوب: لا تباع ولا تشتري؛ فسمع كلام ذي النون وأنشأ يقول:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من سلوى إذا لم يكن صبر
(انظر طبقات الشعراني: ٦٨/١، وصفة الصفوة: ٢٣٠/٢).

فأخبر أن المواهب تكون دائمة .

ومن يتبع كتب القوم وفهم إشاراتهم ، علم أن قولهم ما حكيناه عنهم ، فإن هذه المسألة وأمثالها ليست بمنصوصات ولا مفردات ، بل يُعَرَّف ذلك من قولهم بفهم رموزهم ودرك إشاراتهم . والله أعلم .

الباب الستون

قَوْلُهُمْ فِي حَقَائِقِ الْمَعْرِفَةِ

قال بعض الشيوخ: «المعرفة معرفتان: معرفة حق، ومعرفة حقيقة. فمعرفة الحق: إثبات وحدانية الله تعالى على ما أبرز من الصفات. والحقيقة: على أن لا سبيل إليها، لامتناع الصمدية وتحقق الربوبية عن الإحاطة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، لأن الصمد هو الذي لا تدرك حقايق نُعوتِهِ وصفاته .

وقال بعض الكبراء: «المعرفة إحضار الرُّبُوفِ بَصُورِ الفِكْرِ في مُرَاعَاةِ مَوَاجِدِ الأَذْكَارِ على حَسَبِ تَوَالِي أَعْلَامِ الكُشُوفِ» .

ومعناه: أن يشاهد الرُّبُوفُ عظمة الله وتعظيم حقه وإجلال قدره ما تعجز عنه العبارة .

سئل الجنيد عن المعرفة فقال: «هي تَرَدُّدُ الرُّبُوفِ تَعْظِيمِ الحَقِّ عَنِ الإِحَاطَةِ وإِجْلَالِهِ عَنِ الدَّرْكِ»^(١) .

وقد سئل عن المعرفة فقال: «أَنْ تَعْلَمَ أَنْ مَا تَصَوَّرَ فِي قَلْبِكَ فَالحَقُّ بِإِخْلَافِهِ، فَيَا لَهَا حَيْرَةٌ! لَا لَهُ حَظٌّ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْهُ حَظٌّ، وَإِنَّمَا وُجُودٌ يَتَرَدَّدُ فِي العَدَمِ، لَا تَهَيُّأُ العِبَارَةُ عَنْهُ، لِأَنَّ المَخْلُوقَ مَسْبُوقٌ، وَالمَسْبُوقَ غَيْرُ مُحِيطٍ بِالسَّابِقِ» .

معنى: «هو وجود يتردد في العدم»: يعني صاحب الحال يقول: هو موجود عياناً وشخصاً، وكأنه معدوم صفة ونعتاً .

(١) الدرك: اللحاق .

وعن الجنيد أيضاً قال: «المعرفة هي شهود الخاطر بعواقب المصير، وأن لا يتصرف العارف بسرف ولا تقصير».

ومعناه: أن لا يشهد حاله، وأن يشهد سابق علم الحق فيه، وأن مصيره إلى ما سبق له منه، ويكون مصرفاً في الخدمة والتقصير.

وقال بعضهم: «المعرفة إذا وردت على السراضاق السرعن حملها، كالشمس بمنع شعاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها».

قال ابن الفرغاني^(١): «من عرف الرسم تجبر، ومن عرف الوسم تحير، ومن عرف السبق تعطل، ومن عرف الحق تمكن، ومن عرف المتولي تدلل».

معناه: من شاهد نفسه قائماً بوظائف الحق أعجب، ومن شاهد ما سبق له من الخير تحير؛ لأنه لا يدري ما علم الحق فيه وبماذا جرى القلم به. ومن عرف أن ما سبق له من القسمة لا يتقدم ولا يتأخر تعطل عن الطلب، ومن عرف الله بالقدرة عليه والكفاية له تمكن فلا يضطرب عند المخوفات ولا عند الحاجات. ومن عرف أن الله متولي أموره تدلل له في أحكامه وأقضيته.

وقال بعض الكبار: «إذا عرفه الحق إياه أوقف المعرفة حيث لا يشهد محبة ولا خوفاً ولا رجاءً ولا فقراً ولا غنى، لأنها دون الغايات والحق وراء النهايات».

معناه: أن لا يشهد هذه الأحوال لأنها أوصافه، وأوصافه أقصر من أن تبلغ ما يستحقه الحق من ذلك.

أنشدونا لبعض الكبار:

رَاعَيْتَنِي بِالْحِفَاظِ حَتَّى حُمِيتُ عَنْ مَرْتَعِ وَيِّي^(٢).

(١) هو أبو بكر بن إسماعيل الفرغاني؛ قال ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/١٤٩) عن محمد بن داود قال: ما رأيت في الفقراء أحسن من أبي بكر بن إسماعيل الفرغاني، وكان ممن يظهر الغنى في الفقر، يلبس قيمصين أبيضين ورداءً وسراويل ونعلًا لطيفة وعمامة، وفي يده مفتاح كبير حسن، وليس له بيت، ينطرح في المساجد ويطوي الخمس والتدائمًا.

(٢) الوبي: الوبيء، الضار.

فَأَنْتَ عِنْدَ الْخِصَامِ عُذْرِي فِي ظِمَائِي فَأَنْتَ رَيْبِي
 إِذَا امْتَطَى الْعَارِفُ الْمُعَلَى سِرًّا إِلَى مَنْظَرِ عَلِيٍّ
 وَعَاصَ فِي أَبْحُرِ غَزَارِ تَفِيضُ بِالْخَاطِرِ الرَّحِيمِ^(١)
 فَضُّ خِصَامِ الْغُيُوبِ عَمَّا يُحْيِي فُؤَادَ الشَّجِيِّ الْوَلِيِّ
 مَنْ حَارَ فِي دَهْشَةِ التَّلَاقِي أَبْصَرَتْهُ مَسِيئًا كَحَيِّ
 يعني من حيرته دهشة ما يبدو له من الله من شاهد تعظيم الله وإجلاله أبصرته
 حياً، كميت يفنى عن رؤية ما منه ولا يجد له متقدماً ولا متأخراً.

الباب الحادي والستون

قَوْلُهُمْ فِي التَّوْحِيدِ

أركان التوحيد سبعة: إفراد القدم عن الحدث، وتنزيه القديم عن إدراك
 المحدث له، وترك التماثل بين النعوت، وإزالة العلة عن الربوبية، وإجلال الحق
 عن أن تجري قدرة الحدث عليه فتلونه، وتنزيهه عن التمييز والتأمل، وتبرئته عن
 القياس.

قال محمد بن موسى الواسطي: جُمْلَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ كُلُّ مَا يَتَّسِعُ بِهِ اللَّسَانُ أَوْ يُشِيرُ
 إِلَيْهِ الْبَيَانُ مِنْ تَعْظِيمٍ، أَوْ تَجْرِيدٍ، أَوْ تَفْرِيدٍ، فَهُوَ مَعْلُومٌ، وَالْحَقِيقَةُ وَرَاءَ ذَلِكَ.
 معناه: أن كل ذلك من أوصافك وصفاتك محدثة معلولة مثلك، وحقيقة الحق
 هو وصفه له.

وقال بعض الكبراء: «التَّوْحِيدُ إِفْرَادُكَ مُتَوَحِّدًا، وَهُوَ أَنْ لَا يُشْهِدَكَ الْحَقُّ إِلَّاكَ».
 قال فارس: «لَا يَصِحُّ التَّوْحِيدُ مَا بَقِيَتْ عَلَيْكَ عِلْقَةٌ مِنَ التَّجْرِيدِ، وَالْمُوحَّدُ
 بِالْقَوْلِ لَا يَشْهَدُ السَّرَّ مُتَفَرِّدًا بِهِ، وَالْمُوحَّدُ بِالْحَالِ غَائِبٌ بِحَالِهِ عَنِ الْأَقْوَالِ، وَرُؤْيَةُ
 الْحَقِّ حَالًا لَا يَشْهَدُهُ إِلَّا كُلُّ مَا لَهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَوْجِيدِهِ بِلَا قَالٍ وَلَا حَالٍ».

وقال بعضهم: «التَّوْحِيدُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنْ جَمِيعِكَ بِشَرْطِ اسْتِيفَاءِ مَا عَلَيْكَ وَأَنْ
 لَا يَعُودَ عَلَيْكَ مَا يَقْطَعُكَ عَنْهُ».

(١) الرحي: العجل المرع. قاله في القاموس المحيط.

معناه: تبذل مجهودك في أداء حق الله، ثم تتبرأ من رؤية أداء حقه ويستوفيك التوحيد عن أوصافك، فلا يعود عليك منها شيء، فإنه قاطع لك عنه.

قال الشبلي: «لا يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ بِالتَّوْحِيدِ حَتَّى يَسْتَوْجِبَ مِنْ سِرِّهِ وَحُشَّةَ لُظْهُورِ الْحَقِّ عَلَيْهِ».

وقال بعضهم: «المُوَحَّدُ مَنْ خَالَ اللَّهَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، لِأَنَّ الْحَقَّ يَجْرِي حَرِيمَةً. قال جل وعز: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١] فلا نردُّكُمْ إلى مَعْنَى سِيْرَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَعَلَامَةُ الْمُوَحَّدِ: أَنْ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ ذِكْرٌ إِخْطَارٍ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَ الْحَقِّ؛ فَالشَّوَاهِدُ عَنْ سِرِّهِ مَصْرُوفَةٌ، وَالْأَعْوَاضُ عَنْ قَلْبِهِ مَطْرُودَةٌ، فَلَا شَاهِدَ يَشْهَدُهُ، وَلَا عَرَضَ يَعْبُدُهُ، وَلَا سِرٌّ يُطَالِعُهُ، وَلَا بَرٌّ يَلَاحِظُهُ، هُوَ فِي حَقِّهِ عَنِ حَقِّهِ مُجْتَبِوْبٌ، وَفِي حَظِّهِ عَنِ حَظِّهِ مَسْلُوبٌ، فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِي نَصِيبٍ، وَهُوَ مَأْسُورٌ فِي أَوْقَرِ النَّصِيبِ، وَالْحَقُّ أَوْقَرُ نَصِيبٍ، مَنْ فَاتَهُ الْحَقُّ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ وَإِنْ مَلَكَ الْكَوْنُ، وَمَنْ وَجَدَ الْحَقَّ فَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَإِنْ لَمْ يَمْلِكْ ذَرَّةً».

معناه: هو قائم بحقه محجوب عن رؤية قيامه بحقه، وهو مسلوب عن حظوظه وهو يرى نفسه قائمة بحظوظها، ونصيبه من الحق وجود الحق وهو فيه مأسور وليس له متقدم ولا متأخر.

وأنشدونا لبعضهم:

مَسْوَاجِيْدُ حَقٍّ أَوْجَدَ الْحَقُّ كُلَّهَا وَإِنْ عَجَزَتْ عَنْهَا فَهُومُ الْأَكَابِرِ

الباب الثاني والستون

قَوْلُهُمْ فِي صِفَةِ الْعَارِفِ

سئل الحسن بن علي بن يزيدانيار^(١): متى يكون العارف بمشهد الحق؟ قال:

(١) مرت ترجمته ص ٢٦ حاشية ١٠.

«إِذَا بَدَأَ الشَّاهِدُ، وَفَنِيَ الشُّوَاهِدُ، وَذَهَبَ الحَوَاسُ، وَاضْمَحَلَّ الإِخْلَاصُ».

معنى بدا الشاهد: يعني شاهد الحق، وهو أفعاله بك مما سبق منه إليك من برّه لك وإكرامه إياك بمعرفته وتوحيده والإيمان به، تُفني رؤية ذلك منك رؤية أفعالك وبرك وطاعتك، فترى كثير ما منك مستغرقاً في قليل ما منه، وإن كان ما منه ليس بقليل وما منك ليس بكثير.

وفناء الشواهد: بسقوط رؤية الخلق عنك بمعنى الضر والنفع والذم والمدح.

وذهاب الحواس هو معنى قوله: «فَبِي يَنْطِقُ وَبِي يُصِيرُ»، الحديث.

ومعنى اضمحل الإخلاص: أن لا يراك مخلصاً وما خلص من أفعالك إن خلص، ولن يخلص أبداً إذ رأيت صفتك، فإن أوصافك معلولة مثلك.
سئل ذو النون عن نهاية العارف فقال: «إِذَا كَانَ كَمَا كَانَ حَيْثُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ».

معناه: أن يشاهد الله وأفعاله دون شاهده وأفعاله.

قال بعضهم: «أَعْرَفَ الخَلْقِ بِاللَّهِ أَشَدُّ تَحَيُّراً فِيهِ».

قيل لذي النون: ما أول درجة يرقاها العارف؟ فقال: «التَّحَيُّرُ، ثُمَّ الإِفْتِقَارُ، ثُمَّ الإِتِّصَالُ، ثُمَّ التَّحَيُّرُ».

الحيرة الأولى في أفعاله به ونعمه عنده، فلا يرى شكره يوازي نعمه، وهو يعلم أنه مطالب بشكرها، وإن شكر كان شكره نعمة يجب عليه شكرها، ولا يرى أفعاله أهلاً أن يقابله بها استحقاقاً لها، ويراه واجبة عليه لا يجوز له التخلف عنها.

وقيل: قام الشبلي يوماً يصلي، فبقي طويلاً، ثم صلى، فلما انقضى عن صلاته قال: «يَا وَيْلَاهُ إِنْ صَلَّيْتُ جَحَدْتُ، وَإِنْ لَمْ أَصَلْ كَفَرْتُ».

أي جحدت عظم النعمة وكمال الفضل، حيث قابلت ذلك بفعلي شكراً له مع حقارته.

ثم أنشد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ أَنَّنِي كَصِفْدَعٍ يَسْكُنُ فِي الْيَمِّ
إِنْ هِيَ فَاهَتْ^(١) مَلَأَتْ فَمَهَا أَوْ سَكَّتَتْ مَاتَتْ مِنَ النَّمِّ

والحيرة الأخيرة: أن يتحير في متاهات التوحيد، فيضل اسمه ويخس^(٢) عقله
في عظم قدرة الله تعالى وهيبته وجلاله .

وقد قيل: دون التوحيد متاهات تضل فيها الأفكار.

سأل أبو السوداء بعض الكبار فقال: هل للعارف وقت؟ قال: لا . فقال: لِمَ؟
قال: لأن الوقت فرجة تنفس عن الكربة، والمعرفة أمواج تنط وترفع وتحط، فالعارف
وقته أسود مظلم .

ثم قال:

شَرَطُ الْمَعَارِفِ مَحْوُ الْكُلِّ بِنِكَ إِذَا بَدَا الْمُرِيدُ بِلِحْظٍ غَيْرِ مُطَّلِعٍ
قال فارس: «العارف من كان علمه حالة، وكانت حركاته غلبة عليه» .

سئل الجنيد عن العارف فقال: «لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنُ الْإِنَاءِ» .

يعني أنه يكون في كل حال بما هو أولى فيختلف أحواله، ولذلك قيل: هو ابن
وقته .

سئل ذو النون عن العارف فقال: «كَانَ هَا هُنَا فَذَهَبَ» .

يعني أنك لا تراه في وقتين بحالة واحدة، لأن مصرفه غيره .

وأشردونا لابن عطاء:

وَلَوْ نَطَقَتْ فِي السَّنِ الدَّهْرُ نَجَّرَتْ بِأَنِّي فِي ثَوْبِ الصَّبَابَةِ أُرْفُلُ
وما إن لها علم بقدري وسوضعي وما ذاك موهوم لأنني أنقل

(١) فاهت: فتحت فمها .

(٢) الخنوس: الانقباض والاستخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، ومنه الخنوس: مأوى
الطباء، والخنوس: الأطباء نفسها. (لأن العرب مادة خنس).

وقال سهل بن عبد الله : «أَوَّلُ مَقَامٍ فِي الْمَعْرِفَةِ أَنْ يُعْطَى الْعَبْدُ يَقِينًا فِي سِرِّهِ تَسْكُنُ بِهِ جَوَارِحُهُ، وَتَوَكَّلًا فِي جَوَارِحِهِ يَسْلُمُ بِهِ فِي دُنْيَاهُ، وَحَيَاةً فِي قَلْبِهِ يَقُورُ بِهَا فِي عَقْبَاهُ».

قلنا: العارف هو الذي بذل مجهوده فيما لله، وتحقق معرفته بما من الله، وصح رجوعه من الأشياء إلى الله.

قال الله تعالى : ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

يجوز أن يكون ما عرفوا من الله من بره وإحسانه بقصده إليهم وإقباله عليهم واختصاصه إياهم من بين ذريتهم.

كما قال أبي بن كعب حين قال له النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ». فقال: يا رسول الله أَوْ ذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ قال: «نَعَمْ». فبكى أبي^(١).

لم ير حالاً يقابله بها، ولا شكراً يوازي نعمه، ولا ذكراً كما يستحقه، فانقطع، فبكى.

وقال النبي ﷺ لحارثة: «عَرَفْتُمْ قَالِزْمَ»^(٢). نسبة إلى المعرفة وألزمه إياها ولم يدلّه على عمل.

سئل ذو النون عن العارف فقال: «هُوَ رَجُلٌ مَعَهُمْ، بَلَّيْنِ عَنْهُمْ».

(١) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة ٩٨، وفي مناقب الأنصار باب ١٦. ورواه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٢٢ و١٢٣، وفي صلاة المسافرين وقصرها حديث ٢٤٥ و٢٤٦. والترمذي في المناقب باب ٣٢، والإمام أحمد في المسند (ج ٣ ص ١٣٠، ١٣٧، ١٨٥، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٧٣، ٢٨٤).

(٢) في حلية الأولياء (ج ١ ص ٢٤٢) أنه ﷺ قال ذلك لمعاذ بن جبل. وروى الحديث عن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: «كيف أصبحت يا معاذ؟» قال: أصبحت مؤمناً بالله تعالى. قال: «إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟» قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أنني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أنني لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أنني لا أتبعها أخرى؛ وكأنني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأولادها التي كانت تعبد من دون الله، وكأنني أنظر إلى عشيرة أهل النار وثواب أهل الجنة. قال: «عرفت قالزم».

قال سهل: «أهل المعرفة بالله كأصحاب الأعراف، يعرفون كلًا ببيماهم، أقامهم مقاماً أشرف بهم على الدارين، وعرفهم الملكتين». أنشدونا لبعضهم:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قَوْمٍ مَضَوْا فَفَضَوْا لَمْ أَقْضِ مِنْهُمْ وَإِنْ طَاوَلْتُهُمْ وَطَرِي
هُمُ الْمَخَافِيْتُ فِي كِبَرِ الْمُلُوكِ إِذَا أَبْصَرْتَهُمْ قُلْتَ أَضْمَارُ بِلَا صُورِ

الباب الثالث والستون

قولهم في المرید والمراد

المرید مراد في الحقيقة، والمراد مرید؛ لأن المرید لله تعالى لا يريد إلا بإرادة من الله عز وجل تقدمت له. قال الله تعالى: ﴿مُحِبُّهُمْ وَمُحْبَوْنَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٧].

فكانت إرادته لهم سبب إرادتهم له، إذ علة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه، ومن أراد الحق فمحال أن لا يريد العبد، فجعل المرید مراداً والمراد مریداً؛ غير أن المرید هو الذي سبق اجتهاده كشوفه، والمراد هو الذي سبق كشوفه اجتهاده.

فالمرید هو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهو الذي يريد الله تعالى، فيقبل بقلبه، ويحدث فيه لطفاً يثير منه الاجتهاد فيه والإقبال عليه والإرادة له، ثم يكشفه الأحوال.

كما قال حارثة: «عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي» ثم قال: «وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً».

فأخبر أن كشفه أحوال الغيب له كان عقيب عزوفه عن الدنيا.

والمراد: هو الذي يجذب به الحق جذبة القدرة، ويكشفه بالأحوال، فيشير قوة الشهود منه اجتهاداً فيه وإقبالاً عليه وتحملاً لأثقاله.

كسحرة فرعون: لما كوشفوا بالحال في الوقت، سهل عليهم تحمل ما توعدهم

به فرعون فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

وكما فعل بعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أقبل يريد قتل رسول الله، فأَسْرَهُ الحق في سبيله.

وكقصه إبراهيم بن أدهم: خرج يطلب الصيد متلهياً، فنودي: ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت - مرتين - ونودي في الثالثة من قَرْبُوس^(١) سَرَجَه، فقال: واللَّهِ لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي.

هذه جذبة القدرة: كوشفوا بالأحوال، فأسقطوا عن النفوس والأموال.

أنشدني الفقيه أبو عبد الله البرقي لنفسه:

مُرِيدٌ صَفَا مِنْهُ سِرُّ الْقُوَا دِ نَهَامٍ بِهِ السَّرُّ فِي كُلِّ وَاذٍ
فَفِي أَيِّ وَاذٍ سَعَى لَمْ يَجِدْ لَهُ مَلَجًا غَيْرَ مَوْلَى الْعِبَادِ
صَفَا بِالْوَفَاءِ وَفَى بِالصَّفَا وَنُورُ الصَّفَاءِ سِرَاجُ الْقُوَاذِ
أَرَادَ وَمَا كَانَ حَتَّى أُرِيدَ فَطُوبَى لَهُ مِنْ مُرِيدٍ مُرَادِ

الباب الرابع والستون

قَوْلُهُمْ فِي الْمَجَاهِدَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ

قال بعض الكبراء: «التَّعَبُّدُ إِتْيَانٌ مَا وَظَّفَ اللَّهُ عَلَى شَرْطِ الْوَاجِبِ».

وشرط الواجب: الإتيان به على غير مطالبة عوض وإن شهدته فضلاً، بل يستوفيك عن رؤية الفضل.

والعوض: ما لله عليك في العمل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، قال: ليعبده بالرق لا بالطمع.

(١) القَرْبُوس: جنُّ السرج، والقَرْبُوس لغة فيه. (انظر اللسان: مادة قريس).

قيل لأبي بكر الواسطي: بأي شاهد ينبغي أن يكون العبد في حركات ما يسعى؟

قال: بشاهد الفناء عن حركاته التي هي كائنة بغيره.

قال أبو عبد الله النجاشي: «استحلاء الطاعة ثمرة الوحشة عن الحق جل وعز، إذ لا يواصل الحق بها ولا يفاصل، ولا يعتمد عليها اعتماد معول، ولا يتركها ترك معاين، بل يقيم وظائف الحق رقا وعبودية، ويكون الاعتماد على ما في الأزل».

يريد باستحلاء الطاعة رؤيتها من نفسك، دون مشاهدة فضل الله عليك في التوفيق في قول الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: أكبر من أن تبلغه أفهامكم، وتحويه عقولكم، ويجري على ألسنتكم. وحقيقة الذكر هو نسيان ما سواه فيه، لقوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^(١) [الكهف: ٢٥]، وفي قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] أي الخالية عن ذكر الله، لتعلموا أنكم بفضلته نلتهم بأعمالكم.

قال أبو بكر القحطبي: «نُفُوسُ الْمُؤَحِّدِينَ نُفُوسٌ سَمِعَتْ مِنْ جَمِيعِ مَا ظَهَرَ مِنْ نُعُونِهَا وَصِفَاتِهَا، وَاسْتَقْبَحَتْ كُلَّ بَادٍ بَدَأَ مِنْهَا، وَأَنْقَطَعَتْ عَنِ الشُّوَاهِدِ وَالْعَوَائِدِ وَالْفَوَائِدِ، وَعَجَزَتْ عَنِ إِظْهَارِ الدَّعْوَى بَيْنَ يَدَيْهِ لَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشواهد الخلق، والعوائد الأعراض، والفوائد الأعراض.

قال أبو بكر الواسطي: «معنى التكبير في الصلاة كأنك تقول جللت عن أن تواصل بها، أو تفاصل بتركها، إذ الفصل والوصل ليس بحركات بل هو بما سبق في الأزل».

قال الجنيد: «لا يكونن همك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسُرور بالاتصال بمن لا وسيلة إليه إلا به».

(١) الاستشهاد بهذه الآية الكريمة لا يتفق مع ما يرمي إليه المصنف.

قال ابن عطاء: «لَا يَكُونَنَّ هَمُّكَ فِي صَلَاتِكَ إِقَامَتَهَا دُونَ الْهَيْبَةِ وَالْإِجْلَالِ لِمَنْ رَأَىكَ فِيهَا».

وقال غيره: «مَعْنَى الصَّلَاةِ التَّجْرِيدُ عَنِ الْعَلَائِقِ وَالتَّفْرِيدُ بِالْحَقَائِقِ».

والعلائق: ما سوى الله، والحقائق: ما لله ومن الله.

وقال آخر: «الصَّلَاةُ وَصْلٌ».

قال: سمعت فارساً يقول: مَعْنَى الصَّوْمِ الْغَيْبَةُ عَنِ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ بِرُؤْيَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ، لقوله تعالى في قصة مريم: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا»^(١) [مريم: ٢٦].

قال: لغيبتي عنهم برؤية الحق، فلا أستجيز في صومي أن يشغلني عنه شاغل أوية ملغني قاطع.

يدل على قول النبي ﷺ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»، أي حجاب عما دون الله في قوله تعالى: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ^(٢).

قال بعض الكبار: أي أنا الجزاء به.

وقال أبو الحسن بن أبي ذر: أي معرفتي هي الجزاء له به؛ قال: وحسبه ذلك جزاء فما يبلغها شيء ولا يدانيها.

سمعت أبا الحسن الحسني الهمداني يقول: معنى قوله: «الصَّوْمُ لِي»، كي ينقطع الأطماع عنه: طمع العدو أن يقسده؛ لأن ما لله فلا يطمع فيه العدو. وطمع النفس أن تعجب به، فإنها إنما تعجب بما لها. وطمع الخصوم في الآخرة فإنهم يأخذون ما للعبد دون ما لله. هذا معنى ما فهمت من قوله.

قال بعضهم: «جَهْدُ الْبَلَاءِ النَّظَرُ إِلَى النَّفْسِ، وَالاعْتِمَادُ عَلَى الْأَفْعَالِ؛ فَإِنْ وَكَلَّ إِلَيْهَا فَهُوَ دَرَكُ الشَّقَاءِ، وَفِي دَرَكِ الشَّقَاءِ بِسَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ».

(١) الاستشهاد بهذه الآية الكريمة فيه بعض التكلف.

(٢) حديث قدسي طويل في الصحيحين وفي مسند أحمد وغيرها بأسانيد وروايات مختلفة.

أنشدونا للنوري :

أَقُولُ أَكَّادُ الْيَوْمَ أَنْ أُبْلَغَ الْمَدَى فَيَبْعُدُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَكَّادُ
فَمَا لِي جِهَادٌ غَيْرَ أَنِّي مُقْصَّرٌ وَعَجْزِي عَنْ طَوْلِ الْجِهَادِ جِهَادُ
وَأَنْ رَجَائِي عَوْدَةٌ مِنْكَ بِالرِّضَا وَالْأَفْحَظِي فِي الْمَعَادِ بِعَادُ
وَأُنشِدُونَا لِغَيْرِهِ :

هَبْنِي أُرَاعِيكَ بِالْأَذْكَارِ مُلْتَمِساً مَا يَبْتَغِيهِ ذُوو التَّلَوِينِ بِالْغَيْرِ
فَكَيْفَ لِي بِشُهُودٍ مِنْكَ يَحْمِلُنِي عَنْ فِتْنَةِ الْوَقْتِ بَلْ عَنْ حَاجَةِ الْأَثْرِ
يقول : إن طالعت في أفعالي ومجاهداتي ثوابك عليها، وهو الذي يطلبه أرباب
المجاهدات وأصحاب المعاملات، فكيف أطالع شهود ما يحملي عن خوف العاقبة
من تغيير الأحوال والأوقات وعن النظر إلى حركاتي ومجاهداتي وهي التي تحجبني
عنك؟

الباب الخامس والستون

حَالُهُمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى النَّاسِ (١)

قيل للنوري : متى يستحق الإنسان الكلام على الناس؟

قال : «إِذَا فَهِمَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ صَلَحَ أَنْ يُفَهِّمَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَإِذَا لَمْ يَفْهَمْ عَنِ اللَّهِ
كَانَ بِلَاؤُهُ عَامًّا فِي بِلَادِهِ وَعَلَى عِبَادِهِ»

قال الريُّ السقطي : «إِنِّي أَذْكَرُ مَجِيءَ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَقُولُ اللَّهُمَّ هَبْ لَهُمْ مِنْ
الْعِلْمِ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنِّي ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ مَجِيئَهُمْ إِلَيَّ» .

قال سهل بن عبد الله : «أَنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَكَلَمَ اللَّهُ ، وَالنَّاسُ يَتَوَهَّمُونَ أَنِّي
أَكَلَمُهُمْ» .

قال الجنيد للشبلي : نحن خبّرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خباناه في الراديب،

(١) يعني بالكلام على الناس تدريس العلم لهم ودعوتهم إلى الله تعالى .

فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملا .

فقال : أنا أقول ، وأنا أسمع ، فهل في الدارين غيري؟^(١) .

وقال بعض الكبار للجنيد وهو يتكلم على الناس : يا أبا القاسم إن الله لا يرضى عن العالم بالعلم حتى يجده في العلم ، فإن كنت في العلم فالزم مكانك وإلا فانزل .

فقام الجنيد ولم يتكلم على الناس شهرين ، ثم خرج فقال : لولا أنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : « في آخر الزمان يكون زعيم القوم أرذلهم » ما خرجت إليكم .
وقال الجنيد : « ما تكلمت على الناس حتى أشار إلي وعلي ثلاثون من البدلاء^(٢) : إنك تصلح أن تدعو إلى الله عز وجل » .

وقيل لبعض الكبار : لم لا تتكلم؟

فقال : هذا علم قد أدبر وتولى ، والمقبل على المدبر أدبر من المدبر .

قال أبو منصور البنجي لأبي القاسم الحكيم : بأي نية أتكلم على الناس؟

فقال : لا أعلم للمعصية نية غير الترك .

واستاذن أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرازي ، أبا حفص الحداد ، وكان

تلميذه ، في الكلام على الناس ، فقال له أبو حفص : وما يدعوك إليه؟

فقال أبو عثمان : الشفقة عليهم ، والنصيحة لهم .

فقال : وما بلغ من شفقتك عليهم؟

فقال : لو علمت أن الله يعذبني بدل جميع من آمن به ويدخلهم الجنة ، وجدت

من قلبي الرضا به .

(١) هذا والذي قبله يتدرج في دائرة الشطح .

(٢) قال القاشاني : البدلاء هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك فيه جداً على صورته بحيث لا

يعرف أحد أنه فقد؛ وذلك معنى البدل لا غير ، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام . (انظر

اصطلاحات الصوفية : ص ٣٦) .

فأذن له، وشهد أبو حفص مجلسه، فلما قضى أبو عثمان كلامه، قام سائل، فسبق أبو عثمان، فأعطاه ثوباً كان عليه.

فقال أبو حفص: يا كذاب، إياك أن تتكلم على الناس وفيك هذا الشيء!

فقال أبو عثمان: وما ذاك يا أستاذ؟

قال: أما كان فيك من النصيحة لهم والشفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السبق، ثم تلوهم؟

سمعت فارساً يقول، سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول: كنا عند الجنيد، إذ مرّ به النوري، فلم، فقال له الجنيد عليك السلام يا أمير القلوب، تكلم!

فقال النوري: يا أبا القاسم غششتهم فأجلسوك على المنابر ونصحتهم فرموني في المزابل.

فقال الجنيد: ما رأيت قلبي أحزن منه في ذلك الوقت.

ثم خرج علينا في الجمعة الأخرى فقال: إذا رأيتم الصوفي يتكلم على الناس فاعلموا أنه فارغ.

وقال ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]، قال: على مقدار فهمهم ومبلغ عقولهم.

وقال غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: 44، 45]، أي لو نطق بالمواجيد على أهل الرسوم^(١)، يدل عليه قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67] ولم يقل بَلِّغْ ما تعرفنا به إليك.

رأى الحسين المغازلي رويم بن محمد وهو يتكلم على الناس في الفقر، فوقف عليه وقال:

وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالًا

(١) هذا الضمير متكلف لا علاقة له بالسياق.

ألا ابْتَعَتْ بِمَا حَلَّتْ تَ هَذَا السَّيْفَ خُلْخَالاً
عَبَّرَ بِعبارته عن حال ليس هو فيها.

قال بعض الكبار: من تكلم عن غير معناه فقد تحمَّر في دعواه، قال الله تعالى:
﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [الجمعة: ٥].

الباب السادس والستون

في تَوْقِي الْقَوْمِ وَمُجَاهَدَاتِهِمْ

ورث حارث المحاسبي من أبيه أكثر من ثلاثين ألف دينار، فلم يأخذ منه شيئاً،
وقال: إنه كان يرى القَدْر.

قال أبو عثمان: كنا في دار أبي بكر بن أبي حنيفة مع أبي حفص، فجری ذكر
صديق غائب عنا، فقال أبو حفص: لو كان عندنا كاغذ^(١) كتبنا إليه. فقلت: ها هنا
كاغذ. وكان أبو بكر قد خرج إلى السوق. فقال أبو حفص: لعل أبا بكر قد مات ولم
نعلم وصار الكاغذ للورثة. فترك الكتاب.

وقال أبو عثمان: كنت عند أبي حفص وبين يديه زبيب، فأخذت زبيبة
ووضعتها في فمي، فأخذ بحلقي وقال: يا خائن، تأكل زبيبي؟ فقلت: لثقتي
بزهادتك في الدنيا وعلمي بإيثارك أخذت الزبيبة، فقال: يا جاهل تثق بقلب لا يملكه
صاحبه؟!

سمعت كثيراً من مشايخنا يقولون: كان الشيوخ يهجرون الفقير لثلاث:

إذا حج عن غيره بمال، وإذا أتى خراسان، وإذا دخل اليمن.

فقالوا: من أتى خراسان لم يأت إلا للرفق وليس بها مباح، فيطيب مطعمه.

وأما اليمن: ففيه طرق إلى الفسق كثيرة.

وكان أبو المغيث لا يستند ولا ينام على جنبه، وكان يقوم الليل، وإذا غلبته عينه

(١) الكاغذ (بفتح الغين وبكسرهما): القرطاس، معرب.

قعد ووضع جبينه على ركبته فيخفو غموة . فقيل له : ارفق بنفسك ! فقال : والله ما رفق الرفيق بي رفقا فرحت به ، أما سمعت سيد المرسلين يقول : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ »^(١) ؟

قالوا : إن أبا عمرو الزجاجي أقام بمكة سنين كثيرة لم يحدث في الحرم ، كان يخرج من الحرم للحديث ، ثم يعود إليه وهو على الطهارة .

قال : سمعت فارساً يقول : كان أبو عبد الله المعروف بشكثل لا يكلم الناس ، وكان يأوي إلى الخرابات في سواد الكوفة ، وكان لا يأكل إلا المباح والقمامات ، فلقيته يوماً فتعلقت به ، وقلت : سألتك بالله ألا أخبرني ما الذي منعك عن الكلام .

فقال : يا هذا ، الكون توهم في الحقيقة ولا تصح العبارة عما لا حقيقة له والحق تقصر عنه الأقوال دونه ، فما وجه الكلام ؟ وتركني ومر .

قال : وسمعته يقول : سمعت الحسين المغازلي يقول : رأيت عبد الله القشاع ليلة قائماً على شط دجلة ، وهو يقول : يا سيدي أنا عطشان ، يا سيدي أنا عطشان ! حتى أصبح فلما أصبح قال : يا ويلتي ، تُبيح لي شيئاً وتُحول بيني وبينه ، وتحظر علي شيئاً وتُحلي بيني وبينه ، فأيش أصنع ؟ ورجع ولم يشرب منه .

وسمعته يقول : سمعت بعض الفقهاء قال : كنت سنة الهير^(٢) مع الناس ، فانفلتُ ثم رجعتُ ، فكنتُ أطوف بين الجرحى ، قال : فرأيت أبا محمد الجريري ، وكان قد نيف على المائة ، فقلت : يا شيخ ، ألا تدعوك فيكشف ما ترى ؟

قال : قد فعلتُ ، قال : إني أفعل ما أشاء . فأعدت عليه ، فقال : يا أخي ليس هذا وقتُ الدعاء ، هذا وقتُ الرضا والتسليم .

(١) رواه الترمذي في الزهد باب ٥٧ ، وابن ماجة في الفتن باب ٢٣ ، والدارمي في الرقاق باب ٦٧ ، والإمام أحمد في المسند (١/١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥) .

(٢) الهير : رمل زرود في طريق مكة كان عنده وقعة ابن أبي سعيد الجنابي القرمطي بالحاج يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم . (معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٥٠) .

فقلت : ألك حاجة؟

فقال : أنا عطشان .

فجئته بماء ، فأخذه وأراد أن يشرب ، فنظر إليّ فقال : هؤلاء عطاش وأنا أشرب! هذا شرّة ، فردّه عليّ ومات من ساعته .

قال : وسمعته يقول : سمعت بعض أصحاب الجريري يقول : مكثت عشرين سنة لا يخطر لي ذكر طعام حتى يحضر ، ومكثت عشرين سنة أصليّ الفجر على ظهور العشاء الآخرة ، ومكثت عشرين سنة لا أعقد مع الله عقداً مخافة أن يكذبني على لساني ، ومكثت عشرين سنة لا يسمع لساني إلا من قلبي ، ثم حالت الحال ، فمكثت عشرين سنة لا يسمع قلبي إلا من لساني .

معنى قوله : «لا يسمع لساني إلا من قلبي» ، أي لا أقول إلا من حقيقة ما أنا عليه ، وقوله : «لا يسمع قلبي إلا من لساني» ، أي حفظ عليّ لساني ، لما قال^(١) : «فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَنْطِقُ» .

قال : وسمعت بعض مشايخنا يقول : سمعت محمد بن سعدان يقول : خدمت أبا المغيث عشرين سنة ، فما رأيتُه أمف على شيء فاته أو طلب شيئاً فقدّه .

وقيل : إن أبا السوداء وقف ستين وقفة .

وجعفر بن محمد الخلدي وقف خمسين وقفة .

وكان بعض المشايخ - وأكثر ظني أنه أبو حمزة الخراساني^(٢) - حج عشر حجج عن النبي ﷺ ، وحج عن العشرة من أصحاب النبي ﷺ عشر حجج ، ثم حج عن نفسه حجة ، يتوسل بتلك الحجج إلى الله في قبول حجته .

(١) سبحانه وتعالى في الحديث القديم . وقد مرّ .

(٢) قال الشعراني : يقال إن أصله من نيسابور من محلّة ملقاناذ . صحب مشايخ بغداد ، وهو من أفراد الجند ، وسافر مع أبي تراب النخشي وأبي سعيد الخراز . وكان من أفنى المشايخ وأديهم وأورعهم . مات سنة ٣٠٩ .

الباب السابع والستون

في لطائف الله للقوم وتنبه إياهم بالهاتف

قال أبو سعيد الخزاز: «بينا أنا عشيّة عرفة، قطعني قُربُ الله عز وجل عن سؤال الله، ثم نازعتني نفسي بأن أسأل الله تعالى، فسمعتُ هاتفاً يقول: أبعد وجود الله تسأل الله غير الله^(١)!

قال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين، فكنت أمشي، فوقعت في بئر، فنازعتني نفسي بأن أستغيث، فقلت: لا والله لا أستغيث! فما استتممت هذا الخاطر حتى مرّ برأس البئر رجلاً، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نطم^(٢) رأس هذا البئر من الطريق. فأتوا بقصب وبارية، وهممت أن أصيح، ثم قلت: يا من هو أقرب إليّ منهما! وسكت حتى طموا ومضوا، فإذا أنا بشيء قد تدلّى برجليه في البئر وهو يقول: تعلق بي! فتعلقْتُ به، فإذا هو سبع، وإذا هاتف يهتف بي ويقول لي: يا أبا حمزة، هذا حسن، نجيناك من التلف في البئر بالسبع!

قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال أبو الوليد السقاء: قدّم إليّ أصحابنا يوماً لبناً، فقلت: هذا يضرني. فلما كان يوم من الأيام دعوت الله تعالى، فقلت: اللهم اغفر لي، فإنك تعلم أنني ما أشركت بك طرفة عين! فسمعتُ هاتفاً يهتف بي ويقول: ولا ليلة اللبن؟.

قال أبو سعيد الخزاز: كنت في البادية، فالتني جوع شديد، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاماً، فقلت: ليس هذا من فعل المتوكّلين، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله صبراً، فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً يقول:

وَيَزَعُمُ أَنَّهُ مِنَّا قَرِيبٌ وَأَنَّا لَا نُضَيِّعُ مَنْ أَنَا

(١) قال تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم بلعبون﴾.

(٢) أي ندفن.

وَيَسْأَلُنَا الْقُؤَى عَجْزاً وَضَعْفاً كَأَنَّا لَا نَرَاهُ وَلَا يَرَانَا
 وشهد لصحة حال الهاتف، ما حدثنا محمد بن محمد بن عمود قال: ^(١) نصر بن
 زكريا، حار عمار بن الحسن، حار سلمة بن الفضل، حار محمد بن إسحاق، عن يحيى
 ابن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن عائشة قالت: «لما أرادوا غسل النبي ﷺ
 اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله من ثيابه كما نجرد موتانا، أو
 نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا، ألقى الله عليهم السنة ^(٢)، حتى ما بقي منهم
 أحد إلا وذقته في صدره. ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن
 اغسلوا النبي وعليه ثيابه» ^(٣).

الباب الثامن والستون

تَّيْبُهُ إِيَاهُمْ بِالْفِرَاسَاتِ

قال العباس بن المهدي ^(٤): كنت في البادية، فرأيت رجلاً يمشي بين يدي
 حافي القدم حاسر الرأس، ليس معه ركوة، فقلت في نفسي: كيف يصلّي هذا
 الرجل؟ ما لهذا طهارة ولا صلاة! قال: فالتفت إليّ فقال: «يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
 فَاحْذَرُوهُ» [البقرة: ٢٣٥]، قال: فسقطت مغشياً عليّ، قال: فلما أفقت استعفرت
 الله من تلك الرؤية التي نظرت بها إليه، فينا أنا أمشي في بعض الطريق، فإذا هو بين
 يدي، فلما رأيته هبته وتوقفت، فالتفت إليّ ثم قرأ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
 وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، قال: ثم غاب فما رأيته بعد ذلك، أو كما
 قال.

سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: قال لي أبو الحسن المزين ^(٥): دخلت
 البادية وحدي على التجريد، فلما بلغت العمق، قعدت على شفير البركة، فحدثني

(١) رمز عن حدثنا.

(٢) السنة: النعاس.

(٣) رواه أبو داود في سننه باب ستر الميت عند غسله بسننه إلى عائشة.

(٤) قال ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/٣٠١): عباس بن المهدي من بغداد، كنيته أبو الفضل. يرجع
 إلى فتوة ظاهرة وفراسة حادة وحبّ للفقراء وميل إليهم. دخل مصر وصحب فيها أبا سعيد الخراز.

(٥) أبو الحسن علي بن محمد المزين. أصله من بغداد ولكنه أقام بمكة. صحب الجنيد وسهل بن عبد الله،
 وأقام بمكة مجاوراً حتى توفي بها سنة ٣٢٨. (صفة الصفوة: ١٧٥/٢)

نفسى بقطعها البادية على التجريد ودخلها شيء من العجب، فإذا أنا بالكتاني - أو غيره، الشك منى - من وراء البركة، فناداني: يا حجاج، إلى كم تحدثك نفسك بالباطيل؟ .

ويروى أنه قال له: يا حجاج احفظ قلبك ولا تحدث نفسك الباطيل .

وقال ذو النون: رأيت فتى عليه أظمار رثة فتقدّرتُه نفسي وشهد له قلبي بالولاية، فبقيت بين نفسي وقلبي أتفكر، فاطلع الفتى على سرّي، فنظر إليّ فقال: يا ذا النون، لا تبصرنى لكي ترى خلقي، وإنما الدرد داخل الصدف! ثم ولى وهو يقول:

يَهْتُ عَلَى أَهْلِ ذَا الزَّمَانِ فَمَا أَرْفَعُ مِنْهُمْ لَوَاجِدَ رَأْسَا
ذَاكَ لَأَتَى فَتَى أَخُو فِطْنٍ أَعْرِفُ نَفْسِي وَأَعْرِفُ النَّاسَا
فَصِرْتُ حُرّاً مُمْلِكاً مَلِكاً مُدْرَعاً بِالقُنُوعِ لِبَاسَا

ويشهد لصحة الفراسة ما حدثنا أحمد بن علي قال: حا ثواب بن يزيد الموصلي، حا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حا أبو صالح كاتب الليث، حا معاوية بن صالح عن راشد بن سعيد، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»^(١).

الباب التاسع والستون

تَنْبِيهُهُ إِيَّاهُمْ بِالْحَوَاطِرِ

قال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: قدم أبو عمرو بن العلاء يوماً ليصلي بالناس وما كان يؤم فيقدم اضطراراً، فلما تقدم قال للناس: استنوا! فغشي عليه، فلم يفتق إلا بالغد، فقليل له في ذلك، فقال: وقت ما قلت لكم استنوا، وقع في قلبي خاطر من الله تعالى كأنه يقول لي: يا عبدي، هل استويت لي قط طرفة عين حتى تقول لخلقي استنوا؟

قال الجنيد: «مَرَضْتُ مَرَضَةً فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَقَالَ لِي فِي سِرِّي: لَا تَدْخُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِكَ» .

(١) رواه من حديث أبي سعيد الخدري الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ١٦، حديث رقم ٣١٢٧ .

قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : سمعت محمد بن سعدان يقول : سمعت بعض الكبراء يقول : «رُبَّمَا أَعْفُو عَفْوَةَ فَأَنَادَى : أَتَمَّ عَنِّي ؟ إِنْ نِمْتَ عَنِّي لِأَضْرِبَنَّكَ بِالسَّيَاطِ» .

الباب السبعون

تَنِيَّهُ إِيَاهُمْ فِي الرَّؤْيَا وَلَطَائِفِهَا

قال : سمعت أبا بكر محمد بن غالب يقول : سمعت محمد بن خفيف يقول : سمعت أبا بكر محمد بن علي الكتاني يقول : رأيت رسول الله في عبادتي .. فكانت العادة قد جرت له أنه كان يرى النبي ﷺ كل ليلة اثنين وخميس ، فيسأله سائل ، فيجيبه عنها - قال : فرأيت قد أقبل عليّ ، ومعه أربعة نفر ، فقال لي : يا أبا بكر ، أتعرف من هذا؟ قلت : نعم ، هو أبو بكر . ثم قال لي : أتعرف هذا؟ قلت : نعم ، هو عمر . ثم قال : أتعرف هذا؟ قلت : نعم ، هو عثمان . ثم قال لي : أتعرف هذا الرابع؟ فتوقفت ولم أجب ، فأعاد عليّ ثانياً ، فتوقفت ، فأعاد عليّ ثالثاً ، فتوقفت ، وكأن في قلبي منه غيرة ، قال : فجمع كفه وأشار بها إليّ ، ثم بسطها وضرب بها صدري ، وقال لي : يا أبا بكر ، قل : هذا عليّ بن أبي طالب . فقلت : يا رسول الله ، هذا عليّ بن أبي طالب . قال : فأخى عليه السلام بيني وبين علي رضي الله عنه . قال : ثم أخذ عليّ رضي الله عنه بيدي ، وقال لي : يا أبا بكر ، قم حتى تخرج إلى الصفا! فخرجت معه إلى الصفا ، وكنت نائماً في حجرتي ، فاستيقظت ، فإذا أنا على الصفا .

قال : سمعت منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : دخلت مدينة رسول الله ﷺ وبني شيء من الفاقة ، فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي ﷺ وعلى صحبيته : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم قلت : يا رسول الله بي فاقة ، وأنا ضيفك الليلة! ثم تنحيت ونمت بين القبر والمنبر ، فإذا أنا بالنبي عليه السلام جاءني ودفع إليّ رغيفاً ، فأكلت نصفه ، فانتبهت ، فإذا في يدي نصف الرغيف .

قال يوسف بن الحسين : كان عندنا شاب من أهل الإرادة أقبل على الحديث وقصر في قراءة القرآن، فأتني في منامه، فقيل له: إن لم تكن بي جافياً فلم هجرت كتابي، أما تدبرت ما فيه من لطيف خطابي؟

يشهد بصحة الرؤيا ما حدثنا علي بن الحسين بن أحمد السرخسي إمام جامعها، حا أبو الوليد محمد بن إدريس السلمي، حا سويد، حا محمد بن عمرو بن صالح بن معود الكلاعي، عن الحسن البصري قال: دخلت مسجد البصرة، فإذا رهط من أصحابنا جلوس، فجلست إليهم، فإذا هم يذكرون رجلاً يفتابونه، فنهيتهم عن ذكره، وحدثتهم بأحاديث في الغيبة بلغتني عن رسول الله ﷺ وعن عيسى ابن مريم عليه السلام، فأمسك القوم وأخذوا في حديث آخر. ثم عرض ذكر ذلك الرجل، فتناولوه وتناولته معهم، فانصرفوا إلي رحالهم وانصرفت إلى رَحلي، فنمت، فأتاني آت في منامي أسود في يده طبق من خلاف^(١)، وعليه قطعة من لحم خنزير، فقال لي: كُلْ! قلت: لا آكل، هذا لحم خنزير. قال: كُلْ! قلت: لا آكل، هذا لحم خنزير، هذا حرام. قال: لتأكلنه! فأبيت عليه، ففكّ لحمي^(٢) ووضعها في فمي، فجعلت ألوكها وهو قائم بين يدي، فجعلت أخاف أن ألقيا وأخاف أن أَسْرَطَها^(٣)، فاستيقظت على تلك الحال، فوالله لقد لبثت ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة ما ينفعني طعام أطعمه ولا شراب أشربه إلا وجدت طعمها في فمي وريحها في منخري!

الباب الحادي والسبعون

لَطَائِفُ الْحَقِّ بِهِمْ فِي غَيْرَتِهِ عَلَيْهِمْ

دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سبباً، غير أنني عُرِضْتُ عليّ الجنة، فملت بقلبي إليها، فأحسب أن

(١) الخلاف: الصفاف.

(٢) اللحمي منبت اللحية، وهما لحيان، يريد أنه فتح فمه بالقوة.

(٣) أبتلعها.

مولاي غار علي ، فعاتبني ، فله العُتْبَى .

قال الجنيد: دخلت على السريّ السقطي فرأيت عنده خزف كوز مكسور فقلت: ما هذا؟ قال: جاءني الصبية البارحة بكوز فيه ماء، فقالت لي: يا أبت، هذا الكوز معلق هنا فإذا برد فاشربه فإنها ليلة غمة! فغلبتني عيني، فرأيت جارية من أحسن الجوارى دخلت عليّ، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وضربت بيدها إلى الكوز، فانكسر وهو الذي ترى، فما زال الخزف مكانه لم يحركه حتى ستره الغبار.

قال المزين: أقمت في بعض المنازل بالبادية سبعة أيام لم أطمع شيئاً، فأضافني رجل في منزله، فقدم إلي تمرّاً وخبزاً، فلم أقدر على أكله، فلما كان الليل اشتهيته، فأخذت نواة أعالج بها فتح فمي، فضربت النواة سنّي، فقالت صبية من البيت: يا أبي كم يأكل ضيفنا الليلة؟ فقلت: يا سيدي جوع سبعة أيام، ثم تنفّص عليّ، وعزتك لا ذقتُه!!

قال أحمد بن السمين: كنت أمشي في طريق مكة، فإذا أنا برجل يصيح أغثنى يا رجل، الله، الله، الله!

قلت: ما لك، ما لك؟

قال: خذ مني هذه الدراهم، فإنني ما أقدر أن أذكر الله وهي معي! فأخذتها منه، فصاح: ليك اللهم ليك! وكانت أربعة عشر درهماً.

قيل لأبي الخير الأقطع: ما كان سبب قطع يدك؟ قال: كنت في جبل لكام - أو لبنان - ومعني رفيق لي، فجاء رجل من بني السلاطين ومعه دنانير يفرقها، فناولني منها ديناراً، فمددت إليه ظهر كفي فوضع عليها ديناراً، فقلبتّه يدي في حجر رفيقي وقمت، فلما كان بعد ساعة إذا أنا بأصحاب السلطان يطلبون لصوصاً، فأخذوني فقطعوا يدي.

يشهد لهذا المعنى ما حدثنا به أحمد بن حيان التميمي قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل، حاقتية بن سعيد، حا يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني

عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيَحْمِي عَبْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرَضَاكُمْ»^(١).

الباب الثاني والسبعون

لَطَائِفُهُ بِهِمْ فِيمَا يُحْمَلُهُمْ

سمعت فارساً يقول: سمعت أبا الحسن العلوي تلميذ إبراهيم الخواص يقول: رأيت الخواص بالدينور^(٢) في جامعها، وهو جالس في وسطه والثلج يقع عليه، فأدركني الإشفاق عليه، فقلت له: لو تحولت إلى السكن!

فقال: لا! ثم أنشأ يقول:

لَقَدْ وَضَعَ السَّطْرِيَّ إِلَيْكَ قَصْدًا فَمَا أَحَدٌ أَرَادَكَ يَسْتَدِيلُ
فَإِنْ وَرَدَ الشَّنَاءُ فَفِيكَ صَيْفٌ وَإِنْ وَرَدَ الْمَصِيفُ فَفِيكَ ظِلُّ
ثم قال لي: هاتِ يَدَكَ! فناولته يدي، فأدخلها تحت خرقته، فإذا هو يتصب عرقاً.

قال: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: كنت في بعض الوادي فأصابني عرق شديد حتى تعبت عن المشي من الضعف، وكنت سمعت أن العطشان تقطر عيناه قبل أن يموت، قال: فقعدت وأنا أنتظر تقطر عيني إذ سمعت جساً، فنظرت فإذا هي حية بيضاء كأنها الفضة الصافية تبرق وقد قصدتني مسرعة، فهالني، فقامت فزعاً، ودخلتني قوة من الفزع، فجعلت أمشي على ضعف وهي خلفي تنفث، فلم أزل أمشي وهي خلفي حتى بلغت ماء وسكن الحس، فالتفت فلم أرها، وشربت الماء، فنجوت، قال: وربما يكون بي غم أو علة، فأراها في النوم، فتكون بشارة لي بفرج غمي وزوال علتي.

(١) رواه أحمد في المسند من حديث محمود بن لبيد. ورواه عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري الحاكم في المستدرک (٢٠٨/٤) بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيَحْمِي عَبْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَتَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ».

(٢) الدينور (بكر الدال وفتح النون والواو): مدينة من أعمال الجبل قرب قريمين (معجم البلدان: ٦١٦/٢).

الباب الثالث والسبعون

لَطَائِفُهُ بِهِمْ فِي الْمَوْتِ وَبَعْدَهُ

قال أبو الحسن المعروف بالقزّاز: كنا في الفَجِّ، فأتانا شاب حسن الوجه عليه طُمران^(١)، فسلم علينا وقال: ههنا موضع أموت فيه نظيف؟ قال: فتعجبنا وقلنا له: نعم. فدللنا على عين بالقرب منا، فذهب فتوضأ وصلّى ما شاء الله، ثم انتظرناه ساعة، فلم يجئنا، فأتيناها، فإذا هوميت.

قال أصحاب سهل بن عبد الله: كان سهل على التُّخْتِ^(٢) يغسل وسبابته من يده اليمنى منتصباً يشير بها.

قال أبو عمرو الإصطخري: رأيت أبا تراب التخشبي في البادية قائماً، ميتاً، لا يمسكه شيء.

قال إبراهيم بن شيان^(٣): وافاني بعض المريدين، فاعتلّ عندي أياماً فمات، فلما أن أدخل في قبره أردت أن أكشف خدّه وأضعه على التراب تذليلاً لعلّ الله يرحمه، فتبسم في وجهي وقال لي: تذللني بين يدي من يدلّني؟ قال: قلت: لا يا حبيبي، أحياء بعد الموت؟ فأجاب: أما علمت أن أحبّاءه لا يموتون، ولكن ينقلون من دار إلى دار؟

وقال إبراهيم بن شيان أيضاً: كان عندي في القرية شابٌ من أهلها متنكراً ملازماً للمسجد، وكنت مشغولاً به، فاعتلّ، فأتيت في بعض الجمعات البلد للصلاة، وكنت إذا جئت البلد أقيم عند إخواني بقية يومي وليلي، فوقع عليّ الانزعاج بعد العصر، فأتيت القرية بعد العتمة، فسألت عن الفتى، قالوا: نظنه متوجعاً، فأتيته

(١) تثنية طُمر، وهو الثوب المخلق.

(٢) التخت: وعاء تصان به الشباب (المعجم الرسيط: ص ٨٢).

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن شيان القرميضي كان شيخ الجبل في وقته. صحب أبا عبد الله المغربي وإبراهيم الخوّاص، وكان شديداً على المدعين متمسكاً بالكتاب والسنة ملازماً لطريقة الأئمة والمشايع. (انظر طبقات الشعراني: ١/١١٣، وحلية الأولياء: ١٠/٣٦١).

لمست عليه وصافحته، فخرجت رُوْحُهُ مع المصافحة، فتوليت غلته، فغلطت في سبب الماء، أردت أن أصب على يمينه صبيت على يساره ويده في يدي، فانتزع يده من يدي حتى ذهب ما كان عليه من السُّدْر، فغشي على من كان معي، ثم فتح عينيه فيّ، ففزعت، وصلّيت عليه، ودخلت القبر أواريه، وكشفت عن وجهه، ففتح عينيه وتبسم حتى بدت نواجذه وثناياه؛ فسوينا عليه، وحكينا عليه التراب.

يشهد لصحة ذلك ما حدثنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الفارسي، حا نصر بن أحمد البغدادي، حا الوليد بن شجاع السكوني، عن خالد، عن نافع الأشعري، عن حفص بن يزيد بن مسعود بن خراش: أن الربيع بن خراش كان حلف أن لا يضحك حتى يعلم أهو في الجنة أم في النار، فمكث لا يراه أحد يضحك حتى مات - فيما يروون - فأغمضوه، وسجوه، وبعثوا إلى قبره ليحفر، وبعثوا إلى كفته، فأتي به. فقال ربي بن خراش: رحم الله أخي، كان أقومنا في الليل الطويل، وأصومنا في اليوم الحار! قال: فإنهم لجلوس حوله، إذ طرح الثوب عن وجهه، فاستقبلهم وهو يضحك. فقال له أخوه ربي: أبعث الموت حياة؟ قال: نعم! إني لقيت ربي، وإنه تلقاني برُوْحٍ وريحان وربّ غير غضبان، وإنه قد كساني سندساً وحريراً، ألا وإني وجدت الأمر أيسر مما ترون، فلا تغتروا، فإن خليلي محمداً ﷺ ينتظرني ليصلي عليّ، الوحي الوحي^(١)! ثم خرجت نفسه في آخر ذلك، كأنها حصاة قذفت في ماء^(٢). فبلغ ذلك عائشة أم المؤمنين، فقالت: أخو بني عبس! رحمه الله، سمعت رسول الله يقول: «يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ خَيْرِ التَّابِعِينَ».

(١) أي عجلوا وأشرعوا.

(٢) روى ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٣/٣) قصة أخي ربي بن خراش ولم يسمه، قال: عن عبد الملك بن عمير، عن ربي بن خراش قال: كنا إخوة ثلاثة، وكان أعبدنا وأصومنا وأفضلنا الأوسط منا، فغبت غيبة إلى السواد، ثم قدمت على أهلي فقالوا: أدرك أخاك فإنه في الموت! فخرجت أسعى إليه فأنهيت إليه وقد قضى وسجي ثوب، فقعدت عنه رأسه أبكيه، فرفع يده فكشف الثوب عن وجهه وقال: السلام عليكم! قلت: أي أخي حياة بعد الموت؟ قال: نعم! إني لقيت ربي فلقيني بروح وريحان وربّ غير غضبان، وإنه كساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، وإني وجدت الأمر أيسر مما تحسبون - ثلاثاً - وإني لقيت رسول الله ﷺ فأقسم أن لا أبرح حتى آتية، فعجلوا جهازي! ثم طفىء، فكانه أسرع من حصاة لو أقيت في ماء.

الباب الرابع والسبعون

مِنْ لَطَائِفِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ

قال أبو بكر القحطبي: كنت في مجلس سمنون^(١)، فوقف عليه رجل، فسأله عن المحبة، فقال: لا أعرف اليوم من أتكلم عليه يعلم هذه المسألة. فسقط على رأسه طائر، فوقع على ركبته، فقال: إن كان فهذا، ثم جعل يقول: وبشير إلى الطير: بلغ من أحوال القوم كذا وكذا، فشاهدوا كذا وكذا، وكانوا في حال كذا وكذا. فلم يزل يتكلم عليه حتى سقط الطير عن ركبته ميتاً.

قال أبو بكر بن مجاهد: سمعت أحمد بن سنان العطار يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: خرجت يوماً إلى نيل واسط^(٢)، فإذا أنا بطير أبيض في وسط الماء، وهو يقول: سبحان الله! على غفلة الناس.

قال جعفر: سمعت الجنيد يقول: لقيت شاباً من المريدين في البادية جالساً عند شجرة، فقلت: يا غلام، ما الذي أجلسك هنا؟ فقال: ضالاً افتقدته، فمضيت وتركته، فلما انصرفت إذا أنا به قد انتقل إلى موقع قريب مني، فقلت له: فما جلوسك الساعة هنا؟ قال: وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فلزمته.

فقال الجنيد: فلا أدري أي حاله أشرف، لزومه لافتقاده حاله، أو لزومه الموضع الذي نال فيه مراده.

قال أبو عبد الله محمد بن سعدان: سمعت بعض الكبار يقول: كنت يوماً جالساً

(١) سمنون بن حمزة الخواص، ذكر الشعراني كنيته أبا الحسن، وقال ابن الجوزي: يكنى أبا القاسم. أصله من البصرة ولكنه سكن بغداد. توفي بعد الجنيد. مسمى نفسه سمنوناً الكذاب، وصحب السري السقطي وغيره. (انظر صفة الصفوة: ٢٧٦/٢، وطبقات الشعراني: ٨٩/١).

(٢) لم أجد نيل واسط، ولكن قال ياقوت في معجم البلدان (٣٨٥/٥): النيل في مواضع: أحدها بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه نيل مصر. وقيل إن النيل هذا يستمد من صراة جاماسب . . . والنيل أيضاً: نهر من أنهار الرقة حفره الرشيد على ضفة نهر الرقة.

بحذاء البيت، فسمعت أنيأ من البيت: يا جدر، تنح عن طريق أوليائي وأحبابي،
فمن زارك بك طاف حولك، ومن زارني بي طاف عندي.

الباب الخامس والسبعون

في السَّماع

السمع: استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار
الأسرار لذوي الأشغال.

وإنما اختير على غيره مما يتروح إليه الطباع، لبعده النفوس عن التثبث به
والسكون إليه، فإنه من القضاء يبدو، وإلى القضاء يعود.

وأرباب الكشوف والمشاهدات استغنوا عنها بالأسباب الحاملة لهم تنزه
أسرارهم في ميدان الكشوف.

سمعت فارساً يقول: كنت عند قوطة الموصلية، وكان لزم سارية في جامع
بغداد أربعين سنة، قلنا له: ههنا قوال طيب، ندعوه لك؟ قال: أنا أجل من أن
يستقطعني شخص أو ينفذ فيّ قول، أنا ردم كله.

فالسمع إذا قرع الأسماع أثار كوامن أسرارها، فمن بين مضطرب لعجز الصفة
عن حمل الوارد، ومن بين متمكن بقوة الحال.

قال أبو محمد رُوم: إن القوم سمعوا الذكر الأول حين خاطبهم بقوله:
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] فكمن ذلك في أسرارهم كما كمن كون ذلك في
عقولهم، فلما سمعوا الذكر ظهرت كوامن أسرارهم، فانزعجوا، كما ظهرت كوامن
عقولهم عند إخبار الحق لهم عن ذلك، فصدقوا.

سمعت أبا القاسم البغدادي يقول: السماع على ضربين، فطائفة سمعت
الكلام فاستخرجت منه عبرة، وهذا لا يسمع إلا بالتمييز وحضور القلب. وطائفة
سمعت النعمة، وهو قوت الروح، فإذا ظفر الروح بقوته أشرف. على مقامه وأعرض
عن تدبير الجسم، فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة.

قال أبو عبد الله النبايجي : السماع ما أثار فكرة واكتسب عبرة، وما سواه فتنة .
قال الجنيد: الرحمة تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع : عند الأكل فإنه لا يأكل
إلا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا للضرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع
إلا عند الوجد .

تم الكتاب بحمد الله

الفهارس

١٨٣	فهرس المصطلحات
٢٠٠	فهرس الأعلام
٢١٠	فهرس الأعلام المترجم لهم في الحواشي
٢١٤	فهرس الآيات القرآنية
٢٢٠	فهرس الأحاديث النبوية
٢٢٥	فهرس القوافي
٢٢٩	فهرس المحتويات

فهرس المصطلحات

- أ -

- آثار = أثر
- الأخر (صفة الله تعالى): ٣٥
- الآفات: ١١٧
- آفات النفس: ٩٩
- الآباطيل: ١٧٠
- الأبد: ٥٥
- الاتصال: ١٦٠ ، ١٥٥ ، ١٢٧
- اتصال البين: ١٢١
- الإثبات: ٤٢ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٠١
- إثبات الوصف: ١٠٦
- أثر (آثار): ٩ ، ١٦٢
- الإجبار = الجبر
- الاجتهاد: ١٥٨
- الإجلال: ١٦١ ، ١٣٣
- الإحاطة: ١٥١
- أحباء الله: ١٧٥ ، ١٧٨
- الاحتجاب: ١٣٧
- الإحسان: ٥٤ ، ١٨٨
- الأحوال = الحال
- أحوال السامعين: ١٠٢
- أحوال الغيب: ١٤٢ ، ١٥٨
- الإحياء: ٧٤
- الاختصاص: ٨٧ ، ٨٨
- الاختيار: ٥٢ ، ١٢٠
- اختيار الإيمان: ٥٣
- الإخلاص: ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥٥
- الأخلاق الطبيعية: ١٩
- الأدب: ١٣٣ ، ١٣٤
- الإدراك: ١٢٤
- الإدراك بالأبصار: ٤٦
- الأذكار = الذكر
- الإرادة: ٣٨
- إرادة الإيمان: ٥٣
- أرباب الأحوال: ١٧٨
- أرباب الكشوف: ١٧٨
- أرباب المجاهدات: ١٦٢

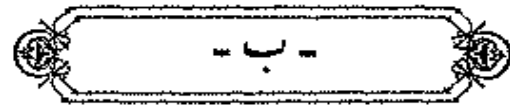
أصحاب المعاملات: ١٦٢	أرباب المشاهدات: ١٧٨
الأصلح: ٥٤، ٥٣	أرباب المواجيد: ١٤٩
الاعتقاد: ٩٤	الأرزاق: ١١٢
الأطماع: ١٦١	الأزل: ٤٣، ٥٥، ٥٦، ١٦٠
الأعراض: ١٣١، ١٤٥، ١٦٠	الأسباب: ١٠٤، ١٠٦، ١٢٩، ١٣٩
أعلام الإشارة: ١٠٣	الاستتار: ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢
أعلام الكشوف: ١٥١	استحسان الإيمان: ٥٣
أعلام الولاية: ٨٨	الاستحقاق: ٦٧
الأعمال المقربة إلى الله: ٩٦	الاستدراج: ٨٧
الأعواض: ١١٩، ١٢٢، ١٣١، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠	الاسترسال: ١٠٥
الأعيان: ٤٩، ٨١	الاسترسال بين يدي الله تعالى: ١١٩
الأغيار: ٧٨، ٩٦، ١٢٥، ١٢٩، ١٤٣، ١٤٤	الاسترسال مع الحق: ١٠٥
الافتقار: ١٥٥	الاستسلام لجريان القضاء: ١١٨
الأفضال: ١٣٣	الاستطاعة: ٥٠
الأفعال: ٤٩، ٥١، ١٣١، ١٦١، ١٦٢	الاستهلاك: ١٢٨
الأفعال المكتسبة: ١٤٦	الاستيفاء: ١٢٨
الأفهام: ١٦٠	أسرار = سر
الإقرار: ٨٩	الاسم: ٧
الأقوال: ١٥٣، ١٦٦	أسماء الله تعالى: ٤٠
الأكابر = الكبراء	الأسماع: ١٧٨
الاكتساب: ٥١، ٥٢، ٩٨، ١٠٣، ١٤٨، ١٤٧، ١٠٤	إشارات = إشارة
اكتساب الإيمان: ٥٢	إشارة (إشارات): ٧، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٣٠، ١٥٠
اكتساب الطاعة: ٥٢	الأشكال: ١٣١
اكتساب الكفر: ٥٢	الأشياء: ١٥٧
	الإصابة: ١٢٩
	أصحاب الأعراف: ١٥٨

أهل التوكل : ٩٧	اكتساب المعصية : ٥٢
أهل الرسوم : ١٦٤	الإكراه : ٥٢
أهل الصدق : ١٧	الأسنة : ١٦٠
أهل الصفاء : ١١٩	الألطف = اللطف
أهل الصفة : ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٠٤	الألوهية : ٩٣
أهل العبارة : ١٠٣	أليف النفس : ١٢٤
أهل الكفاية : ١١٩	أمارات الاختصاص : ٨٨
أهل المعرفة : ٧٠	الأمر : ٤٢ ، ٥١
أهل المعرفة بالله : ١٥٨	الأمر بالمعروف : ٦٢
أهل الملّة : ١١٤	الأملك : ١٠٩
الأهراء : ٩٣	الأمن : ٨٢ ، ٩٠
أوراد (ورد) : ١٤٩	أمير القلوب : ١٦٤
الأوصاف : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤	الأنبياء : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٤٣ ، ١٤٨
أوصاف البشرية : ١٤٥ ، ١٤٩	الانخلاع من الحول والقوة : ١١٨
أوصاف الحق : ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠	الأنس : ١٢٥
الأوقات : ١٠٥ ، ١٥٠	الانفراد : ١١٦ ، ١٤١
الأول (صفة الله تعالى) : ٣٥	انفصال ما بين البين : ١٢١
الأولياء : ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١	الانقياد : ٩٤
٨٢ ، ٨٧ ، ١١١	الأنوار : ٧٧
أولياء الله : ١٧٨	أنوار المتصوفة : ٦
الإيثار : ١٢٧	أهل الاجتهاد : ٩٥
الإيثار : ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٢٨	أهل الإرادة : ١٧٢
إيثار الإيثار : ١٠٣	أهل الاستنباط : ٩٥
الإيقان : ٤٦	أهل الانفراد : ٧١
إيمان الأمانة : ١٠٢	أهل التصوف = المتصوفة

التبري: ١١٦
التبوع: ١٠٩
التجريد: ١٣١، ١٥٣، ١٦١، ١٦٩،
١٧٠

تجريد التوحيد: ١٠٣
التجريد عن العلائق: ١٦١
التجلي: ١٤٠، ١٤١، ١٤٢
تجلي حكم الذات: ١٤٠، ١٤١
تجلي الذات: ١٤٠
تجلي صفات الذات: ١٤٠، ١٤١
تحريم الادخار: ١٠٣
التحصّل: ٧١
التحصيل: ١٤١
التحقيق: ٧، ٩٤
التحرّير: ١١٨، ١٥٥
التخلق: ٧٤
التخليق: ٣٨، ٣٩
التربية: ١٤٨
ترك الاختيار: ١٠٣
ترك الاكتساب: ١٠٣، ١٠٤
ترك الأوطان: ١٨
التسليم: ٧٧، ١٦٦
التشبيه: ١٠٣
التثبّت: ١٣٩
التصديق: ٧
التصوف: ١٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥،
١٠٦، ١٢٠

الإيمان الحقيقي: ١٤٨
الإيمان الرسمي: ١٤٨
إيمان العقد: ١٠٢
الإيواء: ١١٩



الباطن (صفة الله تعالى): ٣٥، ٣٤
الباطن (البواطن): ١٤، ٧٢، ٨٩،
٩٠، ٩١، ٩٤، ١٠١، ١٣١، ١٣٢
الباقي: ١٣٧، ١٤٣، ١٤٦
الباقي بالحق: ١٤٣
البداء: ١٤٧
البدلاء: ١٦٣
البّر: ٩٤
البُعْد: ١٢٣
البعيد (صفة الله تعالى): ٣٤
البقاء: ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤،
١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠
بقاء الأوصاف: ١٤٦
البلاء: ١٢٨، ١٣١، ١٣٦، ١٦١
البواطن = الباطن

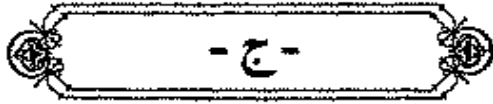


التأديب: ١٥٠
التأمل: ١٥٣
التأييد: ٧٧

توبة العام: ١٠٩
التوحيد: ٧، ٣١، ١٠٤، ١٥٣، ١٥٤،
١٥٦
التوفيق: ١٦٠
التوقي: ١٦٥
التركول: ٩٧، ١٠٤، ١١٨، ١١٩،
١٥٧، ١٢٠
توكل العناية: ١١٩
توكل الكفاية: ١١٩



الثواب: ٥٤، ٦٧، ١٣٦، ١٤٣
ثواب السبق: ١٦٤



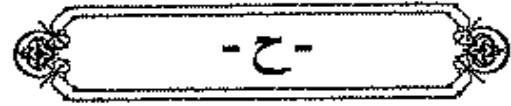
الجبار: ٧٧
الجبر: ٥٢
الجذب: ٨٧
جذبة القدرة: ١٥٨، ١٥٩
جريان الحكم: ١٢٠
الجسد: ٧٤
الجسم: ٤١
الجفاء: ١٨
الجلال: ٣٩
الجمع: ١٢٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠،
١٤٦

التصوير: ٣٨
تعب الوقت: ١٧٨
التعبد: ١٥٩
التعرف: ٧٠
التعريف: ٧٠
التعطيل: ١٠٣
التعظيم: ١٤١، ١٥٣
التعلم: ٩٨
التفرقة: ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦
التفريد: ١٣١، ١٥٣
التفريد بالحقائق: ١٦١
التفريق = التفرقة
التفويض: ٥٢، ٧٧
التقرب: ١٢٦
التقصير: ١١٧، ١٥٢
التقوى: ١١٦
التكوين: ٣٨، ٣٩
التمييز: ١٣٦، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٣،
١٧٨
تهذيب أخلاق النفس: ٩٩
التواجد: ١٣٢
التواضع: ١١٤
التوبة: ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٦٩
توبة الاستجابة: ١٠٨، ١٠٩
توبة الإنابة: ١٠٨
توبة الأنبياء: ١٠٩
توبة المخاص: ١٠٩

حالة البقاء: ١٥٠
 حالة العدم: ١٣٩
 حالة الفناء: ١٤٦
 حالة الوصل: ١٤١
 الحَبّ: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦
 الحبيب: ٧٧
 حجاب (حُجَب): ٦، ٧٦، ١٢١
 حُجَب = حجاب
 حجة الأثر: ١٦٢
 حجة البشرية: ١٤١، ١٤٢
 الحدّ: ٩٣

الحدث: ١٥٣
 الحركات: ٧٤، ١٤٣، ١٥٦، ١٦٠
 الحسّ: ١٧٤
 حسن العشرة: ١٠٣
 الحشمة: ١٢٥
 حُضَار (حاضر): ٦
 حضور القلب: ١٧٨
 الحظ = الحظوظ
 الحظوظ: ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢،
 ١٥١، ١٤٩
 حظوظ النفس: ١١٦، ١٢٣، ١٣٦،
 ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤
 حظوظ الغير: ١٤٤
 الحفظ: ١٤٨
 حفظ الأوقات: ١٠٥
 الحفاظ: ١٥٢

جمع الهمة: ١٣٨
 الجهاد: ١٦٢
 جهد البلاء: ١٦١
 الجهل: ٣٦
 الجوارح: ١٥٧
 الجوعيّة (الصوفية): ١١
 الجور: ٥٥
 الجوهر: ٤١، ٧٥

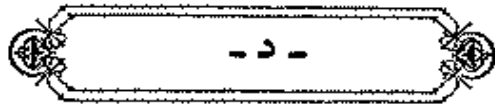


حَاضِر = حُضَار

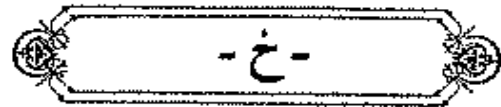
الحال (الأحوال): ١١، ٨٧، ٩٣،
 ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦،
 ١٠٧، ١١٢، ١١٦، ١٢٩، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩،
 ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩،
 ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٧،
 ١٧٨

حال الجمع: ١٣٨
 حال السُّكْر: ١٣٦
 حال السكون: ١٣٥
 حال الصحور: ١٣٦
 حال العبودية: ١٣٧
 الحالة: ١٥٦
 حالة الانفراد: ١٤١

الخالق : ٧٤	الحق : ١٨ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٢
الخبر : ٤٢	الحقائق = الحقيقة
الخدمة : ١٥٢	حقائق الإيمان : ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٦
الخصوص : ١٤٩	حقائق المعرفة : ١٥١
الخضوع : ٩٤	حق الله تعالى : ١٥٤
الخلق (صفة) : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٤٩ ، ٤٤ ، ٤٩	الحقيقة (الحقائق) : ٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٦ ، ١٦٦
الخلق : (المخلوقون) : ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٧٠	الحكمة : ٩٩
خلق الأفعال : ٤٨	الحوادث : ٨٧
خلق الله تعالى : ٧٤ ، ٤٩	الحول : ١١٨
خلق العباد : ٤٩	الحي : ٧٤
الخليل : ٧٧	الحياء : ١٣٣
الخواطر (الخاطر) : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠	الحياء من الله : ٩٣
خواطر الانصراف عن الله : ٩٤	الحيرة : ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦
خواطر السوء : ٩٨ ، ١٤٧	
خواطر الهجوس : ١٠٦	
الخوف : ٥٧ ، ٨٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٥٢	
الخير : ١٥٢	



درك الشقاء : ١٦١
الدعاء : ١٦٦
دلائل الحق : ١٤٧



الخاطر = الخواطر
خاطر استدلال : ١٤١
الخالص من الأعمال : ١١٧
خالصة الله : ١١٣

الرجاء: ٥٧، ٨٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٥٢
الرسول (الرسول): ٧٥، ٧٧، ٨٠
الرسم (الرسوم): ٥، ٦، ١٠٦، ١٣٢،
١٣٩، ١٤٦، ١٥٢، ١٦٤

الرسول = الرسل

الرسم = الرسوم

الرضا: ١٢٠، ١٢١، ١٦٢، ١٦٣،
١٦٦

الرفيق: ١٦٦

الرق: ١٥٩، ١٦٠

رمز = رموز

رموز (رمز): ٩٧، ١٥٠

الروح: ٧٣، ٧٤، ١٢٤، ١٧٨، ١٧٩

الرؤيا: ١٧١، ١٧٢

الرؤية: ١٦٩

رؤية الأفعال: ١٥٥

رؤية الله تعالى: ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨

رؤية الحق: ١٥٣، ١٦١

رؤية الخلق: ١٦١

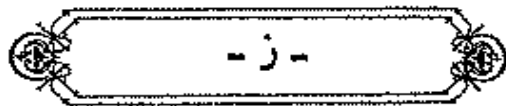
رؤية الطاعة: ١٦٠

رؤية الفضل: ١٥٩

رؤية النبي ﷺ: ٤٧

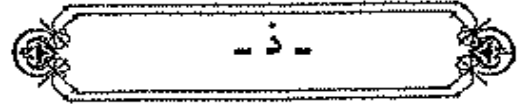
الرياضة: ١٣٨

رياضة النفس: ٩٩، ١٠٤



الزهد: ١٠٩، ١١٠

الدهش: ١٢٨
دهشة التلاقي: ١٥٣
الدواعي النفسانية: ١٩



الذات: ١٤٠، ١٤١

ذات الله تعالى: ٣٨، ٤٣

ذات الحق: ١٤٢

الذُّكْر (الأذكى): ٣٧، ٩٣، ١١٤،

١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥،

١٥١، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢

الذكر الأول: ١٧٨

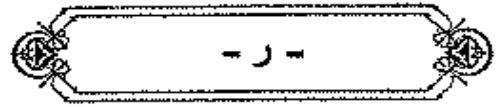
ذكر أوصاف المذكور: ١٢٤

ذكر القلب: ١٢٤

الذم: ١٥٥

ذو الأشغال: ١٧٨

ذو التلويح: ١٦٢



ربّاني (ربانيون): ٦

ربانيون = رباني

الربوبية: ٥١، ٦٩، ٨٢، ١١٧، ١١٩،

١٥٣، ١٥١

رتبة النبوة: ١٤٨

رتبة الولاية: ١٤٨

السلوك (سلوك الطريق): ٧

السلوة: ١٢٧

السماع: ١٠٣، ١٧٨، ١٧٩

السمو: ١٣١

السياحون: ١١

السياسة: ١٥٠

شاهد: ٩٤، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩

١٤٥، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٠

شاهد التعظيم: ١٤١

شاهد الجمع: ١٣٩

شاهد الحق: ١٣٣، ١٣٨، ١٥٥

الشبهات: ٩٦، ٩٨، ١٤٧

الشفاعة: ٥٧، ٥٩، ٦٠

الشفاء: ١٦١

الشفاعة: ٦٦، ٦٧

الشك: ١٢١، ١٤٧

الشكر: ٣٨، ١١٧، ١١٨، ١٣٥

١٥٧

الشكفية (الصوفية): ١١

الشكوك = الشك

الشهود: ١٢٦، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦

١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٢

شهود التحصيل: ١٤١

شهود الحركات: ١٤٤

السابق: ١٥١

السباق: ١٨

السبق: ١٥٢

سَرَّ (أسرار): ٥، ٦، ٩، ١٧، ٦٥

٦٩، ٧٨، ٨٧، ٨٨، ٩٤، ١٠٠

١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٩، ١٢٧

١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩، ١٤١

١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢

١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٠

١٧٨

سر الفؤاد: ١٥٩

سراج الفؤاد: ١٥٩

السرائر: ٦، ١٠، ٦١، ٩٩

سرائر الحق: ١٤٢

سرعة الوجد: ١٠٣

السرور: ١٦٠

سرور القلب: ١٢٠

السعادة: ٦٦، ٦٧

السكنات: ٧٤

السُّكْر: ١٣٥، ١٣٦، ١٤٦

السكون: ١١٢، ١٣٥

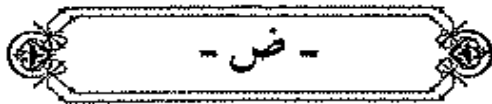
سكون القلب: ١٢٠

السكينة: ١٤٣

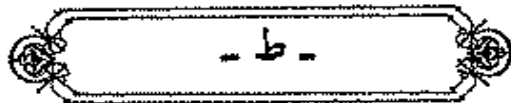
السلام (اسم الله تعالى): ٩٠، ٩٢

سلب: ١٠٥، ١٤٨

٩٢ ، ٧٠ ، ٤٤ ، ٤٣
 الصفات البشرية : ١٩
 صفات الذات : ١٤٠
 الصفات الروحانية : ١٩
 صفات المخلوقين : ٤٣
 الصِّفة (الصفات) : ٧ ، ٩١ ، ١٥١ ،
 ١٧٨ ، ١٦٠
 صفة الله تعالى = صفات الله تعالى
 الصفوة : ٥
 الصِّفِيَّة (الصوفية) = الصوفي
 الصمد : ١٤٥ ، ١٥١
 الصمدية : ٣٨ ، ١٥١
 الصوارف : ٨٧
 صَوْر = صورة
 صورة (صَوْر) : ١٥٨
 الصوفي (الصوفية) : ٧ ، ١٠ ، ١٢ ،
 ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٤٨ ، ٨١ ، ٩٧ ،
 ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٦٤
 الصوفية : ٩
 الصوفية (جماعة) = الصوفي

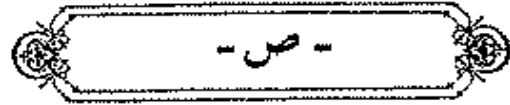


الضر : ١٥٥



صفات الله تعالى : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، الطاعة : ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠

شهود الحق : ١٣٨
 شهود الخاطر : ١٥٢
 شهود العيان : ١٣٧
 شهود الغيب : ١٤٢
 شهود المخالفات : ١٤٤
 شهود المذكور : ١٢٤
 شهود الموافقات : ١٤٤
 شهود الوجود : ١٣٣
 الشهوات : ٧٤
 الشاهد : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٠
 الشوق : ١٢٤ ، ١٣٢
 الشيخ (المشايع) : ٧ ، ٤٨ ، ٧١



صاحب الحال : ١٠٧ ، ١٥١
 صاحب الشُّكر : ١٣٦
 الصاحي : ١٣٦
 الصباية : ١٥٦
 الصبر : ١١٠ ، ١١١ ، ١٣٥
 الصحو : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦
 الصَّدِيق (الصديقون) : ٧٦ ، ٧٧
 الصَّدِيقون = الصديق
 الصراط : ٦٠
 الصفاء : ١٨ ، ١٥٩
 الصفات = الصِّفة

الطريق: ١٤٩ ، ١٧٤

الطمأنينة: ١٢٠

الطمع: ١٤٣ ، ١٥٩

العجز: ٣٦

العدل: ٥٤

العدم: ١٣٩ ، ١٥١

العرش: ٦ ، ٧٧

العرّض: ٤١ ، ٥١

العز: ٣٨

العزوف عن الدنيا: ١٥٨

العصمة: ٨١ ، ١٤٢ ، ١٤٨

العظمة: ٣٩

العقاب: ٥٤ ، ٦٧ ، ١٤٣

العقود: ١٤٧

العقول: ١٦٠

العِلْم: ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٧٢ ، ١٠٣ ،

١٢١ ، ١٤٧ ، ١٦٣

علم الله تعالى: ٣٧ ، ٧٣ ، ١٣٩

علم الباطن: ١٠١

علم المعرفة: ٩٩

العلة: ٥٥ ، ١٢٨ ، ١٥٨

العلوّ: ١٣١

علوم الإشارة: ٢٧ ، ١٠٠

علوم الاكتساب: ٣٠

العلوم الحقيقية: ١٩

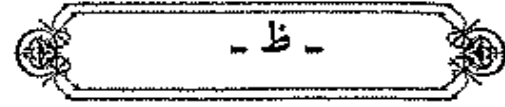
علوم الخواطر: ٩٩

علوم الدراسة: ٦

علوم الصرفية: ٢١

علوم المشاهدات: ٩٩

علوم المكاشفات: ٩٩



الظاهر (صفة الله تعالى): ٣٤ ، ٣٥

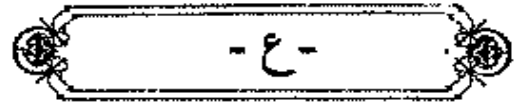
الظاهر (الظواهر): ١٥ ، ٦٨ ، ٧٢ ،

٧٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٩ ،

١٣١ ، ١٣٢

الظلم: ٥٥

الظواهر = الظاهر



العارف (العارفون): ٧٦ ، ١٠٣ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،

١٥٧ ، ١٥٦

العارفون = العارف

العالم: ١٦٣

عبارات = عبارة

عبارة (عبارات): ٧ ، ١٠٣

العبرة: ١٧٩

العبودية: ٥١ ، ٦٩ ، ٨٢ ، ١١٩ ،

١٣٧ ، ١٦٠

العتاهة: ١٥٠

العجب: ١٧٠

١٤٦ ، ١٦١ ، ١٧٢
غية الاستار والاحتجاب : ١٣٧
غية شهود الضر والنفع : ١٣٧
الغنية عن صفات البشرية : ١٤٥
الغَيْر : ١٣٩
الغيوب = الغيب

- ف -

الفاقة : ١٧١
الفاني : ٧٠ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠
الفاني عن نفسه : ١٤٣
الفتنة : ١٤٨ ، ١٧٩
فتنة الدنيا : ٩٩
فتنة الوقت : ١٦٢
فراسات = فِراسة
فِراسة (فراسات) : ٦ ، ١٥ ، ١٥٠ ،
١٦٩ ، ١٧٠
الفرح : ١٦٠
الفرق = التفريق
الفريد : ١٣١
الفرع : ١٧٤
الفسق : ١٦٥
الفصل : ١٦٠
الفضل : ٥٤ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٩
فضل الله تعالى : ١٦٠

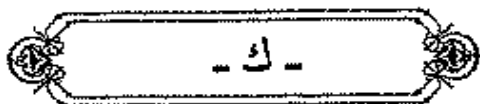
علوم المواريث = علوم الوراثة
علوم الوراثة : ٦ ، ٣٠
العمل : ١٥٩
العوارض : ١٤٧
عواقب المصير : ١٥٢
العوائد : ١٦٠
عوض = أعواض
العين : ٩١
عين الذكر : ١٢٣

عين القلب : ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٤٨
عيون الرؤوس : ١٣٧ ، ١٤٨
عيون القلوب = عين القلب

- غ -

غائب = غُيِّب
الغايات : ١٥٢
الغرائب : ١١
الغفران : ٣٨
الغفلة : ١٠٩ ، ١٢٢
غلبات وجود الحق : ١٣٥
الغلبة : ١٣٣ ، ١٣٥
الغم : ١٥٦
الغنى : ١٥٢
الغيب : ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٣
غُيِّب (غائب) : ٦ ، ٩٤ ، ١٤٨
الغيبية : ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،

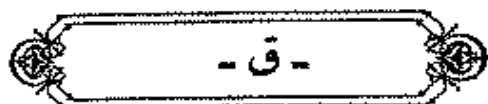
القرب: ٨٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦،
 ١٤٦
 قرب الله تعالى: ١٦٨
 القرية: ٧٧
 القريب (صفة الله تعالى): ٣٤
 القسمة: ١٥٢
 القضاء: ١٧٨
 القنوع: ١٢١، ١٧٠
 القوم (المتصوفة): ١٥٠
 القوة: ٣٨، ٥١، ١١٨
 القياس: ١٥٣



الكبار = الكبراء

الكبراء: ٧٠، ٧١، ٧٧، ١١٣، ١١٨،
 ١٢٠، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٩،
 ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢،
 ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٦١،
 ١٦٣، ١٦٥، ١٧٧
 الكبرياء: ٣٨
 كثرة الأسفار: ١٠٣، ١٠٤
 الكثيف واللطيف: ٧٤
 الكرامات = الكرامة
 الكرامة (الكرامات): ٧٩، ٨١، ٨٢،
 ٨٧
 الكربة: ١٥٦

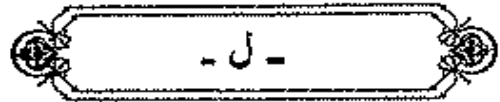
الفاعل: ٣٩، ٥٠، ٥١، ٧٨، ١١٧
 الفقد: ١٣٩، ١٤٠
 الفقر: ١١٢، ١١٦، ١٥٢، ١٦٤
 الفقراء (الصوفية): ١٢، ١١٣، ١١٧،
 ١٦٦، ١٣٦
 الفقير: ١٦٥، ١٧٩
 الفكر: ١٢٤
 الفناء: ١٢٦، ١٣١، ١٣٧، ١٤٢،
 ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨
 الفناء عن الحركات: ١٦٠
 فناء الحفظ: ١٤٤
 فناء الشواهد: ١٥٥
 فناء الغيبة عن الأشياء: ١٤٤
 فناء النفس عن الأسباب: ١٠٦
 فهم السماع: ١٠٣
 الفوائد: ١٦٠



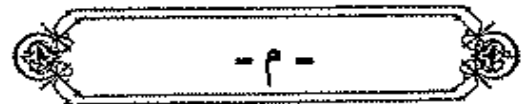
القال: ١٥٣

القدر: ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٦٤، ٧٣،
 ١٦٥
 القدرة: ٣٦، ٣٨، ٣٩
 قدرة الله تعالى: ٣٧، ٤٩
 القدم: ١٥٣
 القديمي = القديم
 القديم: ٧٠، ١٥٣

المتحقق (المتحققون): ٧، ١٠٦	الكرم: ٣٨
المتحققون = المتحقق	الكشف: ١٣٠
المتصوف = الصوفي	الكشف عن الخواطر: ١٠٣، ١٠٤
المتصوفة (المتصوف) = الصوفي	الكشوف: ١٤٨، ١٥١، ١٥٨، ١٧٨
المتفرس: ١٥٠	كشوف العيان: ١٤١
المتكلمون: ١٠٢	كشوف القلب: ١٤٠
المتنبىء: ٨٠	الكفاية: ١١٩
المتوحد: ١٣١	كلام الله تعالى: ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٧٠
المتوكلون: ١٦٨	كلام المخلوقين: ٤٢
المتولي: ١٥٢	الكمال: ٧٧
مجانبة النهى: ١١٦	كُنْ (الأمر من كان): ٧٤
مجاهدات = مجاهدة	
مجاهدة (مجاهدات): ٦، ١٣٨،	



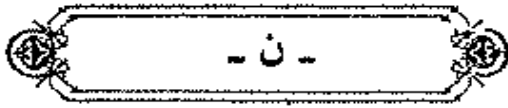
١٥٩، ١٦٢، ١٦٥	لزوم الأسفار: ١٨
المجتبى: ١٣١	لطائف الحق: ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥
المجموع: ١٤٦	اللطيف (الألطف): ٥٤، ٦٩، ٧٠،
المحب: ١٢٥، ١٢٨	١٦٨، ١٥٨
المحبة: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٥٢،	اللطيف والكثيف: ٧٤
١٧٧	
محبة الإقرار: ١٢٩	
محبة الوجد: ١٢٩	
المحروب: ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠	
المُحدَث (المحدثون): ٤٣، ٤٤، ٦٩،	
٧٠	
المحققون: ١٤٦	
المحو: ١٣٩، ١٥٦	
محو الرسم: ١٠٦	



المائة = الماهية	
الماهية: ٤٢	
مباينة النفس: ١١٦	
المبشرون: ٨٤، ٨٦، ٨٧	
مناجات التوحيد: ١٥٦	

المحیی: ٧٤	المعارف: ١٥٦
المخالقات: ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ٨٤	معاملات = معاملة
مخالقات الحق: ١٤٣	معاملة (معاملات): ٦، ١٥٩، ١٦٢
المختصون: ١٤٩	المعجزات = المعجزة
المخلوق: ٤٤	المعجزة (المعجزات): ٧٩، ٨٠، ٨١
المدح: ١٥٥	المعدوم: ١١٢
مَرَّ القضاء: ١٢٠	المعرفة: ٧٢، ٧٣، ١٠٤، ١٥١،
المراد: ١٥٨	١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨
مراعاة الأحوال: ١٢٩	معرفة الله تعالى: ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢،
مراقبة الأغيار: ١٢٩	٧٣، ٩٣
المردودون: ١٤٩	معرفة التعرف: ٧٠
المرسلون = الرسل	معرفة التعريف: ٧٠
المريد: ١٥٨، ١٥٩، ١٧٧	معرفة الحق: ١٥١
المريد المراد: ١٥٩	معرفة الحقيقة: ١٥١
المريدون = المريد	معرفة الخلق (المخلوقون): ٧٧
المسبوق: ١٥١	معرفة النفس: ٩٩
المشاهدات = المشاهدة	المعصية: ١٤٩، ١٦٣
مشاهدات أحوال الغيوب: ٩٢	المعلول: ١٥٣
مشاهدات الأسرار: ١٢٧	المعنى: ٧
مشاهدات القلوب: ١٠٠	المفارق: ١٤٦
المشاهدة (المشاهدات): ٧٧، ٨٧،	المفردون: ١٢٢
٩٩، ١١٤، ١٢١، ١٢٣، ١٤٧، ١٧٨	المقام (المقامات): ٢١، ١٠٠، ١٠١،
مشاهدة الأحوال: ١١٦	١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١١٩، ١٣١،
المشايخ = الشيخ	١٤٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٨
مشهود: ١٣٣	مقام الأمانة: ١٠٢
المشيئة: ٥٧، ٦٦	مقام البقاء: ١٤٩
المعاد: ١٦٢	مقام الدهول: ١٢٧

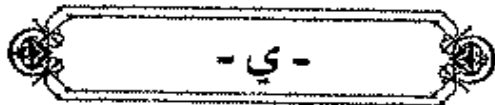
الموحد بالحال: ١٥٣
الموحد بالقول: ١٥٣
الموحدون = الموحد
المؤمن (اسم الله تعالى): ٩٢، ٩٠
الميزان: ٦٠
ميل القلوب: ١٢٨



ناظر إجلال: ١٤١
النبوات = النبوة
النبوة (النبوات): ١٤٨، ٨١، ٨٠
النبيون = الأنبياء
النبى = الأنبياء
النجباء = النجيب
النجيب (النجباء): ٥
النشر: ١٠٦
النصيب: ١٥٤
نعت (نعوت): ٦، ٩٣، ١٥١، ١٥٣، ١٦٠
نعت السكر: ١٣٦
نعت الصحو: ١٣٦
النعمة: ١٥٥
نعوت = نعت
نعوت الإلهية: ١٤٥
نعوت الرسم: ١٣٩، ١٤٠
النفع: ١٥٥

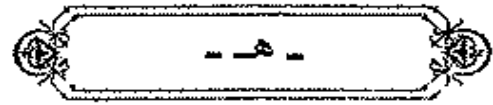
المقامات = المقام
مقامات الاختصاص: ١٤٨
مقامات التوكل: ١١٩
مقامات المعرفة: ١٥٧
المقرب: ١٣١
المكاسب: ٩٦
المكاشفات = المكاشفة
مكاشفات الأسرار: ١٠٠
مكاشفات القلوب: ١٢٧
المكاشفة (المكاشفات): ٨٧، ٩٩، ١٢٢، ١٤٠
المُلك: ١٣١
مللمات النفوس: ١٠٦
المنازلات: ١٠٠
المنعم: ١١٨
المنن (المنّة): ١١٨، ١٣٣
المنّة = المنن
المهيمن (اسم الله تعالى): ٩٠، ٩٢
المواجيد: ٢١، ١٠٠، ١٤٩، ١٦٤
مواجيد الأذكار: ١٥١
مواجيد الحق: ١٥٤
مواريث الأعمال: ٩٧
الموافقات: ١٤٣، ١٤٤
موافقات الحق: ١٤٣
الموافقة: ١٢٨
الموجود: ٤٥، ١١٢
الموحد (الموحدون): ١٥٤، ١٦٠

وجود التكرّره: ١٣٦
وجود الحق: ١٥٤
الوحدانية: ٧١، ١٥١
الوحشة عن الحق: ١٦٠
الوحي: ٨٠
الوداد: ١٢٤، ١٢٥
ورّد = أوراد
الوسم: ١٥٢
الوصف: ٩٣، ١٠٦
الوصل: ١٤١، ١٦٠، ١٦١
الوصلة: ١٠٦
الوصول: ١٤١
وظائف الحق: ١٤٩، ١٥٢، ١٦٠
الوعد: ٤٢، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٨
الوعيد: ٤٢، ٥١، ٥٦، ٥٧، ٥٨
٥٩، ٦٨
الوفاء: ١٥٩
الوقت: ٩٣، ١٣٩، ١٤٦، ١٥٠
١٥٨، ١٦٢، ١٧٨
وقت المصادفة: ١٥٠
الولاية: ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ١٤٨،
١٧٠
الولي = الأولياء
الوهم: ١٢٤

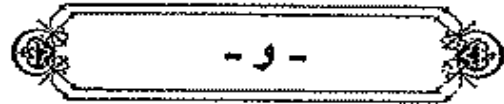


اليقين: ٥٢، ١١٦، ١٢١، ١٢٢

النفي: ١٠١
النهايات: ١٥٢
النهى: ٤٢، ٥١
النهى عن المنكر: ٦٢
نور الصفاء: ١٥٩
النورية (الصوفية): ١٥



الهاتف: ١٦٨، ١٦٩
الهاجس (الهجوس): ١٠٦
الهجوس = الهاجس
الهداية: ٥٤
الهديان: ١٠٢
همم = همّة
همّة (همم): ١٠، ١٧، ٩٣، ١٣٨
الهيئة: ١٢٥، ١٣٣، ١٦١



الواجب: ١٥٩
الواجد (الواجدون): ٧١
الواجدون = الواجد
الواحد: ١٤٥
الوجد: ٩٣، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٩
١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠، ١٧٩
الوجود: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩

فهرس الأعلام

أ -

أحمد بن السيد حمدويه : ١١٥
 أحمد بن عاصم = أبو عبد الله الأنطاكي
 أحمد بن عطاء البغدادي (أبو العباس) :
 ٢٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ١٠٢ ،
 ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٤ ،
 ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤
 أحمد بن علي : ١٧٠
 أحمد بن عيسى الخزاز = الخزاز
 أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد = الخواص
 أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل : ١٧٣
 إسحاق بن محمد بن أيوب = النهرجوري
 أسماء بنت أبي بكر : ٤٧
 أبو أمامة الباهلي : ١٥ ، ١٧٠
 أنس بن مالك : ٤٧
 الأوراجي (أبو علي) : ٢٨
 الأوزاعي : ١٣٦
 أويس القرني : ١٦ ، ٢٢ ، ١٥٠
 أبو أيوب (مولى بني هاشم) : ١١٩

آدم (عليه السلام) : ٧٨ ، ١٤٩
 إبراهيم (عليه السلام) : ٧٧ ، ٩٢ ، ١٢٥
 إبراهيم بن أحمد = الخواص
 إبراهيم بن أدهم : ٢٣ ، ١٥٩
 إبراهيم الخواص = الخواص
 إبراهيم الدقاق : ١٠٩
 إبراهيم بن شيان : ١٧٥
 إبراهيم المارستاني : ١٢٥
 إبراهيم بن الهيثم البلدي : ١٧٠
 إبليس : ١٤٩
 الأبهري (أبو بكر بن طاهر) : ٢٦
 أبي بن كعب : ١٥٧
 أحمد بن الحواري الدمشقي : ٢٤
 أحمد بن حيان التميمي : ١٧٣
 أحمد بن خضروه البلخي : ٢٥
 أحمد بن السمين : ١٧٣
 أحمد بن سنان العطار : ١٧٧

بلال الحبشي : ١٥٠
البلخي = أبو عبد الله البلخي
بندار بن الحسين : ١٨

ت -

أبو تراب النخشي : ١٧٥
الترمذي = الحكيم الترمذي
الترمذي = الوراق الترمذي

ث -

ثواب بن يزيد الموصلي : ١٧٠

ج -

جبريل (عليه السلام) : ١٠١
الجريري (أبو محمد الحسن بن
محمد) : ٢٨ ، ١١٢ ، ١٦٧
جعفر : ١٧٧
جعفر بن محمد الخلدي : ١٦٧
جعفر بن محمد الصادق : ٢١ ، ٨٨
ابن الجلاء (أبو عبد الله) : ١١٢ ، ١١٥ ،
١٧١
الجنيد بن محمد بن الجنيد (أبو القاسم)
الخرزاز القواريري) : ١٩ ، ٢٧ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩

ب -

الباقر (محمد بن علي) : ٢١
بشر بن الحارث = بشر الحافي
بشر الحافي (بشر بن الحارث) : ١٠ ،
٢٤

أبو بكر بن أبي حنيفة : ١٦٥
أبو بكر السبّاك : ٧١
أبو بكر الثبلي (دلف بن جحدر) =
الثبلي

أبو بكر الصديق : ١٦ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧١
أبو بكر بن طاهر الأبهري = الأبهري
أبو بكر القحطي : ٢٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ،
١١٧ ، ١٦٠ ، ١٧٧

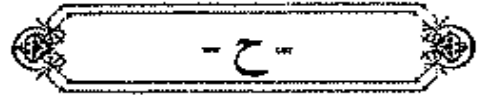
أبو بكر الكتاني الدينوري : ٢٦ ، ١١٢
أبو بكر بن مجاهد : ١٧٠ ، ١٧٧
أبو بكر محمد بن علي الكتاني : ١٧١
أبو بكر محمد بن عمر بن الفضل =
الوراق الترمذي

أبو بكر محمد بن غالب : ١٧١
أبو بكر محمد بن موسى = أبو بكر
الواسطي

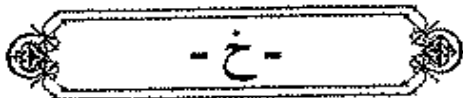
أبو بكر الواسطي (محمد بن موسى) :
٢٨ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ١١٠ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٠

أبو بكر الوراق = الوراق الترمذي

أبو الحسن القزاز = القزاز ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي : ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،
١٠٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ،
الحسن بن محمد = الجريري ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ،
أبو الحسن المزين : ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،
أبو الحسن النوري (صوابه أبو الحسين :
النوري) = النوري الجوزجاني (أبو علي الحسن بن علي) :
٣٠

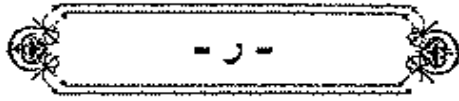


الحسين المغازلي : ١٠٨ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ،
أبو الحسن النوري = النوري ، ٤٢ ، ٢٩ ،
أبو حفص الحداد النيابوري : ٢٥ ، ٤٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٦٥ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، الحارث المحاسبي = الحارث بن أسد
حفص بن يزيد بن معبود بن خراش : حارثة : ١٤ ، ١٥ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ،
١٧٦ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
الحكيم الترمذي (أبو عبد الله محمد بن أبو حازم سلمة بن دينار = سلمة بن دينار
علي) : ٣٠ ، حذيفة بن اليمان : ١٠١ ،
الحكيم السمرقندي (أبو القاسم بن الحسن البصري : ١٤ ، ٢٢ ، ١٠١ ،
إسحاق بن محمد) : ٣٠ ، ١٧٢ ، ١٤٤ ،
أبو حمزة الخراساني : ١٦٧ ، ١٦٨ ، أبو الحسن الحسن بن علي الهمداني : ١٦١ ،
أبو حنيفة المرعشي : ٢٤ ، ٢٥ ، أبو الحسن بن أبي ذر : ١٠١ ، ١٦١ ،
أبو الحسن العلوي : ١٧٤ ،
الحسن بن علي بن أبي طالب : ٢٢ ،
٨٥ ، ٥٢



الحسن بن علي بن يزيدانيار : ٣٦ ، ١٥٤ ،
أبو الحسن الفارسي : ١٦٩ ، ١٧٤ ،
١٧٦ ، خالد : ١٧٦ ،
خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين) : ٩١

ذو التون المصري: ٢٠، ٢٤، ٧٣،
١٠٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٥٦،
١٥٧، ١٧٠



رابعة العدوية: ١٠٨، ١٢٠، ١٧٢
الرازي = أبو عثمان الرازي
راشد بن سعيد: ١٧٠
ربيع بن خراش: ١٧٦
الربيع بن خراش: ١٧٦

رسول الله (ﷺ): ٥، ٦، ٧، ١٠،
١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩،
٢٠، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٦،
٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧،
٦٨، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١،
٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠،
٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤،
١١٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧،
١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠،
١٤١، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٩،
١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩،
١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦

الروذباري (أبو علي أحمد بن محمد بن
مقسم): ١٨، ٢٨، ١١٧
رويم بن محمد (أبو محمد أو أبو
الحسن): ٢٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٤،

الخزاز (أبو سعيد أحمد بن عيسى):
٢٧، ٤٧، ٤٨، ٧٢، ١١٧، ١١٩،
١٤٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٦٨

الخليل (إبراهيم عليه السلام) = إبراهيم
عليه السلام

الخوَّاص (أبو إسحاق إبراهيم بن
أحمد): ٢٨، ١٢٠، ١٧٤
أبو الخير الأقطع: ١٧٣



الداراني (أبو سليمان عبد الرحمن بن
أحمد): ٢٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٨،
١٤٩

داود (عليه السلام): ٧٨

داود بن نصير الطائي: ٢٣

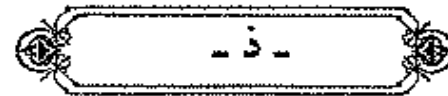
الدجال: ٨١

الدراج: ١١٢

أبو الدرداء: ١٣٦

دلف بن جحدر = الشبلي

الدوري: ١١٣



ذو الكفل بن إبراهيم المصري: ٢٤
ذو النون بن إبراهيم المصري = ذو النون
المصري

١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٧٨ ، ١٦٤

سفيان بن سعيد = سفيان الثوري
سفيان بن عيينة : ٢٣

سلمة بن دينار المدني (أبو حازم) : ٢٢
سلمة بن الفضل : ١٦٩

أبو سليمان الداراني = الداراني (أبو
سليمان عبد الرحمن بن أحمد)

سليمان بن أبي سليمان الداراني : ٢٤
سهل بن عبد الله التستري : ١٩ ، ٢٠ ،
٢٥ ، ٢٦ ، ٥٢ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ،
٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ،
١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ،
١٤٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٥

أبو السوداء : ١٥٦ ، ١٦٧
السوسي (أبو يعقوب يوسف بن
حمدان) : ٢٧ ، ١٠٥ ، ١١٧
سويد : ١٧٢

سيد المرسلين = رسول الله ﷺ

- ش -

الشبلي (أبو بكر دلف بن جحدر) : ٢٨ ،
٤٧ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٦٢

شكثل (أبو عبد الله) : ١٦٦

- ز -

زكريا (عليه السلام) : ٧٩
زين العابدين (علي بن الحسين بن
علي) : ٢١

- س -

سارية بن حصن : ٨٠
ابن سالم : ٤٣
السامري : ١٣٨
السيّك = أبو بكر السيّك
السوي السقطي : ١٢ ، ٢٤ ، ٥٨ ،
١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٧٣
السري بن المغلس = السري السقطي
سعد بن معاذ : ١٣٣
سعدون المجنون : ١٥٠
أبو سعيد أحمد بن عيسى = الخزاز
سعيد بن إسماعيل = أبو عثمان الرازي
أبو سعيد الخزاز = الخزاز
سعيد بن زيد : ٨٤
سعيد بن المسيب : ١٠٠
سفيان الثوري (سفيان بن سعيد) : ٢٣ ،
١٢٠

أبو عبد الله أحمد بن عاصم = أبو عبد
الله الأنطاكي

أبو عبد الله الأنطاكي (أحمد بن عاصم):
٢٩، ١٧

أبو عبد الله البرقي: ١٥٩

أبو عبد الله البلخي (محمد بن الفضل):
٧٥، ٣٠

أبو عبد الله بن الجلاء = ابن الجلاء

عبد الله بن حنف (أو حنيف أو خيق)
الأنطاكي: ٢٩، ١١٥

عبد الله بن عباس: ٤٧

عبد الله بن عمر: ٦٧، ٨٤، ٨٦،

١٢٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤

أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي =

عمرو بن عثمان المكي

أبو عبد الله القرشي = أبو عبد الله هيكل
القرشي

عبد الله القشاع: ١٦٦

أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي =

الحكيم الترمذي

أبو عبد الله محمد بن علي = الكتاني

عبد الله بن مسعود: ١٣٥، ١٤٤

أبو عبد الله الناجي: ٧٤، ١٠٦،

١٢٨، ١٦٠، ١٧٩

أبو عبد الله الهاشمي: ٢٨

أبو عبد الله هيكل القرشي: ٢٨، ٤٧،

١١٩

- ص -

أبو صالح (كاتب الليث): ١٧٠

صهيب الرومي: ٨٤

- ط -

أبو طيبة: ١٣٥

طيفور بن عيسى = أبو يزيد البسطامي

- ع -

عاصم بن عمر بن قتادة: ١٧٤

عامر بن عبد الله: ١٤٢

عامر بن عبد القيس: ١٤٤

عائشة (أم المؤمنين): ٤٧، ٦٠، ٨٤،

٩١، ١٦٩، ١٧٦

عباد بن عبد الله بن الزبير: ١٦٩

أبو العباس أحمد بن عطاء = أحمد بن

عطاء البغدادي

ابن عباس = عبد الله بن عباس

أبو العباس بن عطاء = أحمد بن عطاء

العباس بن الفضل بن قتيبة بن منصور

الدينوري: ٢٦

العباس بن المهدي: ١٦٩

العبد الصالح: ٥١

عبد الله بن أبي: ١٣٤

عمار بن ياسر: ٨٤
 ابن عمر = عبد الله بن عمر
 عمر بن الخطاب: ٤٩، ٦٢، ٧٦،
 ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٣٤، ١٣٥،
 ١٥٠، ١٥٩، ١٧١
 أبو عمرو الإصطخري: ١٧٥
 أبو عمرو الأنماطي: ١٦٤
 أبو عمرو الدمشقي: ١١١، ١١٥
 أبو عمرو الزجاجي: ١٦٦
 عمرو بن عثمان المكي (أبو عبد الله):
 ٢٧، ١٣١
 أبو عمرو بن العلاء: ١٧٠
 عمرو بن أبي عمرو: ١٧٤
 عيسى (عليه السلام): ١٤، ١٧٢
 عيينة بن حصن: ١٣



فارس: ٧٣، ١٠٦، ١١٣، ١١٧،
 ١٤٥، ١٥٣، ١٥٦، ١٦١، ١٦٤،
 ١٦٦، ١٧٤، ١٧٨
 فاطمة بنت محمد ﷺ: ٩١
 فرعون: ٨١، ١٥٨، ١٥٩
 ابن الفرغاني = أبو بكر الواسطي
 فضالة بن عبيد: ١٣
 الفضيل بن عياض: ٢٣، ٥٨

ابن عبد الصمد: ١٣٠
 عبد الواحد بن زيد: ٢٢، ١٠١
 أبو عبيدة بن الجراح: ٨٤
 عتبة بن أبان بن صمعة = عتبة الغلام
 عتبة الغلام (عتبة بن أبان بن صمعة):
 ٢٣
 أبو عثمان: ١١٧، ١٦٥
 أبو عثمان الرازي (سعيد بن إسماعيل):
 ٢٩، ٣٠، ١٦٣، ١٦٤
 أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرازي =
 أبو عثمان الرازي
 عثمان بن عفان: ٦٢، ١٧١
 ابن عطاء = أحمد بن عطاء البغدادي
 عكاشة بن محصن الأسدي: ٨٦
 أبو علي الأوراجي = الأوراجي
 أبو علي الجوزجاني = الجوزجاني
 علي بن الحسين بن أحمد السرخسي:
 ١٧٢
 علي بن الحسين بن علي = زين العابدين
 أبو علي الروذباري = الروذباري
 علي بن سهل بن الأزهر الأصفهاني: ٢٦
 علي بن أبي طالب: ٢٢، ٦٢، ٧٦،
 ١٠٩، ١٥٠، ١٧١
 علي بن الفضيل بن عياض: ٢٣
 علي بن محمد البارزي: ٢٦
 عليان المجنون: ٧٣، ١٥٠
 عمار بن الحسن: ١٦٩

- ق -

محمد بن إسحاق : ١٦٩
 أبو محمد الجريري = الجريري
 أبو محمد الحسن بن محمد = الجريري
 أبو محمد بن الحسن بن محمد
 الرحاني : ٢٦
 محمد بن خفيف : ١٧١
 محمد بن سعدان : ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٧
 محمد بن عبد الله (رضي الله عنه) = رسول الله ﷺ
 أبو محمد عبد الله بن محمد = المرتعش
 محمد بن علي الباقر = الباقر
 محمد بن علي الترمذي = الحكيم
 الترمذي

أبو القاسم بن إسحاق بن محمد =
 الحكيم السمرقندي
 أبو القاسم البغدادي : ٩٣ ، ١١٣ ،
 ١٢٢ ، ١٧٨
 أبو القاسم الحكيم : ١٦٣
 أبو القاسم فارس = فارس
 قتيبة بن سعيد : ١٧٣
 القحطي = أبو بكر القحطي
 القزاز (أبو الحسن) : ١٧٥

- ك -

محمد بن علي = الكتاني
 محمد بن عمر بن الفضل = الوراق
 الترمذي
 محمد بن عمرو بن صالح بن مسعود
 الكلاعي : ١٧٢
 محمد بن الفضل = أبو عبد الله البلخي
 محمد بن المبارك الصوري : ٢٥
 محمد بن محمد بن محمود : ١٦٩
 محمد بن موسى = أبو بكر الواسطي
 محمد بن واسع : ٧٠
 محمود بن لبيد : ١٧٤
 المرتعش (أبو محمد عبد الله بن
 محمد) : ٢٩
 مريم (عليها السلام) : ٧٩ ، ٩١ ، ١٦١
 المزين : ١٧٣

الكتاني (أبو عبد الله محمد بن علي) :
 ٢٨ ، ٦٨ ، ١٢٨ ، ١٧٠
 الكليم = موسى عليه السلام
 الكتاني = أبو بكر الكتاني الدينوري
 كهمس بن علي الهمداني : ٢٦

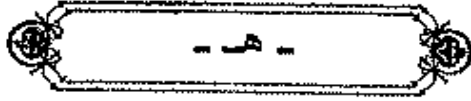
- ل -

أبوليابة بن المنذر : ١٣٣ ، ١٣٤
 لسان التصوف = الخزاز (أبو سعيد)

- م -

مالك بن دينار : ٢٢

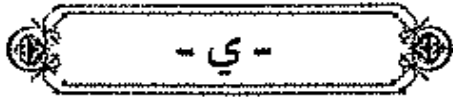
١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
١٦٢ ، ١٦٤



هرم بن حيان: ١٦ ، ١٧ ، ٢٢
أبو هريرة: ١٢ ، ١٠٠



الواسطي = أبو بكر الواسطي
الوراق الترمذي (أبو بكر محمد بن عمر
ابن الفضل): ٢٩ ، ٧٢ ، ٨٠
أبو الوليد السقاء: ١٦٨
الوليد بن شجاع السكوني: ١٧٦
أبو الوليد محمد بن إدريس السلمي:
١٧٢



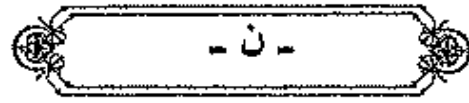
يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير:
١٦٩
يحيى بن معاذ الرازي (أبو زكريا):
٢٩ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ١٠٩ ، ١١٨
أبو يزيد البسطامي (طيفور بن عيسى):
٢٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٦
أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب =
النهرجوري

مسروق: ١٠٩
ابن مسروق (أحمد بن محمد بن
مسروق): ١١٨

المصطفى ﷺ = رسول الله ﷺ

معاوية بن صالح: ١٧٠
معروف بن الفيرزان الكرخي: ٢٤
أبو المغيث: ١٦٥ ، ١٦٧
المغيرة بن شعبة: ١٥٠
أبو منصور البنجيني: ١٦٣
منصور بن عبد الله: ١٧١

موسى (عليه السلام): ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٥١ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤٤
أبو موسى الأشعري: ١٣



نافع الأشعري: ١٧٦
النباجي = أبو عبد الله النباجي
النبي (ﷺ) = رسول الله ﷺ
نصر بن أحمد البغدادي: ١٧٦
نصر بن زكريا: ١٦٩
النهرجوري (أبو يعقوب إسحاق بن
محمد بن أيوب): ٢٨
النوري (أبو الحسين أحمد بن محمد):
١٩ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ،
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧

أبو يعقوب السوسي = السوسي
يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني :
١٧٣
أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسي =
السوسي
يوسف (عليه السلام): ١٤٥
يوسف بن أسباط : ٢٥
يوسف بن الحسين الرازي : ٢٠ ، ٢٦ ،
١٧٢
يوسف بن حمدان = السوسي

فهرس الأعلام المرجم لهم في الحواشي

- ب -

بشر بن الحارث الحافي : ١٠
 أبو بكر بن إسماعيل الفرغاني : ١٥٢
 أبو بكر بن داود الكثاني الدينوري : ٢٦
 أبو بكر الصديق : ١٦
 أبو بكر بن طاهر الأبهري : ٢٦
 أبو بكر محمد بن عمر بن الفضل الوراق
 الترمذي : ٣٠
 أبو بكر الواسطي (محمد بن موسى) :
 ٢٨

- ج -

جعفر بن محمد الصادق : ٢٢
 الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي :
 ١٩

- ح -

الحارث بن أسد المحاسبي : ٢٩

- أ -

إبراهيم بن أحمد المارستاني (أبو
 إسحاق) : ١٢٥
 إبراهيم بن أدهم : ٢٣
 إبراهيم بن شيان القرمياني : ١٧٥
 أحمد بن الحواري الدمشقي : ٢٤
 أحمد بن خضرويه البلخي : ٢٦
 أحمد بن عطاء البغدادي : ٢٧
 أبو أحمد المغازلي : ١٠٨
 أبو إسحاق الخراس (إبراهيم بن
 أحمد) : ٢٨
 إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجوري
 (أبو يعقوب) : ٢٨
 أبو أمامة الباهلي (الصدّي بن عجلان) :
 ١٥
 الأوزاعي (أبو عمرو عبد الرحمن بن
 عمرو) : ١٣٦
 أويس القرني : ١٦

- ز -

زين العابدين (علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب): ٢١

- س -

السري بن المغلس السقطي: ١٢
سعدون المجنون: ١٥٠
أبو سعيد الخزاز (أحمد بن عيسى): ٢٧
سفيان بن سعيد الثوري: ٢٣
سفيان بن عيينة: ٢٤
سلمة بن دينار المدني: ٢٢
أبو سليمان الداراني (عبد الرحمن بن
أحمد بن عطية): ٢٤
سمنون بن حمزة الخواص: ١١١، ١٧٧
سهل بن عبد الله التستري: ١٩

- ع -

أبو العباس أحمد بن محمد بن مروق:
١١٨
العباس بن المهدي: ١٦٩
أبو عبد الله أحمد (أو محمد) بن يحيى
الجللاء: ١١٢
أبو عبد الله الأنطاكي (أحمد بن عاصم):
١٧

حذيفة بن قتادة المرعشي: ٢٥

الحسن بن أبي الحسن البصري: ١٤

الحسن بن علي بن أبي طالب: ٢٢

الحسن بن علي بن يزدانبار: ٢٦

أبو الحسن المزين (علي بن محمد):

١٦٩

الحسين بن علي بن أبي طالب: ٢٢

أبو الحسين الثوري (أحمد بن محمد):

١٩

أبو حفص الحداد النيسابوري: ٢٥

الحكيم الترمذي (أبو عبد الله محمد بن

علي): ٣٠

أبو حمزة الخراساني: ١٦٧

- د -

داود بن نصير الطائي: ٢٣

دلف بن جحدر: ٢٩

- ذ -

ذو النون بن إبراهيم المصري: ٢٠

- ر -

رابعة العدوية البصرية: ١٠٨

رويم بن محمد (أبو محمد أو أبو

الحسن): ٢٧

- ف -

فارس الجمال : ٧٣
فضالة بن عبيد الأنصاري : ١٣
الفضيل بن عياض : ٢٣

- ق -

أبو القاسم بكر بن شاذان بن بكر
البغدادى : ٩٣

- م -

مالك بن دينار : ٢٢
أبو محمد الجريري (الحسن بن
محمد) : ٢٨
أبو محمد عبد الله بن محمد المرتضى
٢٩
محمد بن علي الباقر : ٢٢
محمد بن المبارك الصوري : ٢٥
محمد بن واسع بن جابر : ٧٠
مسروق بن عبد الرحمن : ١٠٩
معروف بن الفيرزان الكرخي : ٢٤
أبو موسى الأشعري، (عبد الله بن قيس) :
١٣

- ه -

هرم بن حيان العبدي : ١٦

عبد الله بن حنف (أو ابن حنيف)
الأنطاكي : ٢٩

أبو عبد الله الكتاني (محمد بن علي) :
٢٨

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم
البصري : ٤٣

أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي :
٣٠

أبو عبد الله الناجي (سعيد بن يزيد) : ٧٤
ابن عبد الصمد (محمد بن محمد بن

عيسى) : ١٣٠

عبد الواحد بن زيد : ٢٣

عتبة بن أبان بن صمعة (الغلام) : ٢٣

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرازي :
٣٠

أبو علي الجوزجاني (الحسن بن علي) :
٣٠

أبو علي الروذباري (أحمد بن محمد بن
مقسم) : ١٨

علي بن سهل بن الأزهر الأصفهاني : ٢٦
علي بن أبي طالب : ٢٢

علي بن الفضيل بن عياض : ٢٣

أبو عمرو الدمشقي : ١١١

عمرو بن عثمان المكي (أبو عبد الله) :
٢٧

عينة بن حصن : ١٣

أبو هريرة: ١٢

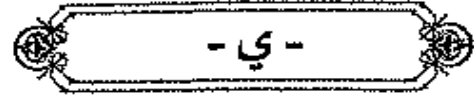
أبو يزيد البسطامي (طيفور بن عيسى):

٢٥

يوسف بن أسباط: ٢٥

يوسف بن الحسين الرازي (أبو يعقوب):

٢٠



يحيى بن معاذ الرازي (أبو زكريا): ٢٩

فهرس الأيات القرآنية

الآية [١٧٨] : ٥٤
الآية [١٩٢] : ٨٦

سورة الفاتحة

الآية [٥] : ٥١

سورة النساء

سورة البقرة

الآية [٣١] : ٥٦ ، ٥٧
الآية [٤٠] : ٥٩
الآية [٤٨] : ٥٧
الآية [٦٣] : ١٦٤
الآية [٦٤] : ١٣٤
الآية [٦٦] : ٣٧
الآية [٨٢] : ٧٠
الآية [١٢٣] : ٨٤
الآية [١٣٦] : ٩٣
الآية [١٦٤] : ٤٣

الآية [٣٤] : ١٤٩
الآية [٤٥] : ١١٠
الآية [٢٣٥] : ١٦٩
الآية [٢٥٣] : ٧٦
الآية [٢٥٥] : ٣٧
الآية [٢٦٢] : ١٢٥
الآية [٢٨٤] : ٥٧
الآية [٢٨٦] : ٥١

سورة آل عمران

سورة المائدة

الآية [٣٥] : ٦٨
الآية [٤١] : ٥٤

الآية [٣٧] : ٧٩
الآية [١١٠] : ٧٦
الآية [١٥٢] : ١٤٤

سورة الأنفال

الآية [١٧] : ١٢٦ ، ١٤١

سورة التوبة

الآية [٦] : ٤٣ .

الآية [٥٥] : ٥٤

الآية [١٠٢] : ٥٩

الآية [١٠٨] : ١٥

الآية [١١١] : ١٥٩

الآية [١١٧] : ١٥٨

سورة يونس

الآية [٢٦] : ٤٤ ، ٤٥

سورة هود

الآية [١١٩] : ٥٥

سورة الرعد

الآية [١٦] : ٤٨ ، ٤٩

سورة إبراهيم

الآية [٢٧] : ٥٠ ، ١٤٨

الآية [٤٨] : ٦٠

الآية [٥٤] : ١٤٣ ، ١٥٨

الآية [٦٧] : ١٦٤

الآية [٨٣] : ١٥٧

الآية [١١٩] : ١٢١ ، ١٥٨

سورة الأنعام

الآية [١٣] : ٥٠

الآية [٧٥] : ٩٢

الآية [٧٦] : ٣٩ ، ٧٠

الآية [١٠٠] : ٣٧

الآية [١٠٣] : ٤٦

الآية [١٠٨] : ٥٣

الآية [١٢٥] : ٥٣

سورة الأعراف

الآيتان [٨ ، ٩] : ٦٠

الآية [١١] : ٧٤

الآية [١٨] : ٧٠

الآية [٢٣] : ٧٨

الآية [٥٤] : ٥٠

الآية [١٤٣] : ٤٥ ، ٤٦ ، ١٢٥

الآية [١٥٥] : ١٣٨

الآية [١٧٣] : ٧١ ، ١٧٨

الآية [١٧٥] : ١٤٩

الآية [١٧٩] : ٥٥ ، ٦٧

الآية [١٩٨] : ١٠٧

الآية [٧٣] : ١٥٩

الآية [١١٠] : ١٥١

الآية [١١٥] : ٧٨

الآية [١٢٣] : ٧٨

سورة الأنبياء

الآية [٢٣] : ٥٤ ، ٥٣

الآية [٢٨] : ٥٩

الآية [٨٣] : ١١١

الآية [٩٠] : ٨٢

الآية [١٠١] : ٦٧ ، ٥٥

سورة الحج

الآية [٣٧] : ١١٦

الآية [٤٦] : ١٣٢

الآية [٧٨] : ٥٥

سورة النور

الآية [٣٧] : ١٥

سورة الفرقان

الآية [٤٥] : ٧٠

سورة الشعراء

الآية [١٠٠] : ٥٩

سورة الحجر

الآية [٤٢] : ٨٣

سورة النحل

الآية [٤٠] : ٤٣

سورة الإسراء

الآية [٥٥] : ٧٥

الآية [٧٩] : ٥٩

الآية [٨٢] : ٧٠

الآية [٨٥] : ٧٤

سورة الكهف

الآية [٢٤] : ١٢٢

الآية [٢٥] : ١٦٠

الآية [٢٨] : ٤٩

الآية [٦٧] : ٥١

الآية [٨٢] : ٥١

الآية [١١٠] : ١٦٠

سورة مريم

الآية [٢٦] : ١٦١

سورة طه

الآية [٤٣] : ١٢٩

سورة الزمر

الآية [٢٣] : ١٣٢

الآية [٧٥] : ١٢١

سورة فصلت

الآية [٣١] : ١٥٤

سورة الشورى

الآية [٢٥] : ١٦٩

الآية [٥٢] : ٧٠

سورة الزخرف

الآية [٧٦] : ٥٣

سورة الحجرات

الآية [٧] : ٥٣

سورة ق

الآية [٣٧] : ١٣٢

سورة الذاريات

الآية [٥٨] : ٣٧

سورة النمل

الآية [٤٠] : ٧٩

سورة العنكبوت

الآية [٢٠] : ١٠٤

الآية [٤٥] : ١٦٠

الآية [٦٩] : ١٥٨ ، ٦٨

سورة الروم

الآية [٩] : ١٠٤

سورة سبأ

الآية [١٨] : ٤٩

سورة فاطر

الآية [١٠] : ٣٧

الآية [١١] : ٣٧

سورة الصافات

الآية [٩٦] : ٤٩

سورة ص

الآية [٢٤] : ٧٨

سورة التغابن

الآية [١]: ١١٦

سورة النجم

الآية [١١]: ٤٨

سورة الملك

الآيتان [١٣ و ١٤]: ٤٩

سورة القمر

الآية [٤٩]: ٤٨

الآية [٥٢]: ٤٨

سورة الحاقة

الآية [٢٤]: ١٦٠

الآيتان [٤٤ و ٤٥]: ١٦٤

سورة الرحمن

الآية [٧٨]: ٣٧

سورة القيامة

الآية [١٨]: ٤٣

الآيتان [٢٢ و ٢٣]: ٤٥

سورة الحديد

الآية [١٢]: ٣٧

سورة المطففين

الآية [١٥]: ٤٥

سورة الحشر

الآية [٩]: ١١٢

الآية [٢٣]: ٩٢، ٩٠

سورة الغاشية

الآية [١٧]: ٧٠

سورة الجمعة

الآية [٥]: ١٦٥

سورة الضحى

الآية [٥]: ٥٩

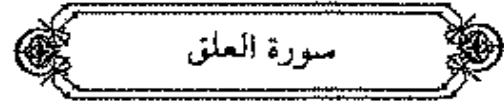
سورة المنافقون

الآية [١]: ١٢٣



سورة الفلق

الآية [٢]: ٤٩



سورة العلق

الآية [٩]: ١٢٦

فهرس الأءاءبء النبوءة

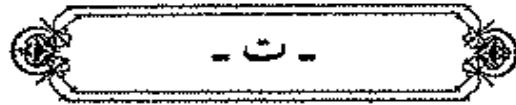
- أ -

- ألقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ١٧٠، ١٥
- أءبر أصحابه بأنهم من أهل الجنة ٨٣
- أءر عني يا عمر، إني ءبرت فاأءرت ١٣٤
- إذا ءءل النور في القلب انشرح وانفسح ١٤
- أشد الناس بلاءً الأنباء ثم الأمل فالأمل ١٦٦
- اعبء الله كأنك تراه ١٤١، ١٢٧
- اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما ءلق له ٦٨، ٤٩
- أءمل المؤمنين إيماناً أحسنهم ءلقاً ٩٠
- ألا أقرئك آية أنزلت علي ٨٥
- الءبن لا یرقون ولا یسرقون، ولا یكورون ولا یكءون ١٧
- أما لو ءاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل ١٣٤
- أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون بذلك في ءءنا ءءى تلقوا الله ٨٥
- أنا سبء ولد آدم ولا فءرء، آدم ومن ءونه ءءء لوائي ٧٦
- أنا عبء الله ورسوله لن أءالف أمره ولن یضعيني ١٣٤
- أنت منهم ٨٦
- إن الله أمرني أن أقرأ عليك ١٥٧
- إن الله ءعالی لیبءمي عبءه من ءءنا وهو یءبه كما ءءمون مرضاكم ١٧٤

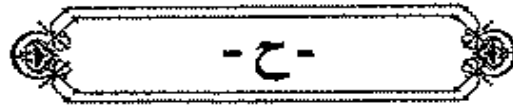
- ٨٦ إن أهل الدرجات العُلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع
- ١٦ إن الحقَّ لينطق على لسان عمر
- ٨٦ إن رسول الله ﷺ دخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه
- ١٤٧ إن الملك ليأتي العبد إذا وضع في لحدّه فيقول: ما قولك
- ١٠٠ إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله
- ٤٥ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون
- ٨٧ إنه لم يفضلكم بكثرة الصوم والصلاة، ولكن فضلكم بشيء
- ١٣ إنه مرّ بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة
- ٤٩ إنه من قدر الله
- ٨٨ الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالقلب وعمل بالأركان



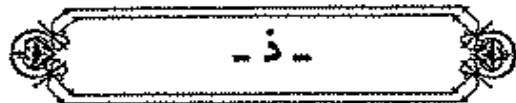
- ١٢ يحسب ابن آدم أكلات يُقمنَ صُلبه



- ١٤ التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود
- ٩٤ تعس عبد الدينارا تعس عبد الدرهم!



- ١٣٠ حُبك الشيء يُعمي ويُصم



- ١٢٢ الذّاكرون كثيراً والذاكرات

- س -

- سألت جبريل عن علم الباطن فقال: سألت الله عز وجل ١٠١
 سبق المفردون ١٢٢
 السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه ٦٧

- ش -

- الشرك أخفى في أمي من ديب النمل ٩٣
 شفاعتي لأهل الكبائر من أمي ٥٩

- ص -

- الصوم جنة ١٦١
 الصوم لي وأنا أجزى به [حديث قدسي] ١٦١

- ع -

- عرفت فالزم ١٥٧
 على أمر قد فرغ منه ٤٩
 على الصراط ٦٠

- ف -

- فبي يسمع وبني يبصر وبني ينطق [حديث قدسي] ١٦٧
 فبي ينطق وبني يبصر [حديث قدسي] ١٥٥
 في آخر الزمان يكون زعيم القوم أرذلهم ١٦٣

- ك -

- ١٤ كان النبي ﷺ يلبس الصوف، ويركب الحمار
- ٩١ كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع
- ١٤٢ كنت له سمعاً وبصراً [حديث قدسي]
- ١٤٠ كنت له سمعاً وبصراً وبدأ في يسمع ويبي يبصر [حديث قدسي]
- ١٠٤ كَيْفَ

- ل -

- ١٢٣ لا أحصي ثناء عليك
- ١٠١ لا إيمان لمن لا أمانة له
- ٧٦ لا تخبر بين الأنبياء
- ٤٣ لا تسافر بالقرآن إلى أرض العدو
- ١٣٥ لقد احتظرت بحظائر من النار
- ١١٢ لو أقسم على الله لأبره
- ١١٤ لو صدق السائل ما أفلح من منعه

- م -

- ١٤ ما حقيقة إيمانك؟
- ٨٥ ما شأنك يا أبا بكر؟
- ١٥ من أحب أن ينظر إلى عبد نور الله قلبه
- ١٤ من تجافى عن الدنيا نور الله قلبه
- ١٣٨ من جعل الهموم هماً واحداً همَّ المعاد، كفاه الله سائر همومه
- من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين [حديث قدسي]
- ١٢٣ [قدسي]
- ٦٨ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم

- ن -

نعم ١٥٧

- ه -

هذا كتابٌ من ربِّ العالمين، فيه أسماء أهل الجنة ٦٧
 هذان سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ٧٦
 هكذا نبعث يوم القيامة ٨٦
 هما سيِّدا شباب أهل الجنة ٨٥
 هما سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ٨٦ ، ٨٥
 هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي [حديث قدسي] ٦٧

- و -

واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي ٥٩
 والله لا يؤمن أحد حتى يؤمن بالله وبالقدر ٤٩
 وجعلت قُرَّةَ عيني في الصلاة ٧٨
 وذلك أضعف الإيمان ٩٠
 وشهد للعشرة بالجنة ٨٣
 وعلى الأبواب ستور مرخاة ٥٦
 وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ٨٥

- ي -

يتكلم رجل من أمتي بعد الموت من خير التابعين ١٧٦
 يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ١٧ ، ٨٦

فهرس القوافي

قافية الباء

المطلع	القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أراني	التَّقْرُبُ	النوري	(٣)	١٢٦
يا مَنْ	مَطَالِبُهُ	النوري	(٢)	١٢٦
عِلْمُ	رَبُّوبِي	الشبلي	(٢)	١٠١

قافية الدال

مُرِيدُ	كُلُّ وَاذُ	أبو عبد الله البرقي	(٤)	١٥٩
إِذَا مَا	لَمْ يَرِدْ	-	(٤)	١٤١
أَقُولُ	أَكَّادُ	النوري	(٣)	١٦٢
الْوَجْدُ	مَفْقُودُ	الجنيد	(٢)	١٣٢
تَفَرَّدَ	وَجِيدُ	عمرو بن عثمان المكي	(٦)	١٣١
أُرِيدُ	الْوَجْدُ	النوري	(٢)	١٢٣
قَوْمُ	أَحَدِ	امرأة	(٦)	٢١
شَهِدْتُ	مُشْهِدِ	النوري	(٢)	١٣٧
الْوَجْدُ	شُهُودِي	الشبلي	(٢)	١٣٣

قافية الراء

١١٦	(٤)	النوري	المَصِيرُ	إني اتَّقَيْتُكَ
١٠٣	(٤)	أبو العباس بن عطاء	الإِشَارَةُ	إذا أهِلُّ
١١٠	(١)	-	صَبْرًا	صَابِرٌ
١٣٠	(٢)	-	قَهْرًا	فَرَطٌ
١٣٦	(٢)	بعض الكبار	أَجْدَرُ	كَفَاكَ
١٢١	(٢)	النوري	الكَدْرُ	إن الرِّضَا
١٣٢	(٥)	بعض الكبار	يُحْضَرُ	أَبْدَى
١٠٢	(٥)	أبو العباس بن عطاء	نَشْعَرُهُ	أَحْسَنُ
١١٨	(٢)	أبو الحسن النوري	الشُّكْرُ	سَأَشْكُرُ
١٤٦ ، ١٢٤	(٢)	زنجي	فِيهِرُ	ذَكَرْنَا
١٥٤	(١)	-	الأكابِرُ	مَوَاجِدُ
١٣٩	(٦)	بعض الكبار	أَثِيرُ	الْجَمْعُ
١٣٨	(٣)	النوري	قَدْرِي	تَسْتَرْتُ
١٥٨	(٢)	-	وَطْرِي	يَا لَهْفُ
١٢٤	(٢)	بعض الكبار	ذِكْرِي	أَنْتَ الْمُؤَلَّةُ
١٢٤	(٥)	ابن عطاء	بِالدُّكْرِ	أَرَى
١٢٥	(٤)	رُوَيْمُ	فِكْرِي	شَغَلْتُ
١٦٢	(٢)	-	بِالْغَيْرِ	هَبْنِي

قافية السين

١٧٠	(٣)	-	رَامَا	يَهْتُ
١١١	(٤)	أبو القاسم سمنون	اِحْتَسَى	تَجَرَّعْتُ

قافية العين

١١٣	(٤)	أبو الحسن النوري	جُرَعَا	قَالُوا
١٤٥	(٣)	بعض أهل العصر	أَبْدَعُ	غَابَتْ
١٥٦	(١)	بعض الكبار	مُطَّلِعِ	شَرَطُ

قافية القاف

١١٥	(١)	-	يَحْتَرِقُ	يُحْرِقُ
-----	-----	---	------------	----------

قافية الكاف

١٢٩	(٤)	-	لَذَاكَ	أَجِبْتُكَ
١٣٥	(٢)	-	مِيوَاكَ	قَدِ اسْتَوْلَى

قافية اللام

١٦٤	(٢)	الحسين المغازلي	قَتَّالَا	وَمَا تَصْنَعُ
١٥٦	(٢)	ابن عطاء	أَرْفُلُ	وَلَوْ نَطَقَتْ
١٧٤	(٢)	الخوَّاص	يَسْتَدِلُّ	لَقَدْ وَضِحَ
١٣٨	(١)	-	رَائِلُ	الْأَكْلُ
١٠٧	(٢)	النوري	بِالْقَالِ	أَرْعَجْتَنِي

قافية الميم

١٣٠	(٢)	-	الصَّمَمَا	أَصَمَّنِي
١٥٦	(٢)	الشبلي	فِي الْيَمِّ	الْحَمْدُ لِلَّهِ

قافية التون

١٦٨	(٢)	-	أَتَانَا	وَيَزَعُمُ
١٢٢	(١)	الجنيد	لِسَانِي	ذَكَرْتُكَ
٧٠	(٩)	بعض الكبراء	بُرْهَانِي	لَمْ يَبْقَ
١١٨	(٢)	أبو علي الروذباري	حَسَنٍ	لَوْ كَلُّ
١٣٣	(٢)	-	وَالْمِنِّ	مَنْ جَادَ

قافية الهاء

٦٩	(٢)	بعض الكبار	يَلْهُو	مَنْ رَامَهُ
١٤٤	(٢)	-	لِيَدِيهِ	أَفْنَاهُ
١٤٢	(٢)	بعض الكبار	لِمْخَفِيهِ	سِرَائِرُ

قافية الياء

١٥٢	(٦)	بعض الكبار	وَيَبِي	رَاعَيْتَنِي
١٤٤	(٢)	-	لِيَدِيهِ	أَفْنَاهُ
١٤٢	(٢)	بعض الكبار	لِمْخَفِيهِ	سِرَائِرُ

المحتويات

٣	تقديم
٥	مقدمة المصنف
٩	الباب الأول: قولهم في الصوفية ولم سميت الصوفية صوفية
٢١	الباب الثاني: في رجال الصوفية ممن نطق بعلومهم وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم
٢٧	الباب الثالث: فيمن نشر علوم الإشارة كتباً ورسائل
٢٩	الباب الرابع: فيمن صنف في المعاملات
٣١	الباب الخامس: شرح قولهم في التوحيد
٣٥	الباب السادس: شرح قولهم في الصفات
٣٨	الباب السابع: اختلافهم في أنه لم يزل خالقاً
٤٠	الباب الثامن: اختلافهم في الأسماء
٤١	الباب التاسع: قولهم في القرآن
٤٢	الباب العاشر: اختلافهم في الكلام ما هو
٤٤	الباب الحادي عشر: قولهم في الرؤية
٤٧	الباب الثاني عشر: اختلاف قولهم في رؤية النبي عليه السلام
٤٨	الباب الثالث عشر: قولهم في القدر وخلق الأفعال
٥٠	الباب الرابع عشر: قولهم في الاستطاعة
٥٢	الباب الخامس عشر: قولهم في الجبر
٥٣	الباب السادس عشر: قولهم في الأصلح

٥٦	الباب السابع عشر: قولهم في الوعد والوعد
٥٩	الباب الثامن عشر: قولهم في الشفاعة
٦٣	الباب التاسع عشر: قولهم في الأطفال
٦٥	الباب العشرون: فيما كلف الله البالغين
٦٩	الباب الحادي والعشرون: قولهم في معرفة الله تعالى
٧٢	الباب الثاني والعشرون: اختلافهم في المعرفة نفسها
٧٣	الباب الثالث والعشرون: قولهم في الروح
٧٥	الباب الرابع والعشرون: قولهم في الملائكة والرسل
٧٧	الباب الخامس والعشرون: قولهم فيما أضيف إلى الأنبياء من الزلل
٧٩	الباب السادس والعشرون: قولهم في كرامات الأولياء
٨٨	الباب السابع والعشرون: قولهم في الإيمان
٩٣	الباب الثامن والعشرون: قولهم في حقائق الإيمان
٩٥	الباب التاسع والعشرون: قولهم في المذاهب الشرعية
٩٦	الباب الثلاثون: قولهم في المكاسب
٩٧	الباب الحادي والثلاثون: علوم الصوفية علوم الأحوال
١٠٣	الباب الثاني والثلاثون: في التصوف ما هو
١٠٤	الباب الثالث والثلاثون: في الكشف عن الخواطر
١٠٥	الباب الرابع والثلاثون: في التصوف والاسترسال
١٠٧	الباب الخامس والثلاثون: قولهم في التوبة
١٠٩	الباب السادس والثلاثون: قولهم في الزهد
١١٠	الباب السابع والثلاثون: قولهم في الصبر
١١٢	الباب الثامن والثلاثون: قولهم في الفقر
١١٤	الباب التاسع والثلاثون: قولهم في التواضع
١١٥	الباب الأربعون: قولهم في الخوف
١١٦	الباب الحادي والأربعون: قولهم في التقوى
١١٧	الباب الثاني والأربعون: قولهم في الإخلاص
١١٧	الباب الثالث والأربعون: قولهم في الشكر

- ١١٨ الباب الرابع والأربعون: قولهم في التوكل
- ١٢٠ الباب الخامس والأربعون: قولهم في الرضا
- ١٢١ الباب السادس والأربعون: قولهم في اليقين
- ١٢٢ الباب السابع والأربعون: قولهم في الذكر
- ١٢٥ الباب الثامن والأربعون: قولهم في الأنس
- ١٢٦ الباب التاسع والأربعون: قولهم في القرب
- ١٢٧ الباب الخمسون: قولهم في الاتصال
- ١٢٨ الباب الحادي والخمسون: قولهم في المحبة
- ١٣١ الباب الثاني والخمسون: قولهم في التجريد والتفريد
- ١٣٢ الباب الثالث والخمسون: قولهم في الوجد
- ١٣٣ الباب الرابع والخمسون: قولهم في الغلبة
- ١٣٥ الباب الخامس والخمسون: قولهم في السكر
- ١٣٦ الباب السادس والخمسون: قولهم في الغيبة والشهود
- ١٣٨ الباب السابع والخمسون: قولهم في الجمع والتفرقة
- ١٤٠ الباب الثامن والخمسون: قولهم في التجلي والاستتار
- ١٤٢ الباب التاسع والخمسون: قولهم في الفناء والبقاء
- ١٥١ الباب الستون: قولهم في حقائق المعرفة
- ١٥٣ الباب الحادي والستون: قولهم في التوحيد
- ١٥٤ الباب الثاني والستون: قولهم في صفة العارف
- ١٥٨ الباب الثالث والستون: قولهم في المرید والمراد
- ١٥٩ الباب الرابع والستون: قولهم في المجاهدات والمعاملات
- ١٦٢ الباب الخامس والستون: قولهم في الكلام على الناس
- ١٦٥ الباب السادس والستون: قولهم في توقي القوم ومجاهداتهم
- ١٦٨ الباب السابع والستون: قولهم في لطائف الله للقوم وتنبههم إياهم بالهاتف
- ١٦٩ الباب الثامن والستون: قولهم في تنبيه إياهم بالفراغات
- ١٧٠ الباب التاسع والستون: قولهم في تنبيه إياهم بالخواطر
- ١٧١ الباب السبعون: قولهم في الرؤية ولطائفها

- ١٧٢ الباب الحادي والسبعون : لطائف الحق بهم في غيرته عليهم
- ١٧٤ الباب الثاني والسبعون : لطائفه بهم فيما يحملهم
- ١٧٥ الباب الثالث والسبعون : لطائفه بهم في الموت وبعده
- ١٧٧ الباب الرابع والسبعون : من لطائف ما جرى عليهم
- ١٧٨ الباب الخامس والسبعون : في السماع